
د. خالد النجار
مختصر
الجامع لسبل الخيرات
الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر الجامع لسبل الخيرات

المقدمة

الحمد لله الذي قدر فهدى، والذي أعان ووفق المطيعين، وخذل المنافقين والمشركين، وهدانا إلى السبيل القويم، وجعلنا من أمة محمد سيد العالمين، صلى الله عليه وسلم وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا مختصر لطيف لكتاب «الجامع لسبل الخيرات والموصل لأعلى الدرجات مما وجد في الصحيحين والدقائق المرويات» تأليف الفقيه الإمام الواعظ: أبي الحسين يحيى بن نجاح القرطبي الأموي المالكي.

وقد راعيت فيه الصحة في الأحاديث وأعرضت عن الواهي منها والسقيم سندا، وحذفت من الأقوال والحكايات الغريب منها والذي يخرج عن سياق هذا الدين القويم مما تلوث بشطحات المتصوفة وأهل التنطع في الدين.

كما أضف له الكثير من الأحاديث والزيادات والشروح مما ذكره أهل العلم ولم يوردها المؤلف.

سائلا المولى تعالى أن يقع موقع القبول، وأن أكون قد قربت هذا السفر النافع لعموم المسلمين في ثوب سهل ميسور.

جمع وترتيب
د/ خالد سعد النجار
alnaggar66@hotmail.com
جمهورية مصر العربية
0021229596658

كتاب «الجامع لسبل الخيرات والموصل لأعلى الدرجات مما وجد في الصحيحين والدقائق المرويات» تأليف الفقيه الإمام الواعظ: أبي الحسين يحيى بن نجاح القرطبي الأموي [بالولاء لأن أباه كان من موالي جعفر الحاجب مولى أمير المؤمنين المستنصر بالله الأموي وكان من أحب ملوك الأندلس للعلم] المالكي الشهير بابن القلّاس [أي صاحب القلنسوة أو صانعها].

رحل عن قرطبة في قرابة الثلاثين من عمره وذهب إلى أرض الحجاز حيث حج هو وأسرته ثم استوطنوا مصرا وبها توفي 422 هـ.

ووافق استقرار الشيخ بمصر فترة حكم الدولة الفاطمية الشيعية، والتي انتدت بمصر زهاء قرنين من الزمان. حيث عاصر حكم الحاكم بأمر الله الخليفة السادس لهم وكان سيء السيرة، قال عنه ابن كثير: "كان جبارا عنيدا، وشيطانا مريدا، كثير التلون في أفعاله وأحكامه وأقوالهن جائرا". وقال السيوطي: "كان شر الخليقة، لم يل مصر بعد فرعون أشر منه ".

وسبب عدم رجوعه إلى قرطبة تلك الاضطرابات السياسية وحدوث الفتنة البربرية وبداية سقوط الدولة الأموية وظهور ملوك الطوائف، خاصة أنه كان من موالي بني أمية.

قال تلميذه إسماعيل بن خلف الأنصاري: كان يحيى بن نجاح الواعظ الأندلسي مؤلف كتاب سبل الخيرات إذا وعظ وزهزه الناس له، قال: كان والدي عبدا لفلان، وأمي جارية اشتريت بكذا وكذا دينار، فلا يغرنك يا يحيى مدح هؤلاء، قال: وهو مصنف جامع سبل الخيرات نفعه الله بذلك.

قال أبو طالب المرواني: كان يحيى بن نجاح من أئمة المسلمين في العلم والزهد والورع..



وله تـأليف حسـن وهـو المسـمى بكتـاب «سـبل الخيرات» كتاب شريف في معناه، لم يؤلـف في المواعظ والذكر مثله.

وقال أبو القاسم بن بَشكُوال: كان ابن نجـاح من أهل العلم والورع والزهد، وهو مؤلـف كتـاب «سبل الخيرات» في الوصايا والمواعـظ والزهـد والرقائق، وهو كثير بأيدي الناس.

ومن فضـائل هـذا الكتـاب أن مؤلفـه الإمـام القلاس قـد حـدث بـه بالمسـجد الحـرام بمكـة المشـرفة إبـان مجاورتـه بهـا، وناولـه لتلميـذه الإمـام أبي محمـد عبـد اللـه بن سـعيد الأمـوي الشَنتَجَالي الذي حمله إلى الأندلس وأذاعه بها.

وقـد صـار الكتـاب علمـا على المؤلـف، حـتى يمكن القول: لـولا سـبل الخـيرات مـا عـرف ابن القلاس.

يقـول ابن الجـوزي: رأيت الاشـتغال بالفقـه وسماع الحديث لا يكادُ يكفى في صلاح القلب إلا أن يُمـزج بالرقـائق والنظـر في سـير السـلف الصـالحين، فأمـا مجـرد العلم بـالحلال والحـرام فليس له كبير عمل في رقـة القلب، وإنمـا تـرق القلوب بـذكر رقـائق الأحـاديث، وأخبـار السـلف الصالحين، لأنهم تناولوا مقصود النقـل وخرجـوا عن صور الأفعال المـأمور بهـا إلى ذوق معانيهـا والمراد بها.

وما أخبرتك بهـذا إلا بعـد معالجـة وذوق لأني وجـدت جمهـور المحـدثين وطلاب الحـديث همـة أحدهم في الحديث العالي وتكثير الأجزاء.

وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يغـالب به الخصم.

وكيف يرق القلب مع هذه الأشياء ؟.

وقد كان جماعـة من السـلف يقصـدون البعـد الصـالح للنظـر إلى سـمته وهديـه. لا لاقتبـاس

علمه. وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته، فـافهم هذا وامزج طلب الفقه والحـديث بمطالعـة سـير السـلف والزهـاد في الـدنيا ليكـون سـبباً لرقـة قلبك.

باب في الدعاء

قال مجاهد: إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات.

قال أبو هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله، وعند نزول الغيث، وعند أوقات إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنوا الدعاء

من آداب الدعاء

أن يكون الداعي راغبا راهبا متذللا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]

ويستحب للداعي أن لا يرفع صوته جدا:

// ففي البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ

// وروى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَيْبَرَ أَوْ قَالَ لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لِي يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ




كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي قَالَ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

// وقد أثنى الله على نبيه زكريا فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً﴾ [مريم: 3]

ويكره للداعي أن يشير بأصبعيه عند الدعاء، ولا بأس بأن يشير بإصبع واحدة إذا شاء:

ففي مصنف ابن أبي شيبة:

// عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَأَى رَجُلاً يَدْعُو بِإِصْبَعَيْهِ كِلْتَيْهِمَا فَنَهَاهُ، وَقَالَ بِإِصْبَعٍ وَاحِدَةٍ بِالْيُمْنَى.

// عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَبْصَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَعْدًا وَهُوَ يَدْعُو بِإِصْبَعَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: يَا سَعد أَحِّد أَحِّد.

// عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذَا جَلَسَ فِي الصَّلاَة وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ فِي الدُّعَاءِ.

// عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: هُوَ الإخْلاَصُ، يَعْنِي الدُّعَاءَ بِالأَصْبَعِ

// عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ قَالَ: الدُّعَاءُ هَكَذَا وَأَشَارَ بِإِصْبَعٍ وَاحِدَةٍ مِقْمَعَةُ الشَّيْطَانِ.

// عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ كَانَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ فِي الصَّلاَة.

// عَنْ خَيْثَمَةَ: أَنَّهُ كَانَ يَعْقِدُ ثَلاَثاً وَخَمْسِينَ، وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ

// عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: كَانُوا إذَا رَأَوْا إنْسَانًا يَدْعُو بِإِصْبَعَيْهِ ضَرَبُوا إحْدَاهُمَا وَقَالُوا: إنَّمَا هُوَ إلَهٌ وَاحِدٌ.

// عَنْ إبْرَاهِيمَ، قَالَ: إذَا أَشَارَ الرَّجُلُ بِإِصْبَعِهِ فِي الصَّلاَة فَهُوَ حَسَنٌ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَلَكِنْ لاَ يُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ، فَإِنَّهُ يُكْرَهُ.




// عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِذَا قَعَدَ يَدْعُو، وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَيَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، وَوَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى إِصْبَعِهِ الْوُسْطَى، وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ.

// عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاضِعًا حَدَّ مِرْفَقِهِ الْأَيْمَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَحَلَّقَ بِالأَبْهَامِ وَالْوُسْطَى، وَرَفَعَ الَّتِي تَلِي الأَبْهَامَ يَدْعُو بِهَا.

فإذا دعوت فسأل الله خيرا كثيرا، فإنك تدعو كريما.

// عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ).[صحيح ابن حبان]

// رَوَة الطَّبَرَانِيُّ فِي كِتَابِ الدُّعَاءِ: عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم: (إِنَّ اللَّهَ جَوَّادٌ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنَ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ إِذَا دَعَاهُ أَنْ يَرُدَّ يَدَيْهِ صِفْرًا لَيْسَ فِيهِمَا شَيْءٌ).

// وروى الترمذي عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ) [صحيح]

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

والدعاء على قدر نية الداعي:

// عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-: (ادْعُـوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُـونَ بِالإِجَابَـةِ، وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْـتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ) [الترمذي: حسن]

// عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَـةَ زَوْجُ النَّبِيِّ -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِـزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- وَبِـأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَـةَ قَـالَ فَقَـالَ النَّبِيُّ -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْـرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْـدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُـومَةٍ لَنْ يُعَجِّلَ شَـيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ وَلَـوْ كُنْتِ سَـأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيـذَكِ مِنْ عَـذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَـذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ) [مسلم]

// ودعا رجل لعمر بن عبد العزيز فقال: أطال الله بقاءك فقال: لقد فـرغ اللـه من هـذا، فَـادْعُ لِي بِالصَّلَاحِ.

// قال أبـو ذر: يكفي من الـدعاء مـع الـبر مـا يكفي الطعام من الملح.

// قال سفيان بن عيينة: لم يـأمره بالمسـألة إلا ليعطي، وعنه قال: لا يمنع أحدكم من الــدعاء ما يعلمه من نفسه، فإن الله قد أجاب دعـاء شـر الخلـق إبليس، إذ قـال ﴿رَبِّ فَـأَنظِرْنِي إِلَى يَـوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: 79]

// وكان يقـال: الـدعاء في الرخـاء تقضـى بـه الحوائج في البلاء.

// وقـال رجـل لعـامر بن قيس: ادع اللـه لي، فقـال يـا ابن أخي، سـألت من عجـز عن نفسـه ولكن أطع الله يغفر لك دون دعائي.

اجتناب الاعتداء في الدعاء:

// قال تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَـةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]




// وروى ابن ماجة عَنْ أَبِي نَعَامَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا فَقَالَ أَيْ بُنَيَّ سَلْ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَعُذْ بِهِ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ) [صححه الألباني]

// ومن صور ذلك ترك آداب التضرع والخفية والخوف والطمع، ومنه الجهر الكثير والصياح، ومنه الذي يسأل ما لا يليق به من منازل الأنبياء وغير ذلك، ومنه الذي يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، والذي يسأل ما لا يفعله الله مما يناقض المشيئة والحكمة كطلب التخليد إلى يوم القيامة، أو البقاء في الدنيا أبد الآبدين، أو إهلاك كل الناس أجمعين أو الإعفاء من لوازم البشرية؛ أو أن يجعله من المعصومين؛ ومنه كل سؤال يناقض حكمة الله أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره؛ أو يتضمن خلاف ما اخبر به، فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله.

من روائع الأدعية:

// عن مُحَمَّد بْنُ أَبِي عُمَـرَ؛ قَـالَ: سَـمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: يُستَحَبُّ لِلرَّجُلِ إِذَا دَعَا أَنْ يَقُـولَ فِي دُعَائِهِ: اللهُمَّ! اسْـتُرْنَا بِسِـتْرِكَ الْجَمِيلِ، قَالَ سُفْيَانُ: وَمَعْنَى السِّتْرِ الْجَمِيلِ: أَنْ يَسْتُرَ عَلَى عَبْدِهِ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يَسْتُرَ عَلَيْهِ فِي الآخرة من غير أني يُوَبِّخَهُ عَلَيْهِ.

// وكان عمر بن عبد العزيز يدعو: اللهم اغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك.

// ومن دعاء الصالحين: يا رب سائل ببابك قد ذهبت أيامه، وبقيت آثامه، ونفدت شهواته، يسألك أن ترضى عنه، فإن لم ترض عنه فاعف عنه، فقد يعفو السيد عن عبده وهو عنه غير راض.

// اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، ومن الخوف إل منك.

// وقد كان ثابت البناني -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يتحادث كثيرا مع الملكين الكاتبين ويسلم عليهم صباحا ومساء فيقول لملائكة النهار أو ملائكة الليل إذا نزلوا السلام على الملكين الكريمين الكاتبين الحافظين اكتبا:

بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأشهد أن الجنة حق. وأن النار حق وأن الصراط حق وأن الميزان حق ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: 7].

اللهم إني وهذا اليوم أو هذه الليلة خلقان من خلقك فلا تبتلني فيه أو فيها إلا بالتي هي أحسن ولا تزين لي فيه أو فيها جراءة على





محارمك ولا ارتكابا لمعصيتك ولا استخفافا بحق ما افترضته علي.

اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56].

اللهم إني أعوذ بك في هذا اليوم من الزيغ والزلل ومن البلاء والبلوى ومن شر شماتة الأعداء ومن الظلم ومن دعوة المظلوم ومن شر كتاب قد سبق.

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا مصيبتي في ديني ولا تسلط علي بذنوبي من لا يرحمني ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

// وكان عطاء السُّلَمي يقول في دعائه: اللهم ارحم غربتي في الدنيا، ومصرعي عند الموت، ووحدتي في القبر، ومقامي بين يديك.

باب في الترغيب في الذكر

في البخاري وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ)

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ). [أحمد]

قال البَاجِيُّ في «سنن الصالحين»: قال بعض العلماء: إن اللّه عز وجل يقول: "أَيُّمَا عَبْدٍ اطلعت عَلَى قَلْبِهِ؛ فَرَأَيْتُ الغَالِبَ عَلَيْهِ التَّمَسُّكَ بِذِكْرِي؛ تَوَلَّيْتُ سِيَاسَتَهُ وَكُنْتُ جَلِيسَهُ وَمُحَادِثَهُ وَأَنِيسَهُ".

وقال أبو هريرة أبي هريرة إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض ما كان يذكر فيهم اسم الله كما تتراءون النجوم في السماء بقدر ما يذكر الرجل فيه فكذلك يرونه.

ورد عن معاذ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها). [رواه الطبراني في الكبير، نقلا عن الألباني في صحيح الجامع]

في مجالس الذكر

// قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)

// قال داود -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها علي.

// قال عون بن عبد الله: نعم المجلس مجلس تذكر فيه الحكمة، وتنشر فيه الرحمة.

// قال سفيان بن عيينة: إذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل أعتزل الشيطان والدنيا، فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين ما يصنعون؟! فتقول الدنيا: دعهم، فلو قد تفرقوا لأخذت بأعناقهم.

// وقال كعب الأحبار: لو أن ثواب المجلس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه.

// ويروى عن الضحاك بن قيس قال: طلبت العبادة في كل شيء فلم أجدها في شيء أفضل منها في مجالس الذكر.

// وقال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء.

// وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر.

// وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه دخل السوق فقال: أراكم ههنا وميراث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقسم في المسجد؟ فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

// وقال علقمة بن قيس: لأن أغدو إلى قوم أسألهم عن الله عز وجل ويسألوني عن الله

أحب إلى من أن أحمل على فرس في سبيل الله.

// يروى عن شداد بن حكيم أنه قال لمحمد بن جعفر: بلغني أنك تجلس للناس، فما أنت قائل لهم؟ قال: أذكرهم نعم الله وآلاءه حتى يشكروه، وأنبئهم بكثرة جفائهم لله حتى يتوبوا منه، وأحذرهم كيد عدوهم إبليس حتى يحذروه. فال له شداد: حق لك أن تجلس.

// ويروى عن حاتم الأصم أنه قال: بلغني أن من الأنبياء من لم يتبعه من أمته إلا رجل واحد، فلو قد خلّصتُ واحدا من يد إبليس في جميع مجالسي لكفاني.

// وقال عيسى بن مريم -عليه السلام-: من علم وعمل وعلّم، فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماوات.

// عن ابن مسعود أنه كان يقول إذا قعد: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، من زرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطئ بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فمن أعطي خيرا، فالله أعطاه، ومن وقي شرا، فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة.

// ويروى أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود أحببني وأحبب من يحبني، وحببني إلى خلقي، قال يا رب وكيف أحبّبك إلى خلقك؟ قال: تذكرني لهم، فإنه لا يذكرون مني إلا خيرا.

باب في فضل القرآن وأهله

قال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الحنة ومصباح في بيوتكم.

وقال أيضا: من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه.

وقال أبو هريرة: إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين.

قال أبو أمامة الباهلي: اقرءوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن.

وقال محمد بن كعب القرظي: إذا سمع الناس القرآن من الله -عَزَّ وَجَلَّ- يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط.

وقال الفضيل بن عياض: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه.

وقال أيضا: حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن.

وقال سفيان الثوري: إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه.

وقال عمرو بن ميمون: من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا.

وقال الحسن: والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقه.

قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19] أي بلغه القرآن.. قال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله عز وجل.

وقال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب

ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره.

وقال عبد الله بن مسعود: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقال الفضيل بن عياض: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه.

وقال أيضا: حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن.

وقال القاسم بن عبد الرحمن: قلت لبعض النساك: ها هنا أحد تستأنس به؟ قال فمد يده إلى المصحف ووضعه في حجري وقال: هذا.

وقال قتادة لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان، قال الله عز وجل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً﴾ [الإسراء: 82]

باب في هيئة القراءة

روى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ) «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»

وقال بشر بن السَّري: إنما الآية مثل التمرة، كلما مضغتها استخرجت حلاوتها.

وقال أحمد بن أبي الحواريِّ: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليال، ولولا أني أدع الفكرة فيها ما جُزتها أبدا.

وقال: إنما يؤتي أحدكم من أنه إذا ابتدأ السورة أراد آخرها.

باب في ما يكره لحامل القرآن

روى أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ).

وروى أحمد عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (إِنَّ أَكْثَرَ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا).

وقال أبو ميسرة: الغريب هو القرآن في جوف الفاجر.

باب فضل العلم وأهله

عن كميل بن زياد النخعي قال: أخذ بيدي عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، فخرج بي إلى ناحية الجبَّانة، فلما أصحر، تنفس الصعداء، ثم قال: يا كُميلُ، إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفَظ عني ما أقول لك: الناسُ ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهَمَج رَعاع، أتباعُ كُلِّ ناعق مع كل ريح يميلونَ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق.

يا كُميلُ، العلمُ خيرٌ من المال، العلمُ يحرسُك وأنت تحرسُ المالَ، والمالُ تنقصُه النفقة، والعلمُ يَزْكو على الإنفاق، ومنفعة المال تزولُ بزواله.

يا كُميل، محبة العلم دينٌ يُدان به، به يكسبُ الإنسانُ الطاعة في حياته، وجميلُ الأُحدوثة بعد وفاته، والعلمُ حاكمٌ، والمالُ محكومٌ عليه.

يا كميل، ماتَ خُزانُ المالِ وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقون ما بقيَ الدهرُ، أعيانهم مفقودةٌ، وأمثالهم في القلوب موجودةٌ، ها إنَّ هاهنا لعلماً جَمّاً -وأشار بيده إلى صدره- لو وجدتُ له حَمَلةً، بلى أجد لقناً غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، ويستظهِرُ بحجج الله على أوليائه، وبنعمه على عباده، أو منقاداً لحملة الحق ولا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشكُّ في قلبه لأوَّلِ عارض من شُبهة، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، أو منهوماً باللذة، سَلِس القياد للشهوة،

الراوي هو كُمَيْل بن زياد بن نهيك بن الهيثم النخعي، تابعي، ثقة، من أصحاب علي، قال ابن سعد: شهد مع علي صفين، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، قَتَلَه مبيرُ ثقيفٍ صبراً سنة 82 هـ




وذُكــر علي بن أبي طــالب -رَضِــيَ اللَّهُ عَنْــهُ- يوما عند ابن عبـاس -رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمـا- فقـال: كان يسكته الحلم، وينطقه العلم.

ويروى عن ابن عبـاس أنـه قـال: ذللت طالبـا فعززت مطلوبا

وقـــال ابن أبي مليكـــة: مـــا رأيت مثـــل ابن عباس، إذا رأيته رأيت أحسن النـاس وجهـا، فـإذا تكلم فـأعرب النـاس لسـانا، فـإذا أفـتى فـأكثر الناس علما.

ويروى عن ابن عباس أنه قال: خـير سـليمان بن داود بين العلم والملك والمال، فاختار العلم، فأعطي الملك والمال معه.

وسئل ابن المبـارك عن خـير النـاس؟ فقـال: العلماء، فقيل لـه: فمِن الملـوك؟ قـال: الزهـاد، وقيل له من السفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه.

وقـــال مالـــك بن أنس: ليس العلم بكـــثرة الروايـــة، إنمـــا العلم نـــور يجعلـــه اللـــه عز وجل في القلوب.

وقال أبو الدرداء: العـالم والمتعلم في الخـير شريكان، وسائر الناس همج لا خير فيهم.

قال ابن المبـارك: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة

وقال بعض العلماء الحكماء: العالم يـدخل في ما بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل.

وقـال بعض الحكمـاء: ليت شـعري، أي شـيء أدرك من فاتـه العلم، وأي شـيء فاتـه من أدرك العلم.

وقـال بعض الحكمـاء: لا أرحم أحـداً كرحمـتي لـــــــــــــرجلين، رجـــــــــــل يطلب العلم ولا فهم له، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه

ويروى عن سفيان الثوري أنه قدم عسقلان، فمكث ثلاثـا لا يسـأله إنسـان عن شـيء، فقـال:





اكتري لنـا أخـرج من هـذا البلـد، فـإن هـذا البلـد يموت فيه العلم.

وقال عطـاء: دخلت على سـعيد بن المسـيب وهو يبكي. فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: ليس أحد يسألني عن شيء.

ويـروى عن فتح الموصـلي أنـه قـال: أليس المـريض إذا منـع الطعـام والشـراب والـدواء يموت؟ قالوا نعم. قـال: وكـذلك القلب، إذا منـع عنه العلم والحكمة ثلاثة أيام يموت

وقال أبو الـدرداء: لأن أتعلم مسـألة أحب إلي من قيام ليلة.

وقال الحسن: مداد العلماء يوزن يوم القيامـة بدم الشهداء.

وكان يقال: العلماء سـرج الأزمنـة، كـل عـالم مصباح زمانه، يستضيء به أهل عصره.

ويُروى عن الحسن أنه قال: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم.

وقال عكرمة: إنّ لهذا العلم ثمناً، قـالوا: ومـا ثمنـه يـا أبـا عبـد اللـه؟ قـال: أن تضعه في من يحسن حمله ولا يُضيعه.

وقـال عيسـى: من علم وعمـل وعلم، فـذاك يُدعى عظيما في ملكوت السماوات والأرض.

وقال سـالم بن أبي الجعـد: اشـتراني مـولاي بثلاث مئـة درهم، فـأعتقني، فقلت: فأي حرفة أحترف؟ فاحترفت العلم، فما تمت لي السـنة حـتى أتـاني أمـير المؤمنين زائراً، فلم آذن له.

وقال يحيى بن معاذ: العلماء أرحم بأمة محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- من آبـائهم وأمهـاتهم، قيـل: وكيـف؟ قـال: لأن آبـاءهم وأمهـاتهم يحفظونهم من نار الـدنيا، والعلمـاء يحفظـونهم من نار الآخرة.




وقال زبير بن أبي بكر: كتب إليَّ أبي من العراق: يا بني، عليك بالعلم؛ فإنك إن افتقرت إليه كان مالاً، وإن استغنيت عنه كان جمالاً.

وقال بعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء، والطير في الهواء، ويُفقد وجهه ولا ينسى ذكره.

وقال أبو الدرداء: كُن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً، ولا تكن الرابع فتهلك.

وكان يقال: العلم ثلاثة: «آية محكمة، أو حديث مسند، ولا أدري»، فجعلوا لا أدري من العلم إذا كان صواباً من القول.

وفي زيادة: فمن قال: لا أدري، فقد حاز نصف العلم. وقال بعضهم: جُنّة العالم لا أدري، فقد أصيبت مقاتله.

وكان يقال: أول العلم الصمت، والثاني: الاستماع، والثالث: الحفظ، والرابع: العمل به، والخامس: نشره

وكان يقال: عَلِّم عِلْمكَ مَن يجهل، وتعلَّم مِمَّن يعلم؛ فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت

وكان يقال: ما أحسن الإيمان يُزينه العلم، وما أحسن العلم يُزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرفق، وما أضفت شيئاً إلى شيء أزين من حلم إلى علم، ومن
عفو إلى مقدرة.

وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عَمِلُوا شُغلوا، فإذا شُغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا، فإذا هَرَبوا أمنوا.

وكتب رجل إلى عبد الله بن عمر: أن اكتب إلي بالعلم كله، فكتب إليه عبد الله بن عمر: العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خميص البطن من أموال الناس، سليم الظهر

من دمائهم، كـاف اللسـان عن أعراضـهم، لازمـاً لجماعتهم، فافعل.

وقال الخليـل بن أحمـد: اجعـل مـا في الكتب بيت مال [رأس مال]، وما في قلبك للنفقة.

وقيل: أربع لا يشبعن من أربع: عين من نظر، وأُذن من خـــــــــــــــــــبر، وأرض من مطر، وعالم من أثر.

وقال ابن شـهاب الزهـري: العِلم ذَكَـر، وليس يحبه إلا ذكور الرجال.

وقال مالك بن أنس: لولا النسيان لكـان أكـثر الناس علماء.

باب في آفات العلم وأهله

روى ابن ماجة عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ).

ويروى إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة، عالم لم ينفعه الله بعلمه.. ولا يكون العالم عالماً حتى يكون بالعلم عاملاً.. وأن العلم علمان: علم على اللسان، فذلك حُجَّة الله عَزَّ وَجَلَّ على ابن آدم، وعلم في القلب فذلك العلم النافع.. وأنه يكون في آخر الزمان عُبَّاد جهال وعُلماء فساق.

وقال بعض العلماء: لا تطلبوا العلم رياء، ولا تتركوه حياء.

وقال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لا خير في الصمت عن العلم، كما لا خير في الكلام عن الجهل.

وقال عيسى: لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تؤتوها غير أهلها فتظلموها.

وقال سلمان الفارسي: علم لا يُقال به، ككنز لا ينفق منه.

وقال بعض الحكماء: علم لا ينفع، ككنز لا ينفق منه شيء.

وقال ابن مسعود: مَنْ أفتى الناس في كل ما يسألونه؛ فهو مجنون

وقيل: جُنّة العالم لا أدري، فإذا أخطأها أصيبت مقاتله.

وقال الحسن: لا تكن ممن يجمع علم العلماء، وطرائف الحكماء، ويجري في العمل مجرى السفهاء.

وقال عيسى: ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب، وما

أكثر العلوم وليس كلها بنافع، وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد.

وقال رجل لأبي هريرة: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه، فقال: «كفى بترك العلم إضاعة»

وقيل لإبراهيم بن عيينة: أي الناس أطول ندامة؟ فقال: أما في عاجل الدنيا؛ فصانع المعروف إلى من لا يشكره، وأما عند الموت؛ فعالم مفرط.

وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري، فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فذلك مسترشد فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فارفضوه.

وقال عمر بن الخطاب: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة: المنافق العليم، قالوا: وكيف يكون منافقاً عليماً؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

وروى أحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (أَنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ).

وقيل: من ازداد علماً ولم يزدد زهداً، لم يزدد من الله إلا بعداً.

وقال سفيان الثوري: يهتف العِلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل

وقال زياد: إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الأذن

وقال عيسى: إلى متى تصفون الطريق للمدلجين، وأنتم مقيمون مع المتحيرين



وقال ابن المبارك: لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل

وقال بعض الحكماء: مَنْ لم يتعاهد علمه في الخلاء فضحه في الملاء

وقال الفضيل: إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغنيا افتقر، وعالماً يلعب به أبناء الدنيا.

وقال الفضيل: لو كان للعلماء صبر، ما تمندل هؤلاء بهم.

وقال الفضيل: واسوءتاه من أن يقال: فلان ابن عياض القارئ قدم حاجاً في نفقة فلان الفاجر.

وقيل ليحيى بن معاذ الرازي: متى يذهب بهاء العلم والحكمة؟ فقال: إذا طلبت الدنيا بهما.

وقال الحسن: عقوبة العلماء موت القلوب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.

وقال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى أبواب الأمراء؛ فهو لص.

وقال الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً.

وقال مكحول الدمشقي: من تعلم القرآن وتفقه في الدين، ثم صَاحَبَ السلطان تملقا إليه وطمعاً لما في يديه؛ خاض في نار جهنم بعدد خطاه.

وقال مالك بن دينار: قرأتُ في بعض الكتب أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: إنَّ أهونَ ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه.

وقال عمر بن الخطاب: إذا رأيتم العالم محبا للدنيا، فاتهموه على دينكم؛ فإن كل محب يخوض في ما أحب.




وكتب رجل إلى أخ له: يا أخي، إنك قـد أوتيت علمـــا، فلا تطفئن نـــور علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمـة يـوم يسـعى أهل العلم بنور علمهم.

وأنشدوا في هذا المعنى

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يُصلح الملح إذا الملح فسد

وكان يحيى بن معـاذ الـرازي يقـول: يـا أهـل العلم والسـنة، قصـوركم قيصـرية، وبيـوتكم كسروية، وأثوابكم ظاهرية، وأخفـافكم جالوتيـة، ومراكبكم قارونية، وأصـباغكم ماردية، وأوانيكم فرعونية، ومآثمكم جاهلية، ومذاهبكم شـيطانية، فأين المحمدية.

باب في من يخالف قوله فعله

عاب الله تعالى من يخالف قوله فعله، فقال عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة44]

وقال عز وجل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3]

وقال عز وجل في قصة شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: 88]

وقال الحسن: يا عجبا لألسن تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف.

وقال الشعبي: يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار، فيقولون لهم: ماذا أدخلكم النار، وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله.

وقال حاتم الأصم: ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما، فعملوا به ولم يعمل هو به، ففازوا بسببه وهلك هو.

وقيل: «مثل الذي يُعلم الناس ولا يعمل هو به، كمثل المصباح يحرق نفسه والضوء لغيره.

وقال مالك بن دينار: العالم إذا لم يعمل بعلمه؛ زالت موعظته من القلوب كما يزال القطر عن الصفاء.

وقال ابن السماك: كم مِنْ مُذَكِّر بالله ناس الله، وكم من مُخوّف بالله جريء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله، وكم من داع إلى الله فار من الله، وكم من تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله.

وقال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي، إلا وجدت قولي مكذبا.

وقال إبراهيم بن أدهم: لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن، ولحنا في أعمالنا فلم نعرب.

وقال الأوزاعي: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع.

وقال عيسى: مثل الذي تعلم العلم ولا يعمل به، كمثل امرأة زنت في السر، فظهر حملها، فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه، يفضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

باب في فضل الطهارة

في سنن النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابِحِيّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فَتَمَضْمَضَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجْتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ).

في صحيح ابن حبان حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ، أَنَّ أَبَا كَبْشَةَ السَّلُولِيَّ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ ثَوْبَانَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ)

وفي سنن الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: (نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءَ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾

[التوبة: 108]" قَالَ: «كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالمَاءِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيهِمْ»

وقيل: من ذكر الله عند وضوئه طهر جسده كله، ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء.

وقال عمر بن الخطاب: إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان.

ويُروى عن نافع أنه قال: ما رأيتُ قط عبد الله بن عمر جالسا إلا طاهراً.

وقال مجاهد: من استطاع ألا يبيت إلا طاهراً ذاكراً الله مستغفراً، فليفعل. قال: فإن الأرواح تبعث يوم القيامة على ما قبضت عليه.

وروى النسائي عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنَ أَيِّهَا شَاءَ).

باب في فضل السواك

قال البخاري في صحيحه: بَاب سِوَاكِ الرَّطْبِ وَالْيَابِسِ لِلصَّائِمِ وَيُذْكَرُ عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لَا أُحْصِي أَوْ أَعُدُّ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ) وَيُرْوَى نَحْوُهُ عَنْ جَابِرٍ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يَخُصَّ الصَّائِمَ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ) وَقَالَ عَطَاءٌ وَقَتَادَةُ يَبْتَلِعُ رِيقَهُ.



وروى الطبراني عن بن عباس عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (أمرت بالسواك حتى خفت على أسناني) [صحيح الجامع]

(أمرت) أي أمرني اللّه، قال القاضي: إذا قال الرسول أمرت فهم أن اللّه تعالى أمره وإذا قاله الصحابي فهم أن الرسول أمره فإن من اشتهر بطاعة رئيس إذا قال ذلك فهم أن الرئيس أمره (بالسواك حتى خفت على أسناني) أراد ما يعم الأضراس.

قال أهل العلم: إن أفواهكم طرق القرآن، فطيبوها بالسواك.

ويُروى عنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أنه كان يستاك في الليلة مراراً.

ويُروى عن ابن عباس أنه قال: لم يزل رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يأمر بالسواك، حتى ظننت أنه سينزل عليه فيه شيء.

ويُروى عن أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أنهم كانوا يروحون والسواك على آذانهم .

وقال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: السواك يزيد في الحفظ ويُذهب البلغم.

باب في فضل الأذان

روى البخاري حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ لَهُ إِنِّي أَرَاك تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وروى مسلم عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عَمِّهِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ يَدْعُوهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وقال مالك بن أنس: أذن بلال بالشام فبكى الناس يومئذ.

وقال سعيد بن المسيب: من صلى بأرض فلاة، صلّى عن يمينه ملك، وعن شماله ملك، فإن أذن وأقام الصلاة وصلّى، صلّى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

وقيل في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنَ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 32] «إنها نزلت في المؤذنين»

باب في فضل صلاة الفريضة

روى أبو دلاود عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ يُدْعَى الْمَخْدَجِيَّ، سَمِعَ رَجُلًا بِالشَّامِ يُدْعَى أَبَا مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: إِنَّ الْوِتْرَ وَاجِبٌ، قَالَ الْمَخْدَجِيُّ: فَرُحْتُ إِلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ عُبَادَةُ: كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»

قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا

صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يُكتب عليكم حتى تستيقظوا) (صحيح الطبراني في الصغير والأوسط] ومعنى تحترقون: تقعون في الهلاك بسبب الذنوب الكثيرة.

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا).

وروى مالك سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ لَا يَسْتَطِيعُونَهُمَا) أَوْ نَحْوَ هَذَا.

وقال سعيد بن المسيب: ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد.

وقال محمد بن واسع: ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة: أخا إن تعوجت قومني، وقوتا من الرزق عفواً بغير تبعة، وصلاة في جماعة يُرفع عنِّي سَهُوها ويُكتب لي فضلها

وقال بكر بن عبد الله: مَنْ مثلك يا ابن آدم، إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن دخلت على مولاك، فكلمته بغير ترجمان، قيل: وكيف ذلك؟ قال: تسبغ وضوءك وتدخل محرابك، فإذا أنت دخلت على مولاك فكلمته بغير ترجمان.

ويُروى: أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوماً مرّةً، فلما انصرف قال: ما زال الشيطان بي آنفا، حتى رأيت أن لي فضلاً على غيري، لا أؤم أحداً أبداً.

وقال الحسن: لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء.

وقال النخعي: مثل الذي يؤم الناس بغير علم، كمثل الذي يكيل الماء في البحر، لا يدري زيادته من نقصانه.

وقال حاتم الأصم: فاتتني الجماعة، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف؛ لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا.

وقال ابن عباس: من سمع المنادي ثم لم يجب من غير عذر، فلا صلاة له.

وقالت عائشة: من سمع المنادي ثم لم يُجب، فلم يرد خيراً ولم يرد له.

وقال أبو هريرة: لأن تُمْلأ أذن ابن آدم رصاصاً مذابا، خيراً له من أن يسمع النداء ثم لم يجبه.

وقال بعض العلماء: مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يخلص له الربح حتى يخلص له رأس المال، كذلك المصلي لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدي الفريضة.

ويُروى: أن ميمون بن مهران أتى يوماً إلى المسجد، وقد انصرف الناس فقيل له: يا أبا أيوب، قد صلّى القوم، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لفضل هذه الصلاة أحب إلي من ولاية العراق.

ويُروى عن علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه كان يقول إذا سلّم من الصلاة: لا إله إلا الله، لا نعبد إلا إياه، ولا نشرك به شيئا.

<u>بين الإمامين «عَبْدُ اللَّهِ بن شَقِيقٍ العُقَيْلِيّ» (ت 108هـ) و«الزُّهْرِيِّ» (ت 124ه)!</u>

في كلّ مرة تُناقَش فيها مسألة كُفر تارك الصلاة يُهيمن عليها ما نقله عبد الله بن شَقيقٍ من إجماع الصحابة على كُفر تاركها، وما نُقلَ عن الزهري بعدم كفر تاركها؛ وذلك لأنهما من أقدم من تكلما في هذه المسألة.



قول ابن شقيق والزهري:

قال عبد الله بن شَقِيق: «لَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ».

وفي رواية: «مَا عَلِمْنَا شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ قِيلَ: تَرْكُهُ كُفْرٌ، إِلَّا الصَّلَاةَ».

وفي ثالثة: «مَا كَانُوا يَقُولُونَ لِعَمَلٍ تَرَكَهُ رَجُلٌ كُفْرٌ غَيْرِ الصَّلاةِ! كَانُوا يَقُولُونَ: تَرْكُهَا كُفْرٌ».

وسُئِلَ ابن شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ عَنِ الرَّجُلِ، يَتْرُكُ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ إِنَّمَا تَرَكَهَا أَنَّهُ ابْتَدَعَ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ قُتِلَ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ فَاسِقٌ ضُرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا وَسُجِنَ».

فهذا الزهري يخالف ما قاله ابن شقيق، ومن اعترض على قول ابن شقيق قال: الزهري من كبار أهل العلم، وهو من أعلم الناس بالسنن والآثار، فكيف خَفي عليه هذا الإجماع؟

أقول - وبالله الاستعانة -:

عبد الله بن شقيق، والزهري كلاهما من أئمة المسلمين، من كِبار الثقات الأثبات، لكن حديث ابن شقيق قليل جداً، وحديث الزهري كثير، وكان حافظ زمانه.

كلام سليمان التيمي في عبد الله بن شقيق بسبب اختلافهما في المذهب!

ولم يتكلّم أحد في حديثهما، وإنما كان سُلَيْمَان التّيميّ سيء الرأي في ابن شقيق! وذلك لأنه كان فيه بعض النَّصب أي كان عُثمانياً.

قال الذهبي: "وَكَانَ سُلَيْمَانُ التّيميّ سَيء الرَّأْيِ فِيهِ؛ لِكَوْنِهِ كَانَ يَنَالُ مِنْ عَلِيٍّ بعض الشّيء".

وقال ابن خلفون: "يُقال: لم يوافق مذهبه مذهب سليمان التميمي، فلذلك كان سيء الرأي فيه، وكان ابن شقيق من الفضلاء الأخيار وهو

ثقة قاله أحمد بن صالح، وابن وَضّاح، وابن عبد الرحيم - هو: البرقي -، وغيرهم".

قلت: تكلّم فيه سليمان بسبب مَذْهَبِهِ؛ لأنه كَانَ يَحْمِل عَلَى عَلِيٍّ، وكان سليمان يميل لعليّ.

قال ابن سعد: "وكَانَ سُلَيْمان مائلاً إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه".

قلت: هذا مما انتشر بين أهل العلم في تقديم عثمان على عليّ أو العكس! فمن كَانَ يُقَدِّمُ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ يسمّونه = عُثْمَانِيّاً، ومن كَانَ يُقَدِّمُ عَلِيّاً عَلَى عُثْمَانَ يسمّونه = عَلوياً.

ومِمن كان عُثْمَانِيّاً: النعمان بن بشير، ومُعَاوِيَة بن حُدَيْجٍ، وبُسر بن أبي أرطأة، وقَيْس بن أَبِي حَازِمٍ الكُوْفِيّ، وشَقِيْق بن سَلَمَةَ أَبُو وَائِلٍ الكُوْفِيّ، وعَاصِم بن أَبِي النَّجُوْدِ المُقْرِئ الكُوْفِيّ، وأَبُو حَصِيْنٍ عُثْمَان بن عَاصِمِ بن حَصِيْنٍ الكوفي، ومُغِيْرَة بن مِقْسَمٍ الضَّبِّيَّ الكوفي، ومُحَمَّد بن عُبَيْدِ الطَّنَافِسِيّ الكوفي، وأَبُو قِلاَبَةَ الجَرْمِيّ البَصْرِيّ، وعبد الله بن عَوْنِ البصري، وحَمَّاد بن زَيْدِ بنِ دِرْهَمٍ البصري، ويزيد بن زُريعٍ البصري، وبِشْر بن المُفَضَّلِ الرَّقَاشِيّ البصري.

والغريب أن هناك منْ كَانَ يُقَدِّمُ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ من أهل الكوفة!

قال الذهبي: "وَقَلَّ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا مِنَ الكُوْفِيِّيْنَ".

قَالَ عَاصِم بن بَهْدَلَةَ المُقرئ: قِيْلَ لأَبِي وَائِلٍ: أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ، عَلِيٌّ أَوْ عُثْمَانُ؟

قَالَ: "كَانَ عَلِيٌّ أَحَبَّ إِلَيَّ، ثُمَّ صَارَ عُثْمَانُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ".

قلت: فالحاصل أن التيمي تكلّم في عبد الله بن شقيق بسبب مذهبه في تقديم عثمان على عليّ لا يؤثر عليه ولا على حديثه.

ومن أجل رأي سليمان هذا فيه أورده ابن عدي في «الكامل» لا لضعفه في الحديث.

وقد وثّقه أهل العلم في الحديث ولم يُضعّفه أحد، وكان يَحْيَى بن مَعِينٍ يَقُولُ:

"عَبْد اللَّهِ بنُ شَقِيق مِنْ خِيَار المُسْلِمين، لا يُطْعَنُ فِي حَدِيثِهِ".

جلوس عبد الله بن شقيق مع الصحابة والسماع منهم:

وعبد الله بن شقيق قد رأى بعض كبار الصحابة، وجلس مع كثير من الصحابة، وسمع منهم.

قَالَ: "جَلَسْتُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-".

وقال مرةً: "كنا جلوساً بباب عمر، ومعنا أبو ذر".

وقَالَ أيضاً: "جاورت أبا هُرَيْرَةَ سنة".

وقد سمع من عثمان، وعليّ، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وحديثه عنهم في «صحيح مسلم».

وحديثه قليل ولا يعني ذلك أنه لم يسمع كثيراً، وإنما كان من منهج كثير من الصحابة والتابعين عدم التوسع في الرواية، فكانوا يُحدّثون بحسب الحاجة أو السؤال. وكان قد عُمِّرَ دَهْرًا، ومات سنة 108هـ

وأما الزهري فكان من أوعية العلم، وُلِدَ سَنَةَ (50هـ) وقيل سنة (56هـ)، وَطَلَبَ العِلْمَ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَلَهُ نَيِّفٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، ولم يسمع من الصحابة إلا من مالك بن أنس.

*إجماعٌ لا مُخالف له!

فعبد الله بن شقيق يُخبر عن الصحابة أنهم لم يَرَوا شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ، ولم نجد مخالفاً لهذا النقل عن أي صحابي = فهو إجماع عنهم.

فهل قول الزهري يخرم هذا الإجماع؟!

أقول: علمياً ومنطقياً لا يخرم هذا الإجماع لا قول الزهري ولا غيره، ولا اعتبار لأي قول لعالِم بعد هذا النقل، ولا يؤول هذا النص كمن حمله عَلَى تَرْكِ الجُحُودِ، وَعَلَى الزَّجْرِ وَالوَعِيدِ، فلا يُحمل على غير ظاهره إلا بقرينة، ولا قرينة تصرفه عن حقيقته، وقد قال الإمام أحمد: "أما من فسره جحوداً فلا نعرفه"، ولا علاقة لنا بالاحتمالات التي تنقدح في رؤوس من يريد إسقاط هذا النص المنقول عن جماعة الصحابة.

وقد أشغلنا كثير من المعاصرين بمسألة أن هذا الإجماع يُعد إجماعاً سكوتياً!

وأدخلونا في اختلاف أهل العلم في الإجماع السكوتي! فهلا يأتونا بإجماعات غير سكوتية عن الصحابة! فالأصل أنه إذا نُقل عن الصحابة مذهب ولم يوجد له مخالف من غيرهم فهذا إجماع، ودعونا من السكوتي وغير السكوتي!

وكذلك أشغلونا بأن قول ابن شقيق فيه تردد! ولا أدري هل قائل ذلك يَعي ما يقول!

ومن هنا لا بدّ لطالب العلم أن لا يكون متأرجحاً في كثير من المسائل التي حصل فيها الخلاف بين أهل العلم، فالأصل هو اتباع الدليل والحجة، فإن ثبت ذلك فحينها يُهمل كل قول يخالف وإن خرج من أئمة كبار، وهؤلاء الكبار علمونا ذلك، فليضرب رأيهم بُعرض الحائط إن أثبت الدليل خلاف قولهم.

والعلماء والفقهاء الذين خالفوا في هذه المسألة إنما خالفوا لأدلة وجدوها – وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله -، وأما المعاصرون فكثير منهم خالف بسبب وقوعه في الإرجاء! فهم يرون أن العمل في مسمى الإيمان إنما هو للكمال، فلو ترك المسلم العمل بالكلية فهو مسلم! والله المستعان.

النظر في إسناد الروايات:

*** قول عبد الله بن شقيق: وقد يطعن بعضهم بما نقله عبد الله بن شقيق بأن الراوي عنه: الجُرَيْرِيّ وكان قد اختلط!**

فأقول: روى هذا الأثر عن الجُرَيْرِيّ: إِسْمَاعِيلُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابن عُليّة، وبِشْرُ بنُ المُفَضَّلِ البصريّ، وكلاهما سمع منه قبل اختلاطه، وكان ابن علية من أرواهم عنه. وحديث بشر عنه في «الصحيحين»، وحديث ابن علية عنه في «صحيح مسلم».

فرواية الجريري عن عبد الله بن شقيق صحيحة، ولا علة فيها.

وقد أخرج الحاكم في «مستدركه» هذا الأثر عن أَحْمَدَ بن سَهْلٍ البخاريّ الفَقِيه، عن قَيْسِ بنِ أُنَيْفٍ البُخاريّ، عَن قُتَيْبَةَ بنِ سَعِيدٍ، عن بِشْرِ بن المُفَضَّلِ، عَنِ الجُرَيْرِيِّ، عَنْ عبد الله بن شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرًا غَيْرَ الصَّلَاةِ» فزاد فيه: "عن أبي هريرة"! وهو خطأ!

وقد رواه الترمذي في «جامعه» عن قُتَيْبَة، ولم يذكر: "عن أبي هريرة".

وقد رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» عن مُحَمَّدِ عُبَيْدِ بنِ حِسَابٍ، وَحُمَيْدِ بنِ مَسْعَدَةَ، كلاهما عن بِشْرِ بن المُفَضَّلِ، به، ولم يذكرا: "عن أبي هريرة"!

وكأنه حصل سبق نظر للحاكم - رحمه الله - عندما نقل هذا الإسناد، والله أعلم.

ولم يحكم الحاكم على هذا الإسناد كما في مطبوعات الكتاب، لكن نقل ابن حجر في «التلخيص الحبير» أن الحاكم صَحَّحَهُ عَلَى شَرْطِهِمَا! فالله أعلم.




*قول الزهري:

وأما قول الزهري فرواه إِبْرَاهِيمُ بنُ سَعْدٍ المدني، عَنِ ابنِ شِهَابٍ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ، يَتْرُكُ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ إِنَّمَا تَرَكَهَا أَنَّهُ ابْتَدَعَ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ قُتِلَ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ فَاسِقٌ ضُرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا وَسُجِنَ».

وإِبْرَاهِيم بن سعد ثقة، لكن قد تكلّم بعض أهل العلم في روايته عن الزهري!

قَال صالح بن مُحَمَّد الحافظ المعروف بجَزرة: "سماعه من الزُّهْرِيّ ليس بذاك؛ لأنه كان صغيراً حين سمع من الزُّهْرِيّ".

قلت: وُلِد إبراهيم سنة(108هـ)، وتوفي سنة (183هـ) وهو ابن خمس وسبعين، والزهري توفي سنة(124هـ) = يعني كان عمره لما توفي الزهري (16) سنة.

والزهري مدني لكنه كان ينزل الشام كثيراً، وكان يحجّ مع الخلفاء حتى وفاته بعد موسم الحج راجعاً إلى الشام.

فلا ندري كم كان عُمر إبراهيم بن سعد لما سمع من الزهري! وأين؟ ومتى؟ وما حجم سماعه منه؟ وعلى كل حال هو كما قال صالح جزرة سمع منه وهو صغير!

وحديثه عنه في «الصحيحين» وغالبه قد تُوبِع عليه، وغالباً ما يروي له مسلم عن الزهري في المتابعات، ويروي عن الزهري كثيراً بواسطة صَالِح بن كَيْسَانَ كما في «الصحيحين» أيضاً.

قال يَحْيَى بن معين: قال لي إِبْرَاهِيْم بن سَعْد: قال مُحَمَّد ابن أخي الزُّهْرِي: "عندي من حديث الزُّهْرِي ثلاثين غُنْدَاقًا - يعني: كتاباً، والغُنداق: السجل -. قال: قلت له: "أَجِيئُكَ إلى بلدك أكتبها"؟ قال: "لا".

قلت: الشاهد أن إبـراهيم بن سـعد لم يسـمع كل شيء من الزهري، ولا نـدري هـل سـمع هـذا القول من الزهري أم أخذه من بعضهم!

وهذا القول رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قـــدر الصـــلاة» عن مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى الـذهليّ، قَـالَ: حَـدَّثَنَا عَبْـدُ العَزِيـزِ بنُ عبـد اللـه الْأُوَيْسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْـرَاهِيمُ بنُ سَـعْدٍ، عَنِ ابنِ شِـهَابٍ، أَنَّهُ سُـئِلَ عَنِ الرَّجُـلِ، يَتْـرُكُ الصَّـلَاةَ؟ فذكره.

ورواه الخلّال في كتابه «الجامع لعلوم أحمد» فيما يتعلق بأهل الملل والردة والزنادقـة وتـارك الصلاة والفـرائض – عن عبـد اللـه بن أحمـد، عن زَكَرِيَّا بن يَحْيَى زَحْمَوَيْهِ، قال: حـدثنا إبـراهيم بن سعد، قال: سـألت ابن شـهاب عن الرجـل يـترك الصلاة، فذكره.

وزاد: "والذي يُفطر في رمضان من غـير علّـة مثل ذلك".

هكـذا أورده الخلال في آخـر "بـاب في تـارك الصـيام" وليس عن الإمـام أحمـد كمـا هـو واقـع كتابـه في جمـع أقـوال الإمـام أحمـد في كـل الأبواب.

وما وقـع في المطبـوع: "سـألت" يخـالف مـا في كتـاب المـروزي! والأصـوب مـا في كتـاب المروزي؛ لأن إبراهيم لم يكن أهلاً حينها ليسـأل الزهري مثل هذا، فيكون مـا في مطبـوع الخلال مُصحّف! تصحفت: "سئل" إلى "سألت"!

وهذا القول الـذي رواه سـعد بن إبـراهيم عن الزهـري فيـه نظـر! فهـو يُخـالف مـا عُـرف عن الزهري من معرفتـه بالآثـار والسـنن – وهـذا مـا احتج به من عارض به قول عبد الله بن شقيق -!

روى مَعمرٌ عن الزُّهْرِيِّ، قَـالَ: «ثَـارَتِ الفِتْنَـةُ وَأَصْـحَابُ رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مُتَـوَافِرُونَ، فَـأَجْمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَصَـابَ





دَمًا، أَوْ فَرْجًا، أَوْ مَالًا، بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يُوجَدَ الْمَالُ قَائِمًا بِعَيْنِهِ».

ورواه سُفْيَانُ بن عُيينة عنه، قَالَ: «وَقَعَتِ الفِتْنَةُ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، فَلَمْ يَرَوْا قِصَاصًا عَلَى مَالٍ، وَلَا دَمٍ، أُصِيبَ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَلَا فِي فِتْنَةٍ، وَذَلِكَ لِسُوءِ حَالِهِمْ، أَنْزَلُوهُمْ مَنْزِلَةَ الجَاهِلِيَّةِ، لَا إِمَامَ لَهَا، وَبِالْإِمَامِ تُقَامُ الحُدُودُ»، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (كُلُّ دَمٍ أُصِيبَ فِي الجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ).

بل إنه كان يتورع أحياناً في تفسير بعض الأحاديث، فقد روى سُفْيَانُ بن عُيينة، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلزُّهْرِيِّ: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)، وَمَا أَشْبَهَ مِنَ الحَدِيثِ؟ قَالَ سُفْيَانُ: فَأَطْرَقَ الزُّهْرِيُّ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ العِلْمُ، وَعَلَى الرَّسُولِ البَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ».

وكذلك الزهري يعرف قدر الصلاة، ويبعد أن يكون أفتى بذلك القول الغريب!

فالسؤال عمّن يترك الصلاة، فلم يذكر مسألة الترك لابتداع غير دين الإسلام! = فهذا غريبٌ جداً!

وقد روى الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- احْتَمَلْتُهُ أَنَا وَنَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى أَدْخَلْنَاهُ مَنْزِلَهُ، فَلَمْ يَزَلْ فِي غَشْيَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى أَسْفَرَ فَقُلْنَا: الصَّلَاةَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِأَحَدٍ تَرَكَ الصَّلَاةَ»، فَصَلَّى وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا.

فهل يُعقل أن الزهري يروي هذا القول عن عمر ويُفتي بذلك القول؟!

فالحاصل أن القول المنقول عن الزهري فيه نكارة، ولا يثبت أن إبراهيم بن سعد سمعه من الزهري! ولا يُعرف عن أصحاب الزهري الكبار الذين لازموه!

وإن أبى من يرى صحة القول عن الزهري فيُقدّم من نقل عن الصحابة وجالسهم وسمع منهم أنهم كانوا لا يرون شيئاً تركه كفر إلا الصلاة.

ويؤيد هذا ما رواه أَبو الزُّبَيْرِ، وأَبو سُفْيَانَ طَلْحَةُ بنُ نَافِعٍ، عَنْ جَابِرِ بنِ عبد الله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»

وبوّب عليه الترمذي «بَاب مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ»، ولم يذكر باباً للرأي الآخر،

وقال عن رواية أَبي الزُّبَيْرِ، وَأَبي سُفْيَانَ: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

قلت: وهو كذلك، ومسألة تدليس أبي الزبير، ورواية أبي سفيان عن جابر بأنها صحيفة فيها كلام طويل وحاصله أن أبا الزبير لم يثبت تدليسه - والأصح إرساله - عن جابر إلا في حديثين، ورواية أبي سفيان عن جابر ليس من صحيفة بل سمع منه أحاديث كثيرة، وقد رواها الأعمش عنه.

ويؤيد ذلك أن مُجَاهِدِ بن جبرٍ أَبا الحَجَّاجِ روى عَنْ جَابِرِ بنِ عبد الله الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا كَانَ فَرْقُ بَيْنِ الكُفْرِ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ»

ومجاهد لم يسمع من جابر، وإنما أخذ حديثه من صحيفة سليمان اليشكري، والقائل هنا: "قلت له" هو: اليشكري.

ويؤيده كذلك ما رواه الحَسَنِ، قَـالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ كَـانُوا يَقُولُـونَ: «بَيْنَ العَبْـدِ وَبَيْنَ أَنْ يُشْـرِكَ فَيَكْفُـرَ أَنْ يَدَعَ الصَّلَاةَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ»

والآثار المروية عن التابعين ومن بعدهم **في هذا البـاب كثـيرة، وغالبهـا صـحيح بخلاف من زعم أن غالبها ضعيف دون تحقيق!**

وهي في كتب المصنفات، والتـواريخ، وكتـاب السـنة للخلال، وكتـاب المـروزي في الصـلاة، وإيرادهـا هنـا يطـول، والنـاظر فيهـا لا يشـك بإجماع العلماء على ذلك، وإنما خالف بعض أهـل العلم لورود أدلة أخرى ذكرها المروزي في كتاب «تعظيم قدر الصلاة»

فبعد أن ذكر «بَاب ذِكْـرِ إِكْفَـارِ تَـارِكِ الصَّـلَاةِ» وأورد فيه الآثار أتبعه بـ «بَـابِ ذِكْـرِ الْأَخْبَـارِ الَّتِي احْتَجَّتْ بِـهِ هَـذِهِ الطَّائِفَـةُ الَّتِي لَمْ تُكَفِّرْ بِتَـرْكِ الصَّلَاةِ»

ثم ذكـر الأحـاديث الـتي فيهـا الأمـراء الـذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، ثم ذكر حَـدِيث عُبَـادَةَ بنِ الصَّـامِتِ: «خَمْسُ صَـلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى العِبَـادِ مَنْ أَتَى بِهِنَّ لَمْ يُضَـيِّعْ مِنْ حَقِّهِنَّ شَـيْئًا اسْـتِحْقَاقًا بِحَقِّهِنَّ كَـانَ لَـهُ عِنْـدَ اللَّهِ عَهْـدًا أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ جَاءَ وَلَيْسَ لَهُ عِنْـدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»

ثم ساق قول الزهري.

ثم رد على هـذه الحجج، فقـال: "مَنِ احْتَجَّ لِلطَّائِفَـةِ الْأُولَى لَيْسَ فِي هَـذِهِ الْأَخْبَـارِ الَّتِي احْتَجَجْتُمْ بِهَـا دَلِيـلٌ عَلَى أَنَّ تَـارِكَ الصَّـلَاةِ عَمْـدًا حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا لَا يَكْفُـرُ مُتَعَمِّدِينَ لِتَرْكِهَـا حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا، إِنَّمَا قَالَ فِي حَدِيثِ عُبَـادَةَ: «يَكُـونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَشْـغَلُهُمْ أَشْـيَاءُ عَنِ الصَّـلَاةِ» فَإِنَّمَـا أَخَّرُوهَـا عَنِ الْـوَقْتِ الَّذِي كَـانَ تُصَـلَّى فِيـهِ عَلَى عَهْـدِ النَّبِيِّ صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ وَالْخُلَفَـاءِ

الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي نَخْتَارُ فَكَانُوا يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِ الِاخْتِيَارِ إِلَى وَقْتِ أَصْحَابِ الْعُذْرِ اشْتِغَالًا مِنْهُمْ بِقِرَاءَةِ الْكُتُبِ الَّتِي كَانُوا يَقْرَءُونَهَا...".

ثم فصّل في الروايات، ثم قال: "فَهَذَا قَوْلُ مَنْ ذَهَبَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُونُوا يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ حَتَّى يَخْرُجَ الْوَقْتُ كُلُّهُ، إِنَّمَا كَانُوا يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِ الِاخْتِيَارِ وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يُصَلَّى فِيهِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَيُصَلُّونَ فِي آخِرِ وَقْتِ الْعُذْرِ، وَذَلِكَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَلِذَلِكَ لَمْ يُثْبِتُوا عَلَيْهِمُ الْكُفْرَ".

<u>وأما حديث عبادة فذكر رواية: «مَنْ جَاءَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ قَدْ أَكْمَلَهُنَّ لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْ حَقِّهِنَّ شَيْئًا جَاءَ لَهُ وَعِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ وَقَدِ انْتَقَصَ مِنْ حَقِّهِنَّ شَيْئًا جَاءَ وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ»</u>

قَالَ: "فَقَالَ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ قَدِ انْتَقَصَ مِنْ حَقِّهِنَّ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ أَتَى بِهِنَّ نَاقِصَاتٍ مِنْ حُقُوقِهِنَّ"

ولم يُعرّج محمد بن نصر المروزي على قول الزهري!

<u>والخلاصة أن قول عبد الله بن شقيق هو المعتبر في هذه المسألة، بل الحديث الثابت عنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذه المسألة من حديث جابر يقضي على كل ما يخالفه.</u>

<u>والقول المنسوب للزهري فيه غرابة، وإسناده فيه كلام، وهو ينافي ما هو معروف عن الزهري من معرفته بالآثار والسنن، وكذا ما رواه عن عمر: «إِنَّهُ لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِأَحَدٍ تَرَكَ الصَّلَاةَ» = الذي يُفهم منه أنه خرج من الإسلام.</u>




وقد قال أحمد عندما سئل عن تارك الصلاة، فقال: "لا أعرفه إلا هكذا من ظاهر الحديث - حديث جابر - فأما من فسره جحوداً فلا نعرفه، وقد قال عمر - رضي الله عنه - حين قيل له: الصلاة، قال: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة". [بحث د. خالد الحايك]

باب في هيئة الصلاة

وإتمام ركوعها وسجودها والخضوع فيها

قال يزيد الرقاشي: كانت صلاة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مستوية؛ كأنها موزونة.

وقال أبو هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الذي يرفع رأسه ويخفضه قبل الإمام؛ فإنما ناصيته بيد الشيطان.

ويُروى عن عائشة وها أنها قالت: كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة؛ فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالاً بعظمة الله، عز وجل.

وروى أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى صَلَاةِ رَجُلٍ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ).

وروى مسلم عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا يَأْمَنُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ فِي صَلَاتِهِ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللَّهُ صُورَتَهُ فِي صُورَةِ حِمَارٍ) وفي رواية (أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَجْهَ حِمَارٍ).

وكان سعيد التنوخي إذا صلّى، لم تنقطع الدموع من عينيه إلى خديه ولحيته.

ويُروى أن الحسن نظر إلى رجل وهو يعبث بالحصى، ويقول: اللهم زوجني من الحور العين، فقال: بِئْسَ الخاطب أنت، تخطب الحور وأنت تعبث بالحصى.

وقيل لخلف بن أيـوب: ألا يؤذيـك الـذُّباب في الصلاة فتطردهـا، فقـال: لا أعـود نفسـي شـيئاً يُفسد علي صلاتي، قيـل لـه: وكيـف تصـبر على ذلـك؟ قـال: بلغـني أن الفسـاق يصـبرون تحت سياط السلطان ليقال: فلان صـبور، ويفتخـرون بذلك، وأنا قائم بين يدي الله، أفأتحرك لذبابة.

ويُروى عن مسلم بن يسار: أنه كـان لا يلتفت في الصلاة، وأنه سئل عن ذلك؟ فقـال للسـائل: وما يدريك أين قلبي؟

ويُـروى عنـه: أنـه كـان إذا أراد الصـلاة، قـال لأهله: تحدثوا فإني لست أسمعكم.

ويُروى عنه: أنـه كـان يُصـلّي يومـاً في جـامع البصرة، فسـقطت ناحيـة من المسـجد، فـاجتمع الناس لذلك، فلم يشعر بـذلك حـتى انصـرف من الصلاة.

وروي أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُـولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- فِي الْعَشْـرِ الْأَوَاخِـرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَاتُّخِذَ لَهُ فِيهِ بَيْتٌ مِنْ سَـعَفٍ، قَـالَ: فَـأَخْرَجَ رَأْسَـهُ ذَاتَ يَـوْمٍ، فَقَـالَ: " إِنَّ الْمُصَـلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَنْظُـرْ أَحَـدُكُمْ بِمَـا يُنَـاجِي رَبَّهُ، وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقِرَاءَةِ "

وفي اتحـاف الخـيرة المهـرة عَنْ أَبِي حَـازِمٍ مَـوْلَى للأَنْصَـارِ، قَـالَ: كَـانَ النَّاسُ يُصَـلُّونَ فِي رَمَضَانَ عُصُبًا عُصُبًا قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللـه عَلَيـه وسَـلَّم- مُعْتَكِفًـا فِي قُبَّةٍ عَلَى بَابِهَـا حَصِيرٌ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ رَفَعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللـه عَلَيـه وسَـلَّم- الْحَصِـيرَ وَاطَّلَـعَ يَنْظُـرُ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم- ذَاكَ أَنْصَتُوا فَقَـالَ: أَلاَ إِنَّ الْمُصَـلِّيَ يُنَـاجِي رَبَّهُ، عَـزَّ وَجَـلَّ، فَلْيَنْظُـرْ أَحَـدُكُمْ بِمَـا يُنَـاجِي بِهِ رَبَّهُ، عَـزَّ وَجَـلَّ، وَلاَ يَجْهَـرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِـالْقُرْآنِ... هَـذَا إِسْـنَادٌ رِجَالُـهُ ثِقَاتٌ




ويُروى عن أبي بكر الصديق: أنه كان إذا حضر وقت الصلاة، قال: يا بني آدم، قوموا إلى نـاركم التي أو قد تموها على أبدانكم فأطفئوها

ويُــروى عن علي بن أبي طــالب -رَضِــيَ اللَّهُ عَنْـهُ-: أنــه كـان إذا حضـر وقت الصـلاة يـتزلزل ويتلـوّن، فقيـل لـه: مـا لـك يـا أمـير المؤمـنين؟ فيقــول: جــاء وقت أمانــة عرضــها اللــه على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها.

ويُــروى عن علي بن الحســين: أنــه كــان إذا توضــأ اصــفر لونــه، فيقــول لــه أهلــه ما هذا الذي يعتادك عند الوضـوء؟ فيقـول: أتـدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟!

ويُروى عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمـا- أنـه قـال: قـال داود: إلهي، من يسـكن بيتـك، وممن تتقبل الصـلاة؟ فـأوحى اللـه إليـه: يـا داود، إنمـا يسكن بيتي وأتقبل صلاته من تواضـع لعظمـتي، وقطع نهاره بذكري، وكف نفسه عن الشــهوات، من أجلي يُطعم الجائع، ويـؤوي الغـريب، ويـرحم المصــاب، فــذلك الــذي يضــيء نــوره الســماء كالشــمس في الأرض، إن دعــاني أجبتــه، وإن سألني أعطيته، أجعل له في الجهـل حلمـا، وفي الغفلة ذكـراً، وفي الظلمـة نـوراً، إنمـا مثلـه في النـــاس كـــالفردوس في الجنـــان، لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها

ويُروى عن حاتم الأصم أنـه سـئل عن صـلاته، فقال: إذا حانت الصـلاة أسـبغت الوضـوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعـد فيـه حـتى تجتمـع جـوارحي، ثم أقـوم في مصـلاي، فأجعـل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميــني، والنــار عن يســاري، وملــك المــوت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجــاء والخـوف، فـأكبر تكبـيراً بتحقيـق، وأقـرأ قـراءة بترتيل، وأركـع ركوعـاً بتواضـع، وأسـجد سـجوداً

بتخشع، وأقعد على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدمي وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأثبتها على اليسرى بتمام، وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا.

باب في الصلاة النافلة

قال عبد الرحمن بن يزيد: قلت لعبد الله بن مسعود: ما أتيتك بين المغرب والعشاء إلا وأنت قائم تصلي، فقال: إنها ساعة غفلة.

وقالت عائشة: ما خرج رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قط إلا صلى ركعتين

وقال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه

وقال ابن مسعود: إذا كان العبد في صلاة؛ فإنه يقرع باب الملك وإنه من يدمن قرع باب الملك يوشك أن يفتح له.

باب في فضل السجود

روى مسلم عن مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ قَالَ لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ قُلْتُ بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ؟ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: (عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً).

وروى مسلم عن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: سَلْ؟ فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ




هُــوَ ذَاكَ قَــالَ: (فَــأَعِنِّي عَلَى نَفْسِــكَ بِكَثْــرَةِ السُّجُودِ)

يُـروى عن علي بن عبـد اللـه بن عبـاس: أنـه كـان يسـجد في كـل يـوم ألـف سـجدة، وكـانوا يسمونه السجاد.

ويُروى أن عمر بن عبد العزيـز: كـان لا يسـجد إلا على التراب.

وكـان يوسـف بن أسـباط يقـول: يـا معشـر الشباب، بادروا بالصحة قبـل المـرض، فمـا بقي أحد أحسـده إلا رجـل أراه يتم ركوعـه وسـجوده، وقد حيل بيني وبين ذلك

وقال سعيد بن جبير: ما آسى على شـيء من الدنيا إلا السجود.

وقال عقبة بن مسلم: ما من خصلة في العبد أحب إلى اللـه من أن يُحب لقـاء اللـه، ومـا من ساعة العبـد أقـرب فيهـا إلى اللـه من حين يخـر ساجداً.

باب في فضل المساجد

روى البخــاري عن أبي هُرَيْــرَةَ يَقُــولُ قَــالَ رَسُــولُ اللَّهِ -صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ-: (صَــلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَـلَاتِهِ فِي بَيْتِـهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِـعْفًا وَذَلِـكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّـأَ فَأَحْسَـنَ الْوُضُـوءَ ثُمَّ خَـرَجَ إِلَى الْمَسْـجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْـهُ بِهَـا خَطِيئَةٌ فَـإِذَا صَـلَّى لَمْ تَـزَلْ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَلَا يَزَالُ أَحَـدُكُمْ فِي صَـلَاةٍ مَـا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ)

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُــولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- قَـالَ: (الْمَلَائِكَـةُ تُصَـلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا



دَامَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ).

ويـروى أن من ألـف المسـجد أَلفـه اللـه عـز وجل.

وقـــال ســـعيد بن المســـيب: من جلس في المسجد؛ فإنما يجالس ربه، فما أحقـه أن يقـول إلا خيراً.

وقـال النخعي: كـانوا يـرون أن المشـي في الليلة المظلمة إلى المسجد موجبة.

وقـال أنس بن مالـك: من أسـرج سـراجاً في مســـجد، لم تـــزل الملائكـــة وحملـــة العـــرش يستغفرون له، ما دام في ذلك المسجد ضوؤه.

وقـــال: إذا رأيتم الرجـــل يعتـــاد المســـاجد، فاشهدوا له بالإيمان

باب في بقاع الأرض

يُروى عن علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: إذا مات العبد الصالح، بكي عليه مصـــلاه من الأرض، ومصـعد عملـه من السـماء، ثم قـرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ [الدخان: 28]

وقـال ابن عبـاس: تبكي عليـه الأرض أربعين صباحا.

وقال عطاء الخراساني: ما من عبد يسجد للـه سجدة في بقعة من بقاع الأرض،

إلا شهدت له بها يوم القيامة، وبكت عليه يوم يموت.

وقال أنس بن مالك: مـا من بقعـة يُـذكر اللـه عَزَّ وَجَلَّ عليها بصـلاة أو بـذكر، إلا افتخـرت على من حولها من البقاع، واستبشرت بذكر اللـه عَـزَّ وَجَـــــــــــــلَّ إلى منتهاهـــــــــــــا من ســـبع أرضـــين، ومـــا من عبـــد يقـــوم يُصـــلّي إلا تزخرفت له الأرض.



ويقال: ما من منزل ينزل فيه قوم، إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم.

ويُروى: أنه لم تكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة أو كانت لهم فيها منفعة، فلم تزل الشجرة كذلك حتى تكَلَّم فَجَرةُ بني آدم بتلك الكلمة العظيمة، قولهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾، فلما قالوا هذا، اقشعرت الأرض وشاك الشجر.

باب في الصيام

قال وكيع في قول الله عز وجل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَمْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ قال: «الصيام».

ويُروى عن الحسن بن أبي الحسن، أنه مرّ بقوم في رمضان وهم يضحكون فوقف عليهم، فقال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه، به يستبقون فيه بطاعته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلّف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون، وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لشُغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته.

ويُروى عن الأحنف بن قيس، أنه قيل له: إنك شيخ كبير، وإن الصيام يُضعفك، فقال: إني أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله.

وقال علي بن أبي طالب: الصيام يزيد في الحفظ ويُذهب البلغم.

صوم يوم عرفة لو وافق سبت

روى مسلم عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ

لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ) وهذا خاص بالحجاج

وروى الحاكم في المستدرك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَقُولُ لَهُمْ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا..) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

وروى مسلم من طريق عبد الله بن معبد عن أبي قتادة عن نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ).

فهو يوم عظيم في شهر عظيم «مُحرّم»، وهو أفضل أيام الله...

وهذا الصوم لغير الحجاج، أما الحجاج بعرفات فهم منهيون عن صيامه..

وقد حاول بعضُ قليلي العلم في التخريج تضعيف هذا الحديث محتجين بقول البخاري بأن عبد الله بن معبد لا يُعرف له سماعٌ من الصحابي أبي قتادة الأنصاري... لكن لم يجزم البخاري بأنه لم يسمع..بل قال: لا يُعرف له سماع.. وفرق كبير بين المصطلحين..قال الدارقطني إن رواية ابن معبد صحت عن أبي قتادة.

وجزم الخطيب البغدادي في (المتفق والمفترق) بأن ابن معبد سمع من أبي قتادة.

وللحديث عدة طرق من غير عبد الله بن معبد عن الصحابي أبي قتادة.

فالحديث صحيح، وابن معبد ثّقه عند الجماهير، وروى له الجماعة إلا البخاري، ولم يتهمه أحد بالتدليس..

والتكفير هنا إنما يختص بالصغائر، أما الكبائر كالسرقة والربا والزنا وشرب الخمر وعقوق

الوالدين وما شابه ذلك، فلا بد فيها من توبة صادقة وردّ الحقوق إلى أهلها.

وليس ليوم عرفة دعاء مخصوص، ولا ذكر مخصوص سوى كثرة التكبير والتهليل والتحميد.. ومما هو مشتهر بين العوام أن العمل يوم عرفة، والسعي فيه على النفس والعيال مُحرّم.. فهذا زعم باطل...

ولو كان يوم عرفة يوم السبت، فما حكم صيامه.؟

جاء عن نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: (لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتُرِضَ عَلَيْكُمْ) لكن هذا الحديث لم يصح، وقدّ ردّه كثيرون من أهل العلم لما يلي:

قال ابن حجر: طرق نقل الحديث، واختلافها، مع اتحاد المخرج يُوهِنُ راويه. ووَصَفَه بالاضطراب، وكذا قال عنه النسائي...والمُضطرب من أنواع الضعيف.

فتاره يُذكر الخبر عن عبد الله بن بِسْر، وتارة عن أخته الصماء بنت بسر، وتارة عن عمته، وتارة عن خالته، وتارة عن عائشة، والطريق واحد، والمخرج واحد فدلّ على اضطرابه.. ودلّ على نكارته.

ونقل الطَحاوي عن الزُّهري أنه سئل عن صوم يوم السبت فقال: لا بأس به، فقيل له: فقد روي عن النبي في كراهته، فقال: ذاك حديث حمصي، فلم يَعُدَّه الزهري حديثاً يُقال به، وضعّفه.

وقال الأوزاعي: لم نزل نكتم هذا الحديث ولا نرويه.

قال الأثرم: كان يحيى بن سعيد القطّان يتجنّب هذا الحديث

وقال أحمد: لا بأس بصيامه.

وردّ الحديث مالك.





وقال عنه أبو داود: منسوخ كون النبي كان يحب موافقة أهل الكتاب وكان اليهود لا يصومونه فنهى عنه موافقة له ثم نُسخت الموافقة.

وقال ابن تيمية: لا يُكره صيامه، وأنه قول أكثر العلماء.

وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج أحاديث المسند: هذا الحديث رجاله ثقات إلا أنه أُعِل بالاضطراب والمعارضة.. فهذا التلون في الحديث الواحد بالإسناد الواحد مع اتحاد المخرج يُوهِنُ راويه، ويُنبئ بقلة ضبطه، إلا أن يكون من الحفاظ المكثرين المعروفين بجمع طرق الحديث، فلا يكون ذلك دالاً على قلة ضبطه، وليس الأمر هنا كذا، بل اختلف فيه أيضاً على الراوي عن عبد الله بن بسر أيضاً.

وقد جاء في صحيح البخاري ما يرد هذا الحديث، وهو: أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ عَلَى جُوَيْرِيَة يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟»، قَالَتْ: لاَ، قَالَ: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قَالَتْ: لاَ، قَالَ: «فَأَفْطِرِي»

فدلّ على جواز صيام يوم السبت إذا كان تابعاً لصيام يوم الجمعة.. والحديث الذي ينهى عن صيام السبت، إنما هو نهى مطلقاً، إلا بصيام فريضة.. وهذا يؤكد أن الحديث مُنكرٌ في متنه أيضاً، كما في سنده، والمنكر ضعيف.

قال البيهقي: في حديث جويرية هذا ما دلَّ على جواز صوم يوم السبت، وكأنه أراد بالنهي تخصيصه بالصوم على طريق التعظيم له.

وجاء عن أم سلمة بسند أقوى بكثير من السابق أن رسول الله كان أكثر ما يصوم من الأيام: يوم السبت، ويوم الأحد، وكان يقول:

(إنهما يوما عيد للمشركين، وأنا أريد أن أخالفهم).[صححه ابن خزيمة، وابن حبان]

ومعنى هذا الحديث أن النهي عن صوم يوم، إنما لكونه يوم عيد، كما نهى نبينا عن صيام يوم الجمعة.. فناسب أن نصوم السبت والأحد لنخالف اليهود والنصارى في هذين اليومين؛ لأنهما يوما عيد عندهما..

حديث جنادة بن أبي أمية عند النسائي في "الكبرى" أنهم دخلوا على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقرب إليهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طعاماً يوم جمعة، فقال: "كلوا". قالوا: صيام. قال: "صمتم أمس؟" قالوا: لا. قال: "فصائمون غداً؟" قالوا: لا. قال: "فأفطروا". وصححه الحَافظ في "الفتح"

وقال الطحاوي: ففي هذه الآثار المروية في هذا، إباحة صوم يوم السبت تطوعاً، وهي أشهر وأظهر في أيدي العلماء من هذا الحديث الشاذ الذي قد خالفها. ثم قال: وقد يجوز عندنا- والله أعلم- إن كان ثابتاً أن يكون إنما نُهي عن صومه، لئلا يعظم بذلك، فيمسك عن الطعام والشراب والجماع فيه، كما يفعل اليهود. فأما من صامه لا لإرادة تعظيمه ولا لما تريد اليهود بتركها السعي فيه، فإن ذلك غير مكروه.

كل هذا يؤكد ضعف النهي عن صيام يوم السبت.. وعليه: لا مانع من صيام السبت منفرداً وخاصة إن كان لسبب وهو يوم عرفة، وإن رغبت في صيام الجمعة معه فحسن..

قال أهل العلم: إفراد يوم عرفة بالصيام، إذا وافق ذلك يوم سبت له حالتان:

1/ إذا كان الشخص معتادًا على صيام يوم عرفة كل عام، ووافق في أحد الأعوام وجاء يوم عرفة يوم سبت فيجوز له أن يصومه بلا كراهة،

وذلك باتفاق المذاهب الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة.

2/ إذا لم يكن الشخص معتادًا على صيام يوم عرفة = فيجوز صيامه بلا كراهة عند المالكية والشافعية، ويكره ذلك عند الحنفية والحنابلة، وتزول الكراهة عندهما (الحنفية والحنابلة) بصيام يوم قبله.

والأولى لك أن تصوم يومًا قبله؛ خروجًا من الخلاف.

توثيق وبيان للمذاهب الأربعة:

أولاً: مذهب الحنفية:

1/ قال في الدر المختار: والمكروه ... تنزيهًا: كعاشوراء وحده، وسبت وحده.

2/ قال في رد المحتار على الدر المختار: (قوله: وسبت وحده) للتشبه باليهود. وهذه العلة تفيد كراهة التحريم إلا أن يقال: إنما تثبت بقصد التشبه كما مر نظيره.

3/ ثم قال في المصدر السابق أيضًا: «أي: يكره تعمد صومه إلا إذا وافق يومًا كان يصومه قبلُ؛ كما لو كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، أو كان يصوم أول الشهر مثلاً، فوافق يومًا من هذه الأيام.

وأفاد (قوله: وحده) أنه لو صام معه يومًا آخر فلا كراهة؛ لأن الكراهة في تخصيصه بالصوم للتشبه

ثانيًا: مذهب المالكية:

1/ قال في النوادر والزيادات: ومن (المجموعة): قال جماعة - عن مالك - من أصحابه: (ولا بأس أن يصام يوم السبت). وأعظَمَ أن يقال يومًا لا يصام فيه، ولا يحتجم، وأنكر ما ذكر فيه.

2/ وقال في الكافي في فقه أهل المدينة: وجائز صيام يوم الجمعة، وغيره من أيام الجمعة

فعدم الكراهة (مطلقًا) هو المعتمد عند المالكية. لكن قال بعض المالكية بأن الإفراد منهي عنه، وممن قال بذلك: اللخمي، وابن العربي، وابن جُزي.

ثالثًا: مذهب الشافعية:

1/ قال الرملي في نهاية المحتاج: ومحل ما تقرر: إذا لم يوافق إفراد كل يوم من الأيام الثلاثة عادة له. وإلا؛ كأن كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، أو يصوم عاشوراء أو عرفة فوافق يوم صومه = فلا كراهة.

2/ وقال الرشيدي في «حاشيته على نهاية المحتاج» تعقيبًا على كلام الرملي السابق:

قوله: أو يصوم عاشوراء أو عرفة فوافق يوم صومه، في هذا العطف تساهل؛ لاقتضائه أن ذلك من مدخول العادة، وليس مرادًا».

3/ أكد الشرواني على كلام الرشيدي السابق، ففرَّق بين يوم السبت الذي يوافق العادة (ومثل له بمن يصوم يومًا ويفطر يومًا)، وبين يوم السبت الذي يطلب صومه في نفسه (ومثل له بصوم عاشوراء أو عرفة أو النصف من شعبان).

رابعًا: مذهب الحنابلة:

1/ قال في الإقناع: ويكره تعمد إفراد يوم الجمعة بصوم، وإفراد يوم السبت؛ إلا أن يوافق عادة.

2/ قال في كشاف القناع: «(إلا أن يوافق) يوم الجمعة أو السبت (عادة) كأن وافق يوم عرفة أو يوم عاشوراء، وكان عادته صومهما = فلا كراهة؛ لأن العادة لها تأثير في ذلك

تنبيه أخير:

1/ اشترط الحنابلة لزوال كراهة إفراد يوم عرفة بالصيام إذا وافق ذلك يوم سبت = أن تكون من عادتك صيام يوم عرفة في الأعوام الماضية. وأما إذا لم يكن ذلك من عادتك =

فيكره صومه، إلا إذا صمت يومًا قبله؛ فتزول الكراهة.

2/ عند الشافعية موافقة العادة ليست شرطًا لزوال الكراهة، بل الكراهة تزول عندهم بمجرد قصدك لصيام ليوم عرفة لذاته حتى وإن لم يكن ذلك من عادتك، لأن محل الكراهة عندهم هو قصدك لصيام السبت بلا سبب، أما إذا وجد السبب فلا كراهة.

باب في فضل الحج

روى مالك في الموطأ عن عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا، هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ، مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ. وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ». قِيلَ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلَائِكَةَ» [ضعيف]

قال سفيان بن عيينة: حج علي بن الحسين، فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض، ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: ما لك لا تلبي، فقال: أخشى أن أقول: لبيك، فيقال: لا لبيك ولا سعديك، فقيل له: لا بد من هذا، قال: فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

وقال أحمد بن أبي الحواري: كنتُ مع أبي سليمان الداراني حين أراد الإحرام، فلم يلب حتى سرنا ميلاً، وأخذته كالغشية في المحمل، ثم أفاق فقال: يا أحمد، إن الله عَزَّ وَجَلَّ أوحى إلى موسى: مُرْ ظَلَمة بني إسرائيل أن يُقلّوا من ذكري، فإني ذاكر من ذكرني منهم باللعنة حتى يسكت، ويحك يا أحمد! بلغني أنه من حج من غير




حلـه، ثم لـبى، قـال الله عـز وجـل: لا لبيـك ولا سـعديك حـتى تـرد مـا في يديك، فما يؤمننا أن يقال لنا ذلك.

وقـال الفريـابي: كنتُ بالمزدلفـة وأنـا أحـيي الليل، فإذا أنا بامرأة صفراء تصلي حتى الصباح، ومعها شيخ، فسمعته وهو يقول: اللهم قـد جئنـا من حيث تعلم وحججنا كمـا أمرتنـا، ووقفنـا كمـا دللتنا، وقد رأينـا أهـل الـدنيا إذا شـاب المملـوك في خدمتهم، تـذمموا أن يـبيعوه، وقـد شـبنا في ملكك فأعتقنا.

وقال الأصـمعي: بينمـا أنـا أطـوف بـالبيت، إذ رأيتُ أعرابيـا على فـرس، وبيـده رمح طويـل، فقلت له: يا أخـا العـرب، في مثـل هـذا الموضـع وأنت على هـذه الحـال، فقـال لي: ومن تكـون؟ فقلتُ: أنـا الأصـمعي، قـال: أنت الـذي تقـول العرب أنك أعلمهـا بكتـاب الله عـز وجـل؟ قـال: فقلت: أسـأل اللـه بركـة مـا تقـول، فقـال لي: أنشدني منه فقلت: لا تقـل أنشـدني منـه، ولكن قل: اتـل علي، فقـال: اتـل علي، فتلـوت عليـه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ ﴿وَفِي السَّـمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَـدُونَ﴾ [الـذاريات: 22]، فبكى ونـزل عن فرسه، ورمى برمحه، وقـال: رزقي في السـماء وأنا أطلبه في الأرض، ثم ذهب عـني حـتى كـان العام الثاني، فبينما أنا أطـوف بـالبيت، فـإذا أنـا بالأعرابي قد نحل جسمه ورق عظمه، فلما رآني عرفـني، وقـال: أنت الـذي عرفـني اللـه البركـة على يديك، قلت: نعم، قال: زدني فتلـوت عليـه: بسـم اللـهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ ﴿فَـوَرَبِّ السَّـمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَـقٌّ مِثْـلَ مَـا أَنَّكُمْ تَنطِقُـونَ﴾ [الذاريات: 23]، فقال لي: ومن ألجأ الكـريم إلى اليمين، لكنه علم أنـا عبيـد سـوء فحلـف لنـا، ثم ذهب فما رأيته.

وقال الأوزاعي: «رأيت رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا رب إني فقير كما ترى، وصبيتي قد عروا كما ترى، وناقتي قد عجفت كما ترى، وبردتي قد بليت كما ترى، فما ترى فيما يُرى، يا من يرى ولا يرى، وهو بالمنظر الأعلى.

قال: فإذا هو بصوت من خلفه: يا عاصم، الْحَق عَمَّك، قد هلك بالطائف، وخلف ألف نعجة، وثلاث مئة ناقة، وأربع مئة دينار، وأربعة أعبد، وثلاثة أسياف يمانية، فامض فخذها، فليس له وارث غيرك. قال الأوزاعي: فقلت له: يا عاصم، إن الذي دعوته لقد كان منك قريباً، فقال لي: يا هذا، أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]

وقال أبو سليمان الداراني: وقف رجل على باب الكعبة حين فرغ من الحج، فقال: الحمد الله بجميع محامده كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمه كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، لدى خلقه كلهم، ما علمت منهم وما لم أعلم، قال: ثم قفل إلى بلده، ثم حج من قابل، فوقف على باب الكعبة، وذهب ليقول مثل مقالته، فنودي: يا عبد الله، لقد أتعبت الحفظة من عام الأول إلى الآن، فما فرغوا مما قلت.

ويُروى: أن رجلاً كان يدعو عند الكعبة، وهو يقول: اللهم إن لك علي حقوقاً، فتصدق بها علي، وللناس قبلي تبعات، فتحملها عني، اللهم إنك قد أوجبت لكل ضيف قرى، وأنا ضيفك، فاجعل قراي الليلة الجنة

ويُروى: أن رجلاً كان يدعو عند باب الكعبة، وهو يقول في دعائه: اللهم إليك ضجت الأصوات بصنوف اللغات، يسألونك عن الحاجات، وحاجتي





إليـك يـا رب أن تـذكرني في الآخـرة إذا نسـيني أهل الدنيا.

وقيــل لبعض الحكمــاء: لم صُــيّر الموقــف بعرفات ولم يُصيّر في الحرم؟ فقال: لأن الكعبة هي بيت الله، والحرم حجابه، وعرفة بابـه، فلمـا قصد الوافدون أوقفهم بالباب الأول وهو عرفة، فلما نظر إلى شغفهم وشدة شـوقهم وبكـائهم، أمــرهم بالــدخول إلى الحجــاب الثــاني، وهــو المزدلفة، فلما نظر إلى قلقهم وشدة شـوقهم، أمرهم بتقريب قربـانهم، فلمـا قربـوا قربـانهم، وألقوا تفثهم، وتطهروا من ذنـوبهم الـتي كـانت لهم حجاباً دونه أمرهم بالزيارة على طهارة.

وقيل لبعض الحكماء: لم كُره الصيام في أيام التشريق؟ فقال: لأن القوم في ضيافة اللـه عَـزَّ وَجَلَّ، وليس للضـيف أن يصـوم إلا بـإذن صـاحب البيت

ويُـروى عن محمـد بن المنكـدر أنـه حج ثلاثـا وثلاثين حجة، فلما كان في آخر حجة حجها، قـال وهو بعرفات: اللهم إنك تعلم أني قد وقفت في مـوقفي هـذا ثلاثـا وثلاثين وقفـة، فواحـدة عن فرضــي، والثانيــة عن أبي، والثالثــة عن أمي، وأشهدك يا رب أني قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفي هذا، فلم تقبل منه، فلما دفـع من عرفة ونــزل بالمزدلفــة، نــودي في المنــام يــا ابن المنكدر، أتتكرّم على مَن خَلَق الكرم؟ أتجود على من خلـق الجـود؟ إن اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ يقـول لـك: وعــــزتي وجلالي، لقــــد غفــــرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام.

ويُروى: إن موسى حج على ثور.

ويُـروى: أن عمــر بن الخطــاب مــرّ بــامرأة مجذومــة، وهي تطــوف بــالبيت، فقــال لها: «يا أمة الله، لا تؤذي الناس، لـو جلسـت في بيتك لكـان خـيراً، فجلسـت في بيتهـا، فمـر بهـا



رجل بعد ذلك، فقال لها: إن الذي نهاك قد مات، فـاخرجي، فقـالت: واللـه مـا كنت لأطيعـه حيـا وأعصيه ميتا.

باب في فضل الجهاد

روى البخــاري عن أَنَس بْنَ مَالِــكٍ رَضِــيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَمَّا طُعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ وَكَـانَ خَالَـهُ يَـوْمَ بِئْرِ مَعُونَـةَ قَـالَ بِالـدَّمِ هَكَـذَا فَنَضَـحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ.

باب في فضل يوم الجمعة

روى ابن حبــان عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ -رَضِــيَ اللَّهُ عَنْـهُ- أَنَّهُ قَـالَ: خَـرَجْتُ إِلَى الطُّورِ، فَلَقِيتُ كَعْبَ الْأَحْبَــارِ، فَجَلَسْــتُ مَعَــهُ، فَحَــدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَاةِ، وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، فَكَـانَ فِيمَـا حَدَّثْتُـهُ، أَنْ قُلْتُ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ-: «خَيْـرُ يَـوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْـهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِـطَ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ تَقُـومُ السَّـاعَةُ، وَمَــا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِــيخَةٌ [مصــغية] يَــوْمَ الْجُمُعَـةِ، مِنْ حِينِ تُصْـبِحُ، حَتَّى تَطْلُـعَ الشَّـمْسُ، شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلَّا الْجِنَّ، وَالْإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْـدٌ مُسْـلِمٌ، وَهُـوَ يُصَـلِّي يَسْـأَلُ اللَّهَ شَـيْئًا إِلَّا أَعْطَـاهُ إِيَّاهُ» قَـالَ كَعْبٌ: ذَلِـكَ فِي كُـلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ فَقُلْتُ: بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَـةٍ، قَـالَ: فَقَـرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [صحيح]

وروي عن كعب الأحبار أنـه قـال: صـيام يـوم جمعـــة يضـــاعف فيـــه الأجـــر كطـــول يوم القيامة.

وروي عنه أنه قـال: من تـوفي يـوم الجمعـة، كتب لـــــه أجـــــر شـــــهيد، ووقي فتنة القبر.

باب في الاستسقاء

يُروى عن كعب الأحبار أنه قال: أصاب النــاس قحـط شـديد على عهـد موسـى، فخـرج موسـى

ببني إسرائيل يستسقي بهم، فلم يسقوا، ثم خرج الثانية، فلم يُسقوا، ثم خرج الثالثة، فأوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إليه: يا موسى، إني لا أستجيب لك ولا لمن معك؛ فإنَّ فيكم نَمَّاماً، قال: يا رب، ومن هو حتى نُخرجه من بيننا؟ فأوحى الله إليه: يا موسى، أنهاكم عن النميمة وأكون تماما، فقال موسى لبني إسرائيل: توبوا بأجمعكم من النميمة، فتابوا، فأرسل الله تعالى عليهم الغيث.

وقال سعيد بن جبير: قحط الناس في زمان ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا، فقال الملك: ليُرسلن الله علينا السماء أو لنؤذينه، قيل له: وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء؟ قال: أقتل أولياءه وأهل طاعته، فيكون ذلك أذى له، فأرسل الله عليهم السماء.

وقال سفيان الثوري: بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين، حتى أكلوا الميتة من المزابل، وأكلوا الأطفال، فكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال في كل يوم ويتضرعون، فأوحى الله إلى أنبيائهم أن قولوا لبني إسرائيل: لو مشيتم إلي بأقدامكم حتى تحفى ركبكم، وتبلغ أيديكم عنان السماء، وتكل ألسنتكم عن الدعاء، فإني لا أجيب لكم داعياً، ولا أرحم منكم باكياً، حتى تردوا المظالم إلى أهلها، ففعلوا، فمطروا من يومهم

وقال مالك بن دينار: أصاب الناس في بني إسرائيل قحط، فخرجوا مخرجاً لهم، فأوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إلى نبيهم: أن أخبرهم أنكم تخرجون إلي بأبدان نجسة، وترفعون إلي أكفا قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بطونكم من الحرام، الآن



اشـــــــــــــــــــــــــــــــــــتد غضبي عليكم ولم تزدادوا مني إلا بعداً

وقـال أبـو الصـديق النـاجي: خـرج سـليمان يستسـقي، فمـر بنملـة مسـتلقية على ظهرهـا، رافعة قوائمهـا إلى السـماء، وهي تقـول: اللهم إنا خلق من خلقـك، ولا غنـاء بنـا عن رزقـك، فلا تهلكنا بذنوب غيرنا، فقال سليمان: ارجعوا، فقد سقيتم بدعوة غيركم.

وقـال الأوزاعي: خـرج النـاس يستسـقون، فقـــام فيهم بلال بن ســـعد، فحمـــد الله وأثنى عليه، وصلى على النـبي -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، ثم قـال: يـا معشـر من حضـر، ألسـتم مقرين بالإساءة؟ قالوا: اللهم نعم، فقال: اللهم إنا قد سمعناك تقـول: ﴿مَـا عَلَى الْمُحْسِـنِينَ من سبيل﴾ [التوبة: 92]، وقد أقررنا بالإساءة، فهـل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم اغفر لنا وارحمنـا واسقنا، قال فرفع يديه ورفعوا أيديهم، فسُقُوا.

وقيل لمالـك بن دينـار: ادع لنـا ربـك، فقـال: أنتم تســـــتبطئون المطـــــــر، وأنا أستبطئ الحجارة.

ويُـروى: أن عيسـى -عليـه السـلام- خـرج يستسقي، فلما أصـحروا، قـال لهم عيسـى: من أصاب منكم ذنباً فليرجع، فرجعوا كلهم، فلم يبق معه في المفازة إلا رجل واحد، فقال له عيسى: أما لَكَ ذنب؟ فقال: والله ما أعلم شيئاً، غير أني كنت ذات يوم أصلي، فمرت بي امـرأة، فنظـرت إليها بعيني هذه، فلما جاوزت أدخلت أصبعي في عيني فانتزعتها، فأتبعتها بهـا، قـال لـه عيسـى: فـادع، فـدعا، فتجللت السـماء سـحاباً، ثم صـبت فسقوا .

وقـال يحـيى الغسـاني: أصـاب النـاس قحـط على عهـد داود، فاختـاروا ثلاثـة من علمـائهم، فخرجـوا يستسـقون لهم، فقـال أحـدهم: اللهم

إنك أنزلت في توراتك أن نعفو عن من ظلمنا، اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا، فاعفُ عنا، وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا، اللهم إنا أرقاؤك، فأعتقنا، وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نردّ المساكين إذا وقفوا بأبوابنا، اللهم إنا نحن مساكينك، وقفنا ببابك، فلا تردنا، فسقوا.

وقال عطاء السلمي: منعنا الغيث، فخرجنا نستسقي، فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر، فنظر إلي، فقال: يا عطاء، هذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور؟ فقلت له: لا، ولكنا منعنا الغيث، فخرجنا نستسقي، فقال لي: يا عطاء، بقلوب خاوية أم بقلوب سماوية ؟ فقلت: بل بقلوب سماوية، فقال: هيهات هيهات يا عطاء، قُل للمتبهرجين لا تبهرجوا؛ فإن الناقد بصير، ثم رمق إلى السماء بطرفه وقال: إلهي وسيدي، لا تهلك بلادك بذنوب عبادك، ولكن بالمكنون من آلائك وبما وارته الحجب من بهائك، إلا ما سقيتنا ماءً غدقاً، تُحيي به العباد، وتروي به البلاد، يا من هو على كل شيء قدير. قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت، وجاءت بمطر كأفواه القرب، فولى وهو يقول

نَعِمَ الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين القريحة فيه فانقضى ليلها وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتى قيل في الناس إن فيهم جنونا

وقال غيره

من عامل الله بتقواه وكان في الخلوة يخشاه

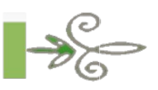
سقاه كأساً من لذيذ الصفايُغنيه عن لذة دنياه

قـال ابن المبـارك: قـدمت المدينـة في عـام شديد القحط، فخرج الناس يستسقون، وخـرجت معهم؛ إذ أقبـل غلام أسـود، عليـه قطعتـا خيش، قد اتّـزر بإحـداهما، وألقى الأخـرى على عاتقـه، فجلس إلى جنبي، فسمعته يقـول: إلهي أخلقت الوجوه عنـدك كـثرة الـذنوب ومسـاوي الأعمـال، وقـد احتبسـت عنـا غيث السـماء لتـؤدب عبـادك بذلك، فأسألك يا حليمـاً ذا أنـاة، يـا من لا يعـرف عبــاده منــه إلا الجميــل، أن تســقيهم الســاعة الساعة.

وقال ابن المبـارك: فلم يـزل يقـول السـاعة السـاعة حـتى اكتسـت السـماء بالغمـام، وأقبـل المطر من كل مكان.

وقال ابن المبارك: فجئت إلى الفضيل، فقال لي: ما لي أراك كثيباً؟ فقلت: سبقنا إليه غيرنـا، فتولاه دوننا، فقـال: ومـا ذاك ؟ فقصصـت عليـه القصة، فصاح الفضيل، وخر مغشيا عليه.

ويُروى أن عمر بن الخطاب -رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ- استسقى بالعبـاس بن عبـد المطلب -رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فلما فـرغ عمـر من دعائـه، قـال العبـاس: اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بــذنب، ولم يكشــف إلا بتوبــة، وقــد توجــه بي القــوم إليــك، لمكـاني من نبيـك، وهـذه أيـدينا إليـك بالـذنوب ونواصينا بالتوبة، وأنت الراعي، لا تهمـل الرعيـة الضالة، ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقـد تضـرع الصــغير ورق الكبــير، وارتفعت الشــكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فـأغثهم بغياثـك، قبـل أن يقنطــوا فيهلكــوا، فلا ييــأس من روحــك إلا القوم الكافرون، قال: فما تم كلامه حـتى أرخت السماء مثل الجبال.




باب في فضل الصلاة على النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: 56]

وروى النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبِشْرُ يُرَى فِي وَجْهِهِ فَقَالَ إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَمَا يُرْضِيكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَلَا يُسَلِّمَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا [حسن]

وقال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجته، فليبدأ بالصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم ليسأل الله حاجته، وليختم بالصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما

باب في فضله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من فضائله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

أن الله عَزَّ وَجَلَّ أقسم بحياته، ولم يُقسم بحياة نبي قبله، فقال الله عز وجل: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 72]

وأمده بالملائكة.

وقرن اسمه مع اسمه «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ورفع ذكره في التأذين مع ذكره، قال الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4]

وأعطاه اسمين من أسمائه، فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 129]

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء105]، فجعل الأمر إليه، لطهارته عند الله وأمانته على عباده.

ووضع به الأغلال والآصار التي كانت على العباد، فقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157]

وجعله رحمة للمؤمنين والكافرين من المسخ والقوارع والعذاب، فقال جل ذكره: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]

وخاطب الأنبياء بأسمائهم، وخاطبه بالنبوة والرسالة، فقال: ﴿يَأَيُّهَا النبي﴾، ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾.

ويُروى عن أبي سعيد الخدري أنه قال: كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعقل البعير، ويعلف الناضح، ويقم البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم، ويطحن معها إذا أعيت، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يُصافح الغني والفقير، ويسلّم مبتدئاً، وكان لا يستحي إذا دعي، ولا يحقر ما دعي إليه، ولو إلى حشف التمر، وكان هين المؤونة، لين الخلق، كريم الصنيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، متواضعاً من غير مذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب دائم الإطراق، رحيماً بكل مسلم، لم يبشم [لم يتخم من كثرة الأكل] قط من شبع، ولا مد يده




إلى طمع، بأبي وأمي يا رسـول اللـه -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وروي أن عمر بن الخطـاب -رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ-: سمع بعـد مـوت النـبي -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه، فلما كثر الناس اتخـذت منـبراً لتسـمعهم، فحنّ الجـذع لفراقـك، حتى جعلت يدك عليه، فسكن، فأمتك كانت أولى بالحنين عليك حين فـارقتهم بـأبي أنت وأمي يـا رسـول اللـه، لقـد بلـغ من فضـيلتك عنـده، أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يُخبرك بـذنبك، فقـال عـز وجـل: ﴿عَفَـا اللّـهُ عَنـكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبـة: 43]، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلـغ من فضيلتك عنده، أن جعـل طاعتـك طاعتـه، فقـال: ﴿من يُطِـعِ الرَّسُـولَ فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّهَ﴾ [النسـاء: 79]، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلـغ من فضيلتك عنده، أن بعثك في آخر النبيين، وذكـرت في أولهم، فقـال عـز وجـل: ﴿وَإِذْ أَخَـذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَـاقَهُمْ وَمِنـكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْـرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَـذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقـاً غَلِيظاً﴾ [الأحزاب: 7]، بأبي أنت وأمي يا رسـول الله، لقد بلـغ من فضـيلتك عنـده، أن أهـل النـار يَـوَدُّون أن يكونـوا أطـاعوك وهم يعـذبون بين أطباقها، يقولون: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُـونَ يَـا لَيْتَنَـا أَطَعْنَـا اللَّهَ وَأَطَعْنَـا الرَّسُـولَا﴾ [الأحزاب: 66]، بأبي أنت وأمي يـا رسـول اللـه، لئن كـان موسـى بن عمـران أعطـاه اللـه حجـراً يتفجر منه الأنهار، فما ذلك بـأعجب من أصـابعك حين نبع منهـا المـاء، بـأبي أنت وأمي يـا رسـول الله، لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الـريح غدوها شهر ورواحها شهر، فما ذاك بـأعجب من البراق حين سرت عليه إلى السـماء السـابعة، ثم

صليت الصبح من ليلتك بالأبطح، صلى الله عليك، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى، فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة، حين كلمتك وهي مشوية، فقالت: لا تأكلني فإني مسمومة، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه، فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً [أي نازل دار والمعنى أحدا]﴾ [نوح: 26]، ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وطيء ظهرك، وأدمي وجهك، وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا خيراً، فقلت: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عُمرك، ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنه وطول عمره، ولقد آمن بك الكثير، وما آمن معه إلا القليل، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ما جالستنا، ولو لم تنكح إلا كفؤاً لك ما نكحت إلينا، ولو لم تؤاكل إلا كفؤاً لك ما أكلتنا، ولقد جالستنا، ونكحت إلينا، وواكلتنا، ولبست الصوف، وركبت الحمار، وأردفت خلفك، ووضعت طعامك بالأرض، ولعقت أصابعك، تواضعا منك.

ومن معجزات -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-رؤيته من خلفه:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (هل ترون قبلتي هاهنا، فوالله لا يخفى عليَّ ركوعكم ولا سجودكم، إني لأراكم من وراء ظهري."

وروى مسلم عن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أيها الناس إني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، فإني أراكم من أمامي ومن خلفي)

خُرافة موت النبي مسموماً.

جـــاء في الصـــحيحيْن أَنَّ امْـــرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ بِشَـاةٍ مَسْـمُومَةٍ، فَأَكَـلَ مِنْهَـا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ، فَسَـأَلَهَا عَنْ ذَلِـكَ؟ فَقَـالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ: (مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ). وهذا لفظ مسلم..

فهذه الرواية الصحيحة تؤكد أنَّ النبي قد أكـل منها بخيْبر، ولكنه مات بعدها بثلاث سنوات.

ويـزعم كثـيرون أنَّ نبينـا قـد مـات مسـموماً منها، ففي صحيح البخـاري روايـة: وَقَـالَ يُـونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ النَّبِيُّ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيـهِ: (يَـا عَائِشَـةُ مَـا أَزَالُ أَجِـدُ أَلَمَ الطَّعَـامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَـرَ، فَهَـذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ)

لكن هذا ليس بحديث مُتّصل عند البخاري، بـل هو مُعلّق، والمُعلّق هو مـا ليس على شـرطه، ولا يجوز أن يقـال: رواه البخـاري.. بـل لا بـد من أن يُقال: رواه تعليقاً.

وعادة البخاري في رواياته للأحاديث المُتّصِـلة الصحيحة في كتابه أن يبدأ الحديث بقوله: حـدثنا أو حدثني.. أمـا روايـة مـوت النـبي بالسُّـم فقـد بدأها بقوله: وقال يـونس.. وعليْـه فالاتصـال لم يتم بل هو منقطع.

وقـد روى البخـاري بسـند متصـل عن عائشـة أنها قالت: كَانَ رَسُـولُ اللَّهِ وَهُـوَ صَـحِيحٌ يَقُـولُ: (إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَـطُّ حَتَّى يَـرَى مَقْعَـدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرَ).

وروى أيضـــا بســـند متصـــل عن أبي ســـعيد الخدري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَـالَ: (إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الـدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْـدَهُ، فَاخْتَـارَ مَـا عِنْـدَهُ) فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وعلم أنَّ رسول الله هُوَ المُخَيَّرَ.

إذن، فإنَّ الله تعالى قد خيَّر نبيه بين الحياة والموت، فاختار الموت، وبهذا ينتفي السُّم وأثره..

ثم أيُّ عِلْم يؤكد أنَّ أثر السُّم يبقى في الجسد ثلاث سنوات.؟

وأما ما رواه أحمد عن ابن مسعود أنه قال: " لَأَنْ أَحْلِفَ تِسْعًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ قُتِلَ قَتْلًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ نَبِيًّا، وَاتَّخَذَهُ شَهِيدًا".

يقصد ابن مسعود أنَّ نبينا مات مقتولا بالسُّم، وعليه فهو شهيد.

لكن هذا الحديث جاء من طريق الأعمش عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ.. والأعمش مدلس وقد عنعن، والمُدلِّس إذا روى عن غيره بصيغة (عن) فروايته ضعيفة.

الخلاصة: القول بأنَّ النبي مات مسموما خرافة لا أصل لها، ومَنْ عنده خلاف هذا بسند صحيح فليتفضل به، ولن يجد أبداً....صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

باب في فضل الصحابة رضي الله عنهم

روى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ» [صحيح]

وقال أيوب بن أبي تميمة السختياني: من أحب أبا بكر الصديق فقد أقام الدين، ومن أحب عمر بن الخطاب فقد أوضح السبيل، ومن أحبّ عثمان بن عفان فقد استنار بنور الله، ومن




أحب علي بن أبي طالب فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقد برئ من النفاق.

قال بشر بن الحارث: لو أن الروم سبت من المسلمين كذا وكذا ألفا، ثم فداهم رجل من المسلمين، وكان في قلبه سوء لأصحاب رسول الله، لم ينفعه ذلك شيئا.

باب في فضل هذه الأمة

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ [الوصف المذكور] مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ [زرع أخرج ساقه وفرعه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائمًا على سيقانه جميلا منظره] يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ [في كثرتهم وجمالهم] وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح: 29].. وفي هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة -رضي الله عنهم-; لأن من غاظه الله بالصحابة، فقد وُجِد في حقه موجِب ذاك، وهو الكفر.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا



[أي القــرآن] لِيَكُــونَ الرَّسُــولُ شَــهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَـوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَـوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 78]

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْـطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَـا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِـالْخَيْرَاتِ بِـإِذْنِ اللَّهِ ذَلِـكَ هُـوَ الْفَضْـلُ الْكَبِـيرُ﴾ [فاطر: 32]

قــال عمــر بن الخطــاب: ســابقنا ســابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له.

ومما فضلت به هذه الأمـة: أن اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ خصـها بفضـل يـوم الجمعـة، وكـانت اليهـود قـد أُمــرت بالجمعــة، فاختــارت الســبت، وأمــرت النصــــــارى بالجمعـــــــة، فاختــــــارت الأحد.

ومما فضّلت به هـذه الأمـة: ليلـة القـدر الـتي هي خير من ألف شهر.

ومما فضلت به هذه الأمـة: أن اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ جعل توبتها الاستغفار، وكانت توبة بني إسرائيل القتل.

ومما فضلت به هذه الأمة: قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا لِلـهِ وَإِنَّا إِلَيْـهِ راجِعُـونَ﴾ عنـد المصـائب، ولم تعطها أمة قبلها، ألا تسمع إلى قول يعقوب: ﴿يَا أَسَـفَى عَلَى يُوسُـفَ﴾ [يوسـف: 84] ولـو عَلِمَهـا لقالها.

ومما فضلت به هذه الأمـة: أن اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ أعطاهــا خصــالاً لم يعطهــا إلا للأنبيــاء عليهم السلام، فمنها:

// أن الله عَزَّ وَجَلَّ كان إذا بَعَث نبياً قال: سَلْ تُعْط، وأعطى هذه الأمة مثلها، فقـال: ﴿ادْعُـونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]

// وكان عَزَّ وَجَلَّ إذا بعث نبياً، قـال: اذهب ولا حـــــرج عليـــــك، وأعطى هـــــذه الأمة




مثلها، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 76]

// وكان عَزَّ وَجَلَّ إذا بعث نبياً قال له: أنت شهيد على أمتك، وأعطى هذه الأمة مثلها، فقال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ امَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 142]

ومما فضلت به هذه الأمة: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- كتب لها الرحمة، وذلك أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، طمع فيها كل شيء حتى إبليس، فلما قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، يئس منها إبليس، وطمعت فيها اليهود، وقالوا: نحن نتقي الله عَزَّ وَجَلَّ، فلما قال: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، قالت اليهود: نحن نتصدق، فلما قال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، قالت اليهود: نحن نؤمن بالتوراة، ثم بين الله عَزَّ وَجَلَّ أنها لهذه الأمة خاصة، بقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]

ومما فضلت به هذه الأمة: أن الله عَزَّ وَجَلَّ أجابهم قبل أن يدعوه، وأعطاهم قبل أن يسألوه، وذلك أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال لنبيه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: 46]، بفضل أمتك. وكان موسى عل على الطور يناجي ربه، فسمعه وهو يقول: يا أمة محمد، أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، فقال موسى: يا رب جعلت وفادتي لغيري [النسائي، والطبري في التفسير]

ومما فضلت به هذه الأمة: ما رواه الترمذي عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ) [هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ]

وقال الحسن: أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل.

وقال قتادة: لما أخذ موسى الألواح، قال: يا ربّ، إني لأجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة، فاجعلهم أمتي، قال: يا موسى، تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني لأجد في الألواح أمة هي خير الأمم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم من أمتي، قال: يا موسى تلك أمة أحمد، قال موسى يا رب إني لأجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم، فاجعلهم أمتي، قال: يا موسى، تلك أمة أحمد - وكانوا يقرؤون نظراً، قال: يا رب إني لأجد في الألواح أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم ويؤجرون عليها، فاجعلهم أمتي، قال: يا موسى، تلك أمة أحمد. وكانوا من قبلنا يقربون صدقاتهم، فإن قبلت منهم جاءت نار فأكلتها، وإن لم تقبل تركت، فجاءت السباع فأكلتها، قال: يا رب إني لأجد في الألواح أمة هم الشافعون المشفع لهم، فاجعلهم أمتي، قال: يا موسى، تلك أمة أحمد. قال: يا رب، إني لأجد في الألواح أمة هم المستجيبون المستجاب لهم، فاجعلهم أمتي، قال: يا موسى، تلك أمة أحمد قال: يا رب إني لأجد في الألواح أمة يقاتلون أهل الضلالة، حتى يقاتلون المسيح الدجال، فاجعلهم أمتي، قال: يا موسى، تلك أمة أحمد. قال: يا رب، فاجعلني من أمة محمد، فلم أر الخير كله إلا لأحمد وأمته، قال له: يا موسى ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ




عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144].. [الطبري في التفسير، وابن عساكر في تاريخ دمشق]

باب في القلوب

في الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن النُّعْمَانِ بْنَ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ).

قال بعض الحكماء: يقول الله عز وجل: أيما عبد اطلعت على قلبه، فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري، توليت سياسته، وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه.

وقال علي بن أبي طالب: يا كميل، القلوب أوعية، وخيرها أوعاها للخير، أفلح من كان له قلب واع.

وعنه: لا يقبل من القلوب إلا ما صفا ورق وصلب؛ فأما صفاؤها فالله، وأما رقتها فللإخوان، وأما صلابتها فللدين

وقال سهل بن عبد الله: ما من ساعة إلا والله مطلع في قلوب عباده، فأي قلب رأى فيه غيره، سلّط عليه إبليس.

وقيل للجنيد: بأي شيء يوصل إلى الله؟ فقال: بقلب مفرد، وتوحيد مجرد. قيل له: يا أبا القاسم العناية قبل البداية، قال: نعم، قبل الماء والطين

وقيل لأبي غسان متى ترتحل الدنيا من القلب؟ قال: إذا وقعت العزيمة ترحلت الدنيا من القلب، ودرج القلب في ملكوت السماء.

وقال بعض الحكماء: اللهم أصلح الراعي والرعية، يعني: القلب والجوارح

وقال أبو سليمان الداراني: القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة، فبأي باب فتح له عمل فيه.

وكان يحيى بن معاذ يقول: يا إلهي، يا مليكي يا خير قاض، الجهل ينطقني، والحياء يُخرسني، فإذا نطق لساني فالقلب يرجو، وإذا سكت لساني فالقلب يدعو، متعاونين على الدعاء، ومجتهدين في الرجاء، معرفة منهما بفاقتي، وعلماً منهما بحاجتي.

باب في العقل والحمق

قال الحسن بن علي: أبغض الناس إلى الله الأحمق؛ لأنه منعه أحب الأشياء إليه، وربما قال: منعه ما يُعرف به

وقال الحسن: هجران الأحمق قربةٌ إلى الله، ومواصلة العاقل إقامة دين الله، وإكرام المؤمنين خدمة الله.

وقال علي بن أبي طالب: قطيعة العاقل تعدل صلة الجاهل.

وقال بعض الحكماء: العاقل من نفسه في تعب والناس منه في راحة والأحمق من نفسه في راحة والناس منه في تعب.

وقال قتادة: الرجال ثلاثة: رجل، ونصف رجل، ولا شيء؛ فأما الذي هو رجل؛ فرجل له رأي وعقل ينتفع به، وأما الذي هو نصف رجل، فرجل يشاور العقلاء، وأما الذي ليس بشيء فرجل لا عقل له ولا يشاور العقلاء.

وسئل بعض الحكماء ما العقل؟ فقال: الإصابة بالظن، ومعرفة ما لم يكن بما كان.

وقال بشر بن يحيى: عدو عاقل خير من صديق أحمق.

وقيل لابن المبارك: من العاقل؟ قال: الذي لا يبطل حقا، ولا يحق باطلاً.



وقال وهب بن منبه لكل شيء آلة، وآلة المؤمنين العقل، ولكل شيء مطية، ومطية المرء العقل، ولكل شيء غاية، وغاية العبادة العقل، ولكل قوم راع، وراعي العابدين العقل.

وفي حكمة داود: ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يخلو فيها إلى إخوانه الذين يعرفونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، تكون له عوناً على تلك الساعات، وينبغي للعاقل أن لا يظعن إلا في ثلاثة: مرمة [متاع البيت] لمعاش، أو زاد المعاد، أو لذة في غير محرم.

وقال الحسن: يا ابن آدم شاة الراعي أعقل منك، تزجرها الصيحة عن هواها، فهل أنت مزدجر بصيحة ربك.

باب في الحياء

عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ) [ابن ماجة، حسن]

وروى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ

وروى البخاري عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ [أي في تركه]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ)

أي من أسباب أصل الإيمان وأخلاق أهله تمنع من الفواحش وتحمل على البر والخير كما يمنع الإنسان صاحبه من ذلك فعلم أن أول الحياء



وأولاه الحياء من اللّه وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله إنما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ الْحَيَاءَ وَالإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ) [صحيح رواه الحاكم والبيهقي] أي جمعهما اللّه تعالى ولازم بينهما فحيثما وجد أحدهما وجد الآخر.

والمقصود الحياء الإيماني وهو المانع من فعل القبيح بسبب الإيمان لا النفساني المخلوق في الجبلة وأفرده بالذكر لأنه كالداعي إلى سائر الشعب فإن الحي يخاف فضيحة الدنيا وفظاعة الآخرة فيزجر عن الآثام وزعم أن الحياء قد يمنع الأمر بالمعروف فكيف يدعو إلى سائرها يمنع بأن هذا المانع ليس بحياء حقيقة بل عجز وإعياء وإطلاق الحياء عليه مجاز وإنما الحقيقي خلق يبعث على تجنب القبيح.

روى مسلم عَنْ إِسْحَقَ وَهُوَ ابْنُ سُوَيْدٍ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ حَدَّثَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ مِنَّا وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ) قَالَ أَوْ قَالَ: (الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ)

فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوْ الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَارًا لِلَّهِ وَمِنْهُ ضَعْفٌ قَالَ فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ وَقَالَ أَلَا أَرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُعَارِضُ فِيهِ.

قال الشراح: لأن مبدأه انكسار يلحق الإنسان مخافة نسبته إلى القبيح ونهايته ترك القبيح وكلاهما خير ومن ثمراته مشهد النعمة والإحسان فإن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه وإنما يفعله اللئيم فيمنعه مشهد

إحسانه إليه ونعمته عليه من عصيانه حياء منه أن يكون خيره وإنعامه نازلاً عليه ومخالفته صاعدة إليه فملك ينزل بهذا وملك يعرج بهذا فأقبح به من مقابلة .

وفي صحيح مسلم عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ). أي ثمرات الإيمان وفروعه فأطلق الإيمان وهو الإقرار والتصديق عليها مجازاً لكونها من حقوقه ولوازمه.. قال الطيبي: والأظهر معنى التكثير ويكون ذكر البضع للترقي يعني شعب الإيمان أعداد مبهمة ولا نهاية لكثرتها إذ لو أريد التحديد لم يبهم.

وروى الترمذي بسند حسن عن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ). قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: (لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ)

قال البيضاوي: ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول.

وقال سفيان بن عيينة: الحياء أخف التقوى ولا يخاف العبد حتى يستحي، وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء؟

وقال بعض الحكماء: لكل شيء كرم، وكرم القلب الحياء، ولكل شيء زين، وزين الحياء ترك الذنوب، ولكل شيء ثمرة، وثمرة الحياء اكتساب الخير.

وقال بعض الحكماء: لله عقوبات في القلوب، وما عاقب الله قلبا بعقوبة أشد من سلب الحياء

وقال يوسف بن أسباط: كانوا يستحيون أن يسألوا مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ شيئا إلا العفو.

وقال مالك بن أنس: أول من ضرب الأبنية في سفره عثمان بن عفان، وقال: إني رجل شديد الحياء فأريد أن أستتر.

ويُروى عن عثمان بن عفان: أنه لم يمض قط إلى الخلاء إلا مغطى الرأس، حياء من الملائكة.

باب في التقى

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: 2]

قال الربيع بن خثيم: معناه من كل أمر يضيق على الناس.

وقال ابن عباس: من شُبهات الدنيا، وغَمَرات الموت، وشدائد الآخرة.

وقال الفضيل: اتَّقَوْا ما نهاهم عنه، وأحسنوا فيما أمرهم به.

وقال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: من خاف الله لم يشف غيظه، ومَن اتَّقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

وقال بعض الحكماء: للتَّقي نور في القلب يفرق بين الحق والباطل.

وقيل: من قيل له: اتق الله فغضب، جاء يوم القيامة، فيُوقف موقفاً لا يبقى ملك مقرب إلا مر به، فيقول له: أنت الذي قيل لك اتق الله فغضبت.

وسُمع عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يُخاطب نفسه يوما، وهو يقول: عمر بن الخطاب

أمير المؤمنين، بخ بخ، والله يا بن الخطاب لتتَّقين الله أو ليُعذبنك.

قال وهب بن منبه: الإيمان عُريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه.

وقال الأعمش: من كان رأس ماله التقوى، كلت الألسن عن وصف ربحه.

وقال عمر بن عبد العزيز: لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين؛ لأنهم عقلوا عن الله وأمره، فاتقوا الله في أمره ونهيه.

وقال: من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله.

وقال رجل لميمون بن مهران: لن يزال الناس بخير ما بقيت لهم، فقال: لن يزال الناس بخير ما اتقوا ربهم

باب في اليقين

قال الحسن: صدق الله ورسوله، باليقين طلبت الجنة، وباليقين هرب من النار، وباليقين صبر على المكروه، وباليقين أديت الفرائض، وفي معافاة الله خير كثير، قد والله رأيناهم يتقاربون في العافية؛ فإذا وقع البلاء تباينوا.

وقال بعض الحكماء: اليقين نظر القلوب إلى الله تعالى بحقائق الإيمان.

وقال بعض الحكماء: اليقين من صفات المؤمنين الصالحين؛ لا يكون المؤمن مؤمناً ما لم يصحبه يقين يُزيل عنه الشك، وإخلاص يزيل عنه النفاق وخوف يزيل عنه الأمن، ورجاء يزيل عنه اليأس، ومحبة تزيل عنه البغض

وقال بعض الحكماء: إذا خلصت العقول من المَشُوبات، وصفَتِ القلوب من الشهوات، بدت لها من الله أنواع الكرامات، وجرى سرّه في ميدان الموقنين يؤلمه أدنى التقصير، ولا يسره




العمل الكثير، فهو هـارب من وجـه، وسـاكن إلى وجه، يهرب من نقمتـه، ويسـكن إلى عفـوه، قـد شهد بصفاء يقينه صـفات الغضـب والرضـا فهـو يرجو مولاه، ويستغني عن سواه.

وقال بعض الحكمـاء: لكـل شـيء قلب، وقلب الإيمان اليقين.

باب في الشوق

في الحديث الصحيح: (وَأَسأَلك لَذَّةَ النظر إلى وَجهِكَ، والشَّوقَ إلى لِقَائِكَ، في غير ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّة) [النسائي] أي فتنة موقعة في الحيرة مفضية إلى الهلاك.

قيل: وإنما قال من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة لأن الشوق إلى لقاء الله يستلزم محبة الموت والموت يقع تمنيه كثيرا من أهل الدنيا بوقوع الضراء المضرة في الدنيا وإن كان منهيا عنه في الشرع، ويقع من أهل الدين تمنيه لخشية الوقوع في الفتن المضلة. فسأل تمني الموت خاليا من هذين الحالين وأن يكون ناشئا عن محض محبة الله والشوق إلى لقائه.

وقيل: يعني ألا يحصل له ضر أو مضرة ولا فتنة مضلة في الدنيا تكون سبباً في المنع من الوصول إلى هذه النعمة العظيمة، وهي لذة النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، فيسأل الإنسان لذة النظر؛ لأن لذة النظر هي أكبر نعيم يكون لأهل دار النعيم، (من غير ضراء مضرة) يعني في الحياة الدنيا، (ولا فتنة مضلة) تكون سبباً في عدم الوصول إلى هذه النعمة.

قال الشوكاني: إنما قيد ضراء بمضرة لأن الضراء ربما كانت نافعة آجلاً أو عاجلاً فلا يليق الاستعاذة منها أي مطلقًا، ووصف الفتنة بالمضلة لأن من الفتن ما يكون من أسباب الهداية، وهي بهذا الاعتبار مما لا يستعاذ منه.

قيل: الشوق شوق القلب إلى لقاء المحبوب، والمبادرة إليه خوف فوت المطلوب.

وقال علي بن سليمان: رأيتُ الخواص في طريق البصرة يضرب بيده على صدره، وهو يقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه.

باب في محبة الله عز وجل

روى مسلم عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: : (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)

وروى الترمذي عَنْ أَنَسٍ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فَقَامَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ»؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا»؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» فَمَا رَأَيْتُ فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الإِسْلَامِ فَرَحَهُمْ بِهَذَا ": «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»

وكان الحسن إذا قرأ: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 197]، يقول: يُعاتبهم والله لمحبته إياهم.

وقال فضيل بن عياض: إذا أحب الله عبداً ألقى في قلوب العباد محبته، وإذا أبغض الله عبداً ألقى في قلوب العباد بغضه.

وقال عروة الرقي: حُبُّ الله حُبّ القرآن، وحب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- العمل بسنته.

وقال سفيان: والله لا تبلُغنّ ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله؛ فمن أحب القرآن فقد أحب الله.

وقال قتادة في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] قال: هشت إليه واستأنست به.

وسئل بعض الحكماء: ما علامة المحبة؟ قال: المراقبة للمحبوب والتحري لمرضاته.

وقال أبو سليمان الداراني: إنّ من خلق الله خلقاً ما شغلهم طلب الجنان وما فيها من النعيم عنه، فكيف يشتغلون عنه بالدنيا.

وقال أبو بكر الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: من ذاق من خالص حبّ الله عَزَّ وَجَلَّ، شغله ذلك عن طلب الدنيا، وأوحشه من جميع البشر.

وقال بعض الحكماء: المحب لا يكون مخالفاً لمحبوب.

وقال مطرف بن أبي بكر: المُحب لا يسأم من حديث حبيبه.

وقال محمد بن نعيم: لا يُنال حُبّ الله إلا بالتعب الله، والقلب الذي يحب الله يتعب لله.

وقال الحسن: من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن.

وقال بعض التابعين: القلب الذي يُحب الله يحب التعب والنصب، هيهات أن ينال حُبّ الله بالراحة.

وقال بعض الحكماء: علامة المحبّ أن يوفقه لطاعته، وأن يعصمه عن معاصيه.

وقال يحيى بن معاذ: الحب يورث السخاء بالنفس.

وقال يحيى بن معاذ: كن الله كما يحب، يكن لك كما تُحِب.

ويُروى أن داود قال: إلهي، كُن لسليمان كما كنت لي، فأوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إليه: قل لسليمان يكن لي كما كنت لي، أكُن له كما كنتُ لك.





ويُروى أن الله عَـزَّ وَجَـلَّ أوحى إلى داود: قـد كـــــــــــــذب من ادعى محبـــــــــــــــتي، فإذا جنه الليل نام عني.

وقال أبو سعيد المقـبري: مفتـاح محبـة اللـه؛ معرفة المنة من الله.

وقــال يحــيى بن معــاذ: من أحب اللــه أبغض نفسه.

وقال أيضا: على قدر حبك الله يُحبّك الخَلْق.

وقال: أنتَ بين الله وخَلْقِه، فإن علَّقْتَ قلبـك بهم خَذَلُوكَ، وإن علَّقْتَ بمولاكَ خَدَمُوكَ.

وقال يحيى بن معاذ: ليس محباً من ليس فيـه ثلاث خصــال؛ يــوثر القــرآن على كلام الخلــق، والخلوة على لقـاء الخلـق، والعبـادة على خدمـة الخلق.

وقال ابن المبارك في المحبة:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا العمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وقال بعض الحكماء: من عبد الله بالرجاء فهو مرجي، ومن عبد الله بالخوف فهو حروري، ومن عبـد اللـه بالمحبـة فهـو زنـديق، ومن عبـد اللـه بالرجاء والخوف والمحبة فهو مستقيم.

وقــال ذو النــون المصــري: بينـا أنـا أسـير إذ لقيت امـرأة كأنهـا والهـة، فقـالت لي: من أنت؟ فقلت: أنـا رجـل غـريب، فقـالت لي: يـا غـريب، وهل يوجد مع اللـه أحـزان الغربـة، وهـو مـؤنس الغربـاء ومعين الضـعفاء؟ قـال: فبكيت لقولهـا، فقــالت: اعلم أن البكــاء راحــة للقلب، وملجــاً للضعيف، ومـا كتم المـرء شـيئاً هـو أولى بـه من الزفير والشهيق، قال: فقلت لها: علميني شيئاً، فقالت: أحبب ربـك واشـتق إليـه ؛ فـإن لـه يومـا

يتجلى فيه لأهل محبّته؛ فينيلهم ما أملوا من رؤيته، ثم أخذت في البكاء، فتركتها ومضيت.

وقال يحيى بن معاذ: إلهي إني مقيم بفنائك، مشغول بثنائك، صغيراً أخذتني إليك، وسربلتني بمعرفتك، وأمكنتني من لطفك ونقلتني في الأحوال، وقلبتني في الأعمال ستراً وتوبة وزهداً وشوقاً ورضا وحبا، لتسقيني من حياضك، وتهملني في رياضك ملازماً لأمرك، ومشغوفاً بقولك، ولما طر [نبت] شاربي، ولاح طائلي فكيف أنصرف اليوم عنك كبيراً، وقد اعتدت هذا منك صغيراً، فلي ما بقيت حولك زمزمة، وبالضراعة إليك همهمة؛ لأني أحبك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف.

باب في المتحابين في الله

وروى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا).

روى أحمد عن أبي طَيْبَةَ، قَالَ: إِنَّ شُرَحْبِيلَ بْنَ السِّمْطِ دَعَا عَمْرَو بْنَ عَبَسَةَ السُّلَمِيَّ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَسَةَ، هَلْ أَنْتَ مُحَدِّثِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ أَنْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْسَ فِيهِ تَزَيُّدٌ وَلَا كَذِبٌ ؟ وَلَا تُحَدِّثْنِيهِ عَنْ آخَرَ سَمِعَهُ مِنْهُ غَيْرِكَ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَافُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي) [صحيح]





وروى مسلم عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي).

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ).

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً).

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ.

وقال الحسن: كانوا يتحابون وقل ما يتلاقون.

وقال بقية بن الوليد: إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه.

ويُروى أن رجلاً دخل على داود الطائي، فقال له: ما حاجتك؟ قال: زيارتك، فقال: أما أنت فقد عملت خيراً حين زُرت، ولكن انظر ماذا ينزل بي إذا قيل: من أنت فتزار ؟ أمن العباد أنت؟ لا

والله، أمن الزهاد أنت؟ لا والله، أمن الصالحين أنت؟ لا والله، ثم أقبل يُوبّخ نفسه، ويقول: كنتُ في الشبيبة فاسقاً، فلما شخت صرت مرائياً، والله للمرائي أشر من الفاسق.

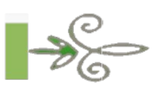
ويُروى عن ثابت البناني أنه قال: إنّا لوقوف بعرفات؛ إذ أقبل شابان عليهما العباء، فقال أحدهما لصاحبه يا حبيب، فأجابه الآخر: لبيك يا محبوب، فقال: أترى الذي تحاببنا له وتوددنا من أجله يُعَذِّبنا يوم القيامة، فسمع صائح يصيح في الهواء: «كلا ليس بفاعل».

باب في الحب في الله والبغض في الله

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهَ عَلَيهِ وسَلَّم-: (أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحُبُّ فِي الله، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ).

وروى أحمد عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: (أَتَدْرُونَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟) قَالَ قَائِلٌ: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ، وَقَالَ قَائِلٌ: الْجِهَادُ، قَالَ: (إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ) [حسن لغيره]

وروى أحمد عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: (أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟)، قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: (حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟) قَالُوا: الزَّكَاةُ، قَالَ: (حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟) قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: (حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟) قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: (حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟) قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: (حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟) قَالَ: (إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ) [حسن بشواهده]




ويُروى: أن الله عَـزَّ وَجَـلَّ أوحى إلى نـبي من الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحـة، وأما انقطاعـك إلى فقـد تعـززت بي، ولكن هـل عـــاديت لي عـــدواً، أو واليت لي وليا.

ويروى عن عبد الله بن عمر أنه قال: والله لو صـــمت النهـــار لا أفطـــره، وقمت الليـل لا أنامـه، وأنفقت مـالي علقـاً علـق في سـبيل اللـه، وأمـوت يـوم أمـوت وليس في قلبي حب لأهل طاعة اللـه وبغض لأهـل معصـية الله، ما نفعني ذلك شيئا.

وقال يحيى بن معـاذ: من هجـر في ذات اللـه الأقرباء، عوضه الله صحبة الأولياء.

وَذَكَــرُوا عِنْــدَ مُجَمِّعٍ التَّيْمِيِّ الْحُبَّ فِي اللــهِ وَالْبُغْضَ فِي اللـهِ، فَقَـالَ: «مَـا مِنْ شَـيْءٍ يَعْدِلُـهُ عِنْدِي» قَـالَ أَبُـو بَكْـرٍ: «سَـمِعْتُهُ مِنْـهُ مُنْـذُ ثَلَاثِينَ سَـنَةً تَنْقُصُ سَـنَةً أَوْ سَـنَتَيْنِ، وَمَـا رُئِيَ بِالْكُوفَـةِ يَوْمَئِذٍ خُلُقًا خَيْرًا مِنْ مُجَمِّعٍ».

وقال ابن السماك عند موته: «اللهم إنك تعلم أني إذ كنتُ أعصـــيك أُحِب مَن يطيعك، فاجعل ذلك قربة مني إليك.

وقال الفضيل في بعض كلامه: هـاه، تريـد أن تسكن الفردوس وتجـاور الـرحمن في داره، مـع النبيين والصـديقين والشـهداء والصـالحين، بـأي عمـل عملتـه؟ بـأي شـهوة تركتهـا؟ بـأي غيـظ كظمته؟ بأي رحم قاطع وصلته؟ بأي زلـة لأخيـك سترتها؟ بأي قريب باعدتـه في اللـه؟ بـأي بعيـد قاربته في الله؟

وقال الحسن: يا ابن آدم، لا يغرنـك قـول من يقول: المرء مع من أحب؛ فإنك لا تلحـق الأبـرار إلا بأعمـالهم؛ فـإن النصـارى واليهـود يحبّـون أنبياءهم، وليسوا معهم.

ويُروى: أن الله عَزَّ وَجَلَّ أوحى إلى موسى: هل عملت لي عملاً قط ؟ قال: إلهي صليت لك، وصمت لك، وتصدقت لك، قال الله عز وجل: إن الصلاة لك برهان، والصوم لك جنة، والصدقة لك ظل، والذكر لك نور، فأي عمل عملت لي؟ قال موسى: إلهي دلني على عمل هو لك حتى آتيه، قال: يا موسى، هل واليت لي وليا قط؟ هل عاديت لي عدواً قط؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله.

وقال الحسن: مصارمة الفاسق قربان إلى الله عز وجل.

وقال: اللهم لا تجعل الفاجر علي منة، فترزقه مني محبة.

ويُروى: أن الله عَزَّ وَجَلَّ أوحى إلى عيسى: لو أنك عبدتني بعبادة أهل السماوات وأهل الأرض، وحبا في الله ليس، وبغضاً في الله ليس؛ ما أغنى ذلك عنك من الله شيئا.

وقال رجل لمحمد بن واسع: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتني له، ثم حول وجهه، وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أُحَبَّ فيك وأنت لي مُبْغِضُ.

وقال ابن مسعود: لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام، فعبد الله سبعين سنة، لبعثه الله يوم القيامة مع من يُحبّ.

ويُروى عن عيسى أنه قال: تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إليه بالتباعد عنهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم، قالوا: يا روح الله، فمن نجالس؟ قال: جالسوا من يُذكركم بالله رؤيته، ومن يزيد في عملكم منطقه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله.

باب في النظر إلى الله عز وجل

قال محمد بن كعب القرظي في قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23]، قال: نصر الله تلك الوجوه؛ أي: حسنها النظر إليه.

وقيل في معنى قول الله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26] الحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل.

وقال عَزَّ وَجَلَّ في أهل النار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15]؛ وهذا يدل على أن أهل الجنة ليسوا بمحجوبين عن ربهم.

وقال أحمد بن حنبل: من قال إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يُرى في الآخرة، فهو كافر.

وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد، أخبرنا عن الله عَزَّ وَجَلَّ، هل يُرى في الدنيا؟ قال: لا. قال: وهل يُرى في الآخرة؟ قال: نعم، قال: فمن أين افترقتا؟ فقال: لأن الدنيا فانية فان ما فيها، والآخرة باقية باقي ما فيها، فمحال أن نرى الباقي بالفاني؛ فإذا كان يوم القيامة، خُلقت لهم أعين باقية، فينظروا بالباقي إلى الباقي.

وقال عكرمة في قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: مسرورة فرحة إلى ربها ناظرة.

وقال يحي بن معاذ: إذا نظر أهل الجنة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ذهبت أعينهم وقلوبهم من لذة النظر ما شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، لا ترجع إليهم، فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله، إذا لاحظوا جلاله هاموا، وإذا لاحظوا جماله تاهوا



باب في الموعظة

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) [رواه النسائي والغوي في شرح السنة وقال هَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ]

وروى البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)

شبه المكلف بالتاجر، والصحة والفراغ برأس المال لكونهما من أسباب الأرباح ومقدمات النجاح، فمن عامل اللّه بامتثال أوامره ربح، ومن عامل الشيطان باتباعه ضيع رأس ماله. ونبه بكثير على أن الموفق لذلك قليل.

وقال حكيم: الدنيا بحذافيرها في الأمن والسلامة.

وفي منشور الحكم: من الفراغ تكون الصبوة، ومن أمضى يومه في حق قضاه، أو فرض أدَّاه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه فقد عتق يومه.

وعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ [هو أن يطيعه صاحبه في منع الحقوق التي أوجبها اللّه عليه في ماله] وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ [وهو ملاحظة لها بعين الكمال والاستحسان مع نسيان منة اللّه فإن وقع على الغير واحتقره فهو الكبر]، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدَ [التوسط] فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ) [الطبراني في الأوسط، والسلسلة الصحيحة]



قال الغزالي: أحـذرك ثلاثـاً من خبـائث القلب هي الغالبـة على متفقهـة العصـر وهي مهلكـات وأمّهــات لجملــة من الخبــائث ســواها: الحســد والرياء والعجب. فاجتهد في تطهير قلبـك منهـا، فإن عجزت عنه فأنت عن غـيره أعجـز، ولا تظن أنـه يسـلم لـك نيـة صـالحة في تعلم العلم وفي قلبـك شـيء من الحسـد والريـاء والعجب، فأمـا الحسد فالحسود هو الذي ينشق عليه إنعـام اللّـه على عبد من عباده بمال أو علم أو محبة أو حــظ حتى يحب زوالها عنـه، وإن لم يحصـل لـه شـيء فهو المعذب الذي لا يـرحم، فلا يـزال في عـذاب فالــدنيا لا تخلــو عن كثــير من أقرانــه فهــو في عذاب في الدنيا إلى موتـه ولعـذاب الآخـرة أشـد وأكبر.

وأمـا الهـوى المتبـع فهـو طلبـك المنزلـة في قلوب الخلق لتنـال الجـاه والحشـمة وفيـه هلـك أكثر الناس.

وأما العجب فهو الداء العضال وهو نظر العبـد إلى نفسه بعين العز والاستعظام ونظـره لغـيره بعين الاحتقار وثمرته أن يقول أنا وأنا كمـا قـال إبليس ونتيجتــه في المجــالس التقــدم والــترفع وطلب التصدر وفي المحاورة الاسـتنكاف من أن يرد كلامه وذلك مهلك للنفس في الدنيا والآخرة.

وقال الزمخشري: الإعجاب هـو فتنـة العلمـاء وأعظم بها من فتنة.

وفي روايــة عن ابن عمــر، قــال -صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ثلاث مهلكات وثلاث منجيـات وثلاث كفــارات [لــذنوب فاعلهــا] وثلاث درجــات [أي منازل في الآخرة]; فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع[هو أن يتبع كل ما يـأمره بـه هـواه]، وإعجاب المرء بنفسـه; وأمـا المنجيـات: فالعـدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغـنى، وخشـية اللـه تعـالى في السـر والعلانيـة; وأمـا

الكفارات [وهي الخصال التي من شأنها أن تكفر أي تستر الخطيئة وتمحوها]: فانتظار الصلاة بعد الصلاة [ليصليها في المسجد]، وإسباغ الوضوء في السبرات [جمع سبْرة وهي شدّة البرد كسجدة وسجدات] ونقل الأقدام إلى الجماعات [أي إلى الصلاة مع الجماعة]; وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام [بين الناس من عرفته ومن لم تعرفه]، والصلاة بالليل والناس نيام [التهجد في جوف الليل حال غفلة الناس واستغراقهم في لذة النوم وذلك هو وقت الصفاء وتنزلات غيث الرحمة وإشراق الأنوار]) [حسن، صحيح الجامع]

خص الشح بالمطاع لينبه أن الشح في النفس ليس مما يستحق به ذم إذ ليس هو من فعله وإنما يذم بالانقياد له. لأنه من لوازم النفس مستمد من أصل جبلتها الترابي وفي التراب قبض وإمساك وليس ذلك بعجيب من الآدمي وهو جبلي إنما العجيب وجود السخاء في الغريزة وهو النفوس الفاضلة الداعي إلى البذل والإيثار.

وإعجاب المرء بنفسه: أي تحسين كل أحد نفسه على غيره وإن كان قبيحاً.. قال تعالى في قصة قارون ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: 78] قال اللّه تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ﴾ [القصص: 81] فثمرة العجب الهلاك.

قال الغزالي: ومن آفات العجب أنه يحجب عن التوفيق والتأييد من اللّه تعالى فإن المعجب مخذول فإذا انقطع عن العبد التأييد والتوفيق فما أسرع ما يهلك.

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام: يا معشر الحواريين كم سراج قد أطفأته الريح وكم عابد أفسده العجب.

وأما في المنجيات.. (وخشية الله تعالى في السر والعلانية) فقدم السر لأن تقوى اللّه فيه أعلى درجة من العلن لما يخاف من شوب رؤية الناس وهذه درجة المراقبة وخشيته فيهما تمنع من ارتكاب كل منهي وتحثه على فعل كل مأمور فإن حصل للعبد غفلة عن ملاحظة خوفه وتقواه فارتكب مخالفة مولاه لجأ إلى التوبة ثم داوم الخشية.

وروى أحمد بسند صحيح عن عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (عُودُوا الْمَرِيضَ، وَامْشُوا مَعَ الْجَنَائِزِ تُذَكِّرْكُمُ الْآخِرَةَ).

وقال نعمان بن بشير: يا أيها الناس، خذوا على أيدي سفهائكم؛ فإني سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: (إنَّ قوما ركبوا البحر في سفينة فاقتسموها، فأصاب كل رجل منهم مكاناً، فأخذ رجل منهم الفأس فنقر مكانه، فقالوا: ما تصنع؟ فقال: مكاني أصنع فيه ما شئت؛ فإن أخذوا على يديه نجا ونجوا، وإن تركوه غرق وغرقوا)؛ فخُذوا على أيدي سفهائكم قبل أن تهلكوا [رواه ابن المبارك في الزهد]

ويروى: (تركت فيكم واعظين: ناطقاً وصامتاً؛ فالناطق القرآن، والصامت الموت)

وعَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم-: (قَالَ لِي جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ لاَقِيهِ). [رَوَاهُ الطَّيَالِسِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ]

ويروى: أنّ الله عَزَّ وَجَلَّ أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: أن قف على المدائن



والحصون، فأبلغهم عني حرفين، قل لهم: لا يأكلون إلا حلالا، ولا يتكلمون إلا بالحق.

وقال الحسن: لما أهبط الله آدم إلى الأرض، أوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إليه: يا آدم، أربع فيهن جماع الأمر لك ولولدك من بعدك واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة في ما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين الناس؛ فأما التي لي؛ فتعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك؛ فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك؛ فعليك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس؛ فاصحبهم بما تريد أن يصحبوك به)

ويُروى: أن الله عَزَّ وَجَلَّ أوحى إلى نبي من الأنبياء: هب لي من قلبك الخشوع، ومن عينيك الدموع، ثم ادْعُني أستجب لك؛ فإني قريب.

وقال يوسف بن الحسين: بَلَغَني أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: يا ابن آدم، لم أخلقك لأربح عليك، وإنما خلقتك لتربح علي، فاتخذني بدلاً من كل شيء، فأنا خير لك من كل شيء .

ويروى: أن عيسى قال لأصحابه: إن كنتم أصحابي وإخواني؛ فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس؛ فإنكم إن لم تفعلوا فلستم بإخواني، إنما أعلمكم لتعلموا ولا أعلمكم لتعجبوا، إنكم لا تبلغون ما تأملون إلا بصبركم على ما تكرهون، ولا تنالون ما تريدون إلا بترككم ما تشتهون، وإياكم والنظرة؛ فإنها تزرع في القلب شهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة، طوبى لمن كان بصره في قلبه، ولم يكن قلبه في بصره، وما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت، ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويثق بها، وتغرّه ويأمنها وتمكره، ويل لمن كانت الدنيا همه والخطايا عمله، كيف يفتضح غداً، بقَدْرِ ما



تحرثـون كـذلك تحصـدون، وبقـدر مـا تتواضـعون كذلك ترحمون.

وكان يزيد الرقاشـي يقـول: ويحـك يـا يزيـد، من يصلي عنك بعد الموت؟ من يصـوم عنـك بعـد الموت؟ من ذا يترضى لـك ربـك بعـد المـوت؟ ثم يقول: يـا معشـر النـاس: لم لا تبكـون وتنوحـون على أنفسكم باقي حيـاتكم؟ من المـوت موعـده والقبر بيته، والثرى فراشه، والدود أنيسـه، وهـو مـع هـذا ينتظـر الفـزع الأكـبر، ثم يبكي حـتى يسقط مغشياً عليه.

ويُـروى: أن فـتى كـان يُجـالس الثـوري ولا يتكلم، فأحب الثـوري أن يسـمع كلامـه، فمـر بـه يوما، فقال: يا فتى، إنَّ مَن كان قبلنا مروا على الخيـــــــل، وبقينـــــــا على حمر دبِرةٍ، فقال لـه الفـتى: يـا أبـا عبـد اللـه، إن كُنـا على الطريق فما أسرع لحوقنا بالقوم.

وقـــال ابن شـــبرمة: عجبت لمن يحتمي من الطعام والشـراب مخافـة الـداء، كيـف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار.

وقال عسعس بن سلامة لأصـحابه: سـأحدثكم ببيت من الشعر، فجعلوا ينظرون إليه، ويقولون: ما تصنع بالشعر؟ فقال:

إن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

فبكى القوم بكاء ما بكوا قبله مثله.

ويروى عن أبي الدرداء: أنه قام وتعصب على درج دمشـــــق، فقـــــال: يـــــا أهل دمشـق، ألا تسـمعون من أخ لكم ناصـح، إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً، ويبنـون شـديداً، ويـأملون بعيـداً، فأصـبح جمعهم بـوراً، وبنيـانهم قبوراً، وأملهم غروراً

وقال الحسن: ابن آدم، إنما أنت عدد أيام؛ إذا مضى منك يوم مضى منك بعضك.





وأنشدوا في هذا المعنى:

إنا لنفرح بالأيام ندفعها وكل يوم مضى نقص من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداًفإنما الربح والخسران في العمل

وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ قال رجل من المسلمين: حسبي حسبي، إن عملت مثقال ذرة من خير أو شر رأيته، انتهت الموعظة.

وقال الحسن: ابن آدم، طَإِ الأرض بقدمك؛ فإنها عن قليل قبرك، وإنك لم تزل في هدم عُمرك منذ سقطت من بطن أمك.

وقال عبد الله بن عمر: إذا أصبحت فلا تُحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك؛ فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً.

وقال عمر بن الخطاب: ويل لمن كانت الدنيا أمله، والخطايا عمله، عظيم بطنته، قليل فطنته، عالم بدنياه، جاهل بآخرته.

ويُروى: أن شبيب بن شيبة وعظ المنصور، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يجعل فوقك أحداً، فلا تجعل فوق شكرك شكراً.

وقال العتابي: مررتُ بدير، فإذا راهب ينادي، فرفعت رأسي إليه، فقال لي: ويحك هب أن المسيء قد عُفي عنه، أليس قد فاته ثواب الصالحين؟

وقال العلاء بن زياد: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعته عز وجل.

وقال بعض الحكماء: عجبتُ ممن يحزن على نقصان ماله، ولا يحزن على نقصان عمره، وعجبت ممن الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة إليه، يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة.

وقال الفضيل: رحم الله عبداً نظر لنفسه؛ فإنه من لم ينظر لنفسه لم ينظر لها غيره.

وقال عون بن عبد الله: ما أنزل الموت كُنْه منزلته من عد غداً من أجله، فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومؤمل غداً لا يبلغه ولو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

وقال علي بن أبي طالب الله يوماً لأصحابه: فيم أنتم؟ قالوا: نرجوا ونخاف، قال: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه.

وقال طاووس لرجل: إني مكلّمك ثلاث أجمع لك بهن علم الأولين والآخرين؛ خف الله حتى لا يكون شيء أخوف لك منه، وارج الله حتى لا يكون شيء أرجى عندك منه، وأحب الله حتى لا يكون شيء أحب إليك منه، فإذا فعلت ذلك فقد علمت علم الأولين والآخرين.

وقال أبو الدرداء: ألا رُب مُنْعم لنفسه وهو لها مهين، ألا رب مبيض لثيابه وهو لدينه مدنس.

وأنشدوا في المعنى:

ولا خير في عيش امري لم يكن له من الله في دار القرار نصيب

وقال عثمان بن الهيثم الغنوي: خصماؤكم الأوزار، وقاضيكم الجبار والمأوى إلى الجنة أو النار .

وقال ابن مسعود: كُن مشغولاً بما أنت عنه مسئول.




وقال ابن المبارك: استعد للآخرة بقدر بقائك فيها، وأطع الله بقدر حاجتك إليه، واعص الله بقدر صبرك على النار.

وقال ابن مسعود: كفى بالموت واعظاً، وباليقين غنى، وبالعبادة شغلا.

وقال عيسى: عجبت لثلاثة؛ غافل وليس بمغفول عنه، ومؤمل الدنيا والموت يطلبه، وباني القصر والقبر مسكنه.

وقال يحيى بن معاذ: يا ابن آدم، لا تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت ولا تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت.

وقال أبو حازم: انظر كل ما تكره الموت من أجله فاتركه، ولا يضرك متى مت.

وقال حارث بن أسد: أحذرك ونفسي من يوم إلى الله على نفسه أن لا يترك عبداً أَمَرَهُ في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله، دقيقه وجليله، سره وعلانيته، فانظر بأي بدن تقف بين يديه، وبأي لسان تُجيب، فأعد للسؤال جواباً، وللجواب صوابا.

وقال بعض الحكماء: إن من الناس من لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر، ولا أحسبني إلا منهم.

وقال شميط: انظر إلى الناس يوم عيدهم ومجمعهم، فما ترى عليهم إلا خرقة تبلى، ولحما يأكله الدود غداً.

وقال أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من باب داري أو منزلي، فما يقع بصري على شيء إلا ولي فيه عبرة، والله علي فيه نعمة.

وقال بلال بن سعد: عباد الرحمن، اعلموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، وفي دار زوال لدار مقامة، وفي دار

نصب وحزن لدار نعيم وخلود، ومن لم يعمل على اليقين فلا يتعن.

وقال بلال بن سعد أيضاً: عباد الرحمن، أما ما وكلكم به فتضيعون، وأما ما تكفل لكم به فتطلبون، ما هكذا نعت الله عباده المؤمنين، أذووا عقول في طلب الدنيا، وبله عما خُلقتم له؟ فكما ترجون رحمة الله على طاعته، فكذلك فأشفقوا من عذاب الله على معاصيه.

وقال بلال بن سعد: يقال لأحدنا: أتحب أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال: لم؟ فيقول: حتى أعمل فيقال له: اعمل فيقول: سوف، فلا يُحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله ولا يؤخر عرض الدنيا.

وقال بلال بن سعد: ربّ مسرور مغبون، ورب مغبون لا يشعر، فويل لمن له الويل وهو لا يشعر، يأكل ويشرب ويضحك، وقد حق له في كتاب الله آية أنه من وقود النار.

وقال أبو حازم: من يتكفل لي باثنين أتكفل له بالجنة؛ عملاً بما تكرهون إذا أحب الله، وترك ما تحبون إذا كرهه الله.

وقال حامد اللفاف: إن أمام ابن آدم ثلاثة أشياء: موت كريه المذاق، ونار أليمة العذاب، وجنة عظيمة الثواب.

وقال لقمان لابنه: يا بني، خُلق الإنسان على ثلاثة أثلاث: ثلث الله، وثلث لنفسه، وثلث للدود والتراب، قال: فالذي الله فروحه، والذي لنفسه فعمله، والذي للدود والتراب فجسمه، يا بني، الفاجر الخاسر من ينصب ويشقى للدود والتراب.

وقال أبو حازم: إني لأعظ وما أنا بواعظ ولا بموضع للوعظ، ولكني أريد به نفسي.

وقال يحيى بن معاذ: إذا أعرض الرجل عن الموعظة، فقد رضي بالنار.

وقال يحيى بن معاذ: إن في اكتساب الدنيا ذل النفوس، وفي اكتساب الآخرة عز النفوس، فيا عجباً لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى، على العز في طلب ما يبقى.

ونظر بعض العباد إلى باب جديد، فقال: باب جديد، وموت عتيد [حاضر]، ونزع شديد، وسفر بعيد.

وقال يحيى بن معاذ: ليكن نظرك إلى الدنيا اعتباراً، وسعيك لها اضطراراً، ورفضك لها اختياراً، وطلبك للآخرة ابتداراً.

وقال علي بن أبي طالب: لا تكن ممن يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة في ما بقي، وينهى الناس ولا ينتهي.

وقال الحسن: يا عجبا لأقوام أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم، وهم قعود يلعبون.

وقال حكيم: ليس للدين عوض، ولا للإيمان بدل، ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار؛ فإنه يُسار به وإن لم يسر.

وقال ذو النون المصري: إذا أردت أن تذهب قساوة قلبك فأدم الصلاة، فإن وجدت قساوة فأطل الصيام، فإن وجدت قساوة فذر الحرام، فإن وجدت قساوة فصل الأرحام، فإن وجدت قساوة فذر الكلام، فإن وجدت قساوة فالطف بالأيتام.

ودخل ابن السماك على هارون الرشيد، وهو يشرب ماء، فقال له: يا ابن السماك، عظني، فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيتك لو حبست عنك هذه الشربة، أكنت تفديها بمُلْكِكَ؟ قال: نعم، قال: يا أمير المؤمنين لو حبس عنك خروجها؟ أكنت تفديها بملكك، قال:

نعم، قال: فما خير ملك لا يساوي شربة ولا بولة .

وقال رجل لابن السماك: عظني؟ فقال: بما أعظك أصلحك الله؟ إنما الناس ثلاثة: زاهد وصابر وراغب، فأما الزاهد؛ فقد خرجت الأحزان من قلبه، لا يأسي على ما فاته من الدنيا، ولا يفرح بما أوتي منها، فالناس منه في راحة، وهو من نفسه في غناء، وأما الصابر؛ فإنه ليشتهيها بقلبه، وإذا ذكر ما فيها من عارها وشنارها امتنع منها، وأما الراغب؛ فإنه لا يبالي من أين أتت الدنيا، أفسد فيها دينه أو دنّس فيها عرضه، فمن أي الثلاثة أنت؟ قال: من الراغبين، قال: أفٍّ لك ولأصحابك، ما تصلحون إلا أن تُسدّ بكم الأنهار والجسور.

ودخل أبو حازم على سليمان بن عبد الملك بعدما استخلف، فقال: يا أبا حازم، ما بالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم دنياكم، وخربتم آخرتكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب، قال: فأخبرني كيف القدوم على الله عز وجل؟ قال: يا أمير المؤمنين، أما المحسن؛ فكالغائب يأتي أهله مسروراً، وأما المسيء؛ فكالعبد الآبق، يأتي مولاه خائفاً محزوناً. قال: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين، قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم، قال: فأي الدعاء أفضل؟ قال: دعاء الملهوف للمحسن إليه، قال: فأي الصدقات أزكى؟ قال: جهد المقل، لا منّا فيه ولا أذى، قال: فأي القول أعدل؟ قال: كلمة حق عند من يُخَاف، قال: فأي الناس أعقل؟ قال: مَن عَمِل بطاعة الله ودَلَّ الناس عليها، قال: فأي الناس أجهل؟ قال: من باع آخرته بدنيا غيره، قال: عظني وأوجز، قال: نعم يا أمير المؤمنين،

نزّه ربك وعظمه أن يراك حيث نهاك، أو يفقــدك من حيث أمرك.

فبكى سليمان بكاء شديداً، فقال رجل من جلسائه: أسأت إلى أمير المؤمنين، فقال له أبـو حـازم: اسكت؛ فـإنَّ اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ أخـذ ميثـاق العلماء لَيُبَيِّنَنَّهُ للنـاس ولا يكتمونـه، ثم خـرج من عنـده، فلمـا وصـل إلى منزلـه، بعث إليـه بمـال فـرده، وقـال للرسـول: قـل لـه: واللـه يـا أمـير المؤمنين ما أرضاه لك، فكيف أرضاه لنفسي.

ولما حج سليمان بن عبد الملك وقدم المدينة، بعث إلى أبي حازم، فلما دخل عليه، فقال له: يا أبـا حـازم، تكلّم، قـال: فيم أتكلم يـا أمـير المؤمنين، قال: في المخرج من هذا الأمر، قـال: يسير إن أنت فعلته، قال: وما ذاك؟ قال: لا تأخذ الأشياء إلا بحلها، ولا تضعها إلا في أهلها، وقال: من يقدر على ذلك؟ قال: من قلده اللـه من أمـر الرعية ما قلدك، قال: عظني يا أبا حـازم؟ قـال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر لم يصـل إليـك إلا بموت من كان قبلك، وهو خارج من يدك بمثل ما صار به إليك، قال: يا أبا حازم، أشـر علي، قـال: إنما أنت سوق من الأسواق، فما حمـل إليـك من خـير أو شـر نفـق عنـدك، فـاختر لنفسـك أيهمـا شئت، قال: فمـا لـك لا تأتينـا؟ قـال: ومـا أصـنع بإتيانـك، إن أذنيتـني فتنتـني، وإن أقصـيتني أحزنتـني، وليس عنـدي مـال أخافـك عليـه، ولا عندك مال أرجوك له، قال: فارفع إلينا حوائجـك، قال: قد رفعتهـا إلى من هـو أقـدر عليهـا منـك، فما أعطاني منها قبلت، وما منعني منها رضيت.

باب في الخُطب

يُـروى: أن عمـر بن عبـد العزيـز جمـع النـاس يومـا، فخطبهم، فحمـد اللـه وأثـنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال: يـا أيهـا النـاس،



إني لم أجمعكم لحدث أحدثه فيكم، ولكن إنما نظرت في معادكم وإلى ما تنتهون إليه، فوجدت المصدق به أحمق، والمكذب به هالكا. والسلام.

وخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته: أما بعد، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ كتب على الدنيا الفناء، وكتب على الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء، فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة، فاقهروا طول الأمل بقصر الأجل.

وخطب الحجاج يوماً، فقال في خطبته: إن الله تعالى أمرنا بطلب الآخرة، وتكفل لنا بطلب الدنيا، فيا ليته قد تكفل لنا بالآخرة، وأمرنا بطلب الدنيا. فقال الحسن: كلمة حق عند فاسق.

وخطب المأمون يوم الجمعة، وقال في خطبته: يا أيها الناس، ابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جد بكم الرحيل، واستعدوا للموت فقد أظلكم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، واعلموا أن الدنيا ليست لكم بدار، فاستبدلوها، وإن غاية تَنْقُصها اللحظة وتهدمها الساعة، الجديرة بقصر المدة، وإن غائبا يحدوه الجديدان لحري بسرعة الأوبة، وإن قادماً يحل بالفوز أو الشقوة ليستحق بأفضل العدة، فيا لها ندامة من ذي غفلة، يكون عُمره عليه حُجَّة وتؤديه أيامه إلى حسرة.

باب فيه وصايا

في الحديث الشريف:

// (صل صلاة مودع كأنك تراه [عيانا]، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وايأس مما في أيدي الناس تعش غنيا، وإياك وما يعتذر منه). [صحيح الجامع: حسن]



// قال بعض الحكماء: من عدم القناعة لم يزده المال إلا فقراً.

(وإياك وما يعتذر منه) أي احذر أن تتكلم أو تعمل بما يحوجك أن تعتذر عنه.

// (اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها، وإياك و كل أمر يعتذر منه). [صحيح الجامع: حسن]

قال ذا النون: ثلاثة من أعلام الكمال: وزن الكلام قبل التفوه به، ومجانبة ما يحوج إلى الاعتذار، وترك إجابة السفيه حلماً عنه.

وأخرج أحمد في الزهد عن سعد بن عبادة أنه قال لابنه: إياك وما يعتذر منه من القول والعمل وافعل ما بدا لك. وفي رواية: فإنه لا يعتذر من خير.

وخرَّج ابن عساكر عن ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز: احفظ عني أربعاً: لا تصحب سلطاناً وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر، ولا تخلون بامرأة وإن أقرأتها القرآن، ولا تصلنَّ من قطع رحمه فإنه لك أقطع، ولا تتكلمنَّ بكلام تعتذر منه غداً.

وأخرج القالي في أماليه عن بعضهم: دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره فلست بموسع عذراً كل من أسمعته نكراً.. وهذا الحديث عده العسكري من الأمثال.

وقد قال جمع: بهاتين الكلمتين جميع آداب الدنيا والدين، وفيه جمع لما ذكره بعض الحكماء أنه لا ينبغي دخول مواضع التهم ومن ملك نفسه خاف من مواضع التهم أكثر من خوفه من وجود الألم فإن دخولها يوجب سقم القلب كما يوجب الأغذية الفاسدة سقم البدن.

فإياك والدخول على الظلمة وقد رأى العارف أبو هاشم عالماً خارجاً من بيت القاضي فقال له: نعوذ باللّه من علم لا ينفع.

ويُروى: «أن رجلاً قال لعبد الله بن مسعود: اعهد إلي، فقال: إذا سمعت الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فَأَرْعِها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه.

ويُروى: أن رجلاً قال لأبي سعيد الخدري: أوصني؟ فقال: عليك بتقوى الله؛ فإنه رأس كل خير، وعليك بالجهاد؛ فإنّه رهبانية الإسلام، وعليك بالقرآن؛ فإنه نور لك في الأرض، وذكر لك في السماء، وعليك بالصمت إلا من خير؛ فإنك بذلك تغلب الشيطان.

وقال رجل للحسن: أوصني؟ فقال: أَعِزُّ أَمْرَ الله يُعزك الله.

ويُروى: أن لقمان قال لابنه: يا بني زاحم العلماء بركبتيك، ولا تجادلهم فيمقتوك، وخُذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض، فتكون عيالاً وعلى أعناق الرجال كلا، وصم صوما يكسر شهوتك، ولا تصم صوماً يضر بصلاتك؛ فإن الصلاة أفضل من الصوم، ولا تجالس السفيه، ولا تخالط ذا الوجهين.

ويُروى أن لقمان قال لابنه: يا بني، لا تضحك من غير عَجَب، ولا تمش من غير أَرَبٍ، ولا تسأل عما لا يعنيك، ولا تضيع مَالَكَ وتصلح مال غيرك؛ فإن مالك ما قدمت، ومال غيرك ما تركت، يا بني، إنَّ مَن يرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يقل الخير يغنم، ومن يقل الشر يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم.

وقال رجل لأبي حازم: أوصني، قال: كُلّ ما لو جاءك الموت عليه رأيته غنيمة فالزمه، وكل ما لو جاءك الموت عليه رأيته مصيبة فاجتنبه.

وقال رجل لمحمد بن واسع: أوصني، فقال: أوصيك أن تكون ملكا في الدنيا والآخرة، قال: وكيف لي ذلك؟ قال: الزم الزهد في الدنيا.

وقال رجل لمعاذ بن جبل: أوصني، فقال: كُن بالمؤمنين رءوفاً رحيماً، أكن لك بالجنة زعيما.

وقال موسى للخضر عليهما السلام: أوصني، قال: كُن بساماً ولا تكن غضاباً، وكن نفاعاً ولا تكن ضرّاراً، وانزع عن اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عَجَب، ولا تعير الخاطئين لخطاياهم، وابك على خطيئتك يا ابن عمران.

وقال رجل لمحمد بن كرام: أوصني؟ فقال له: اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك.

وقال رجل لحامد اللفاف: أوصني؟ قال: اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف، لأن لا تُدنّسه الآفات، قال: وما غلاف الدين؟ قال: ترك طلب الدنيا إلا ما لابد، وترك كثرة الكلام إلا في ما لابد، وترك مخالطة الناس إلا في ما لابد.

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: أوصني، قال: إياك والناس، وعليك بالناس، ولا بد من الناس؛ فإنَّ الناس هم الناس، وليس الناس بالناس، ذهب الناس وبقي النَّسْناس، وما أراهم بالناس، بل غمسوا بماء الناس.

باب في المكاتبات

قال عون بن عبد الله: كان كتاب الفقهاء بينهم بعضهم لبعض: مَنْ عَمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته،

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

وكتب معاوية إلى عائشة: أن اكتبي إلى كتاباً توصيني فيه ولا تكثري، فكتبت: من عائشة إلى معاوية، سلام عليك، أما بعد، فإني سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: (مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ)، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

وكتبت عائشة إلى معاوية: أما بعد، فاتَّقِ الله؛ فإنك إذا اتقيت الله كفاك الناس، وإذا اتقيت الناس لم يُغنوا من الله عنك شيئا، والسلام عليك.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فخَفْ ما خوفك الله، واحذر ما حذرك الله، وخُذ ما في يدك لما بين يديك، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإنّ فيما أمرك الله به شغلاً عما نهاك عنه، والسلام.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه، فكتب إليه: «أما بعد فإن الهول الأعظم والأمور المفظعات أمامك، ولا بد لك من مشاهدة ذلك، فإما بالنجاة وإما بالعطب، واعلم أنه من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف أمن، ومن أمن اعتبر، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك، والسلام.



وكتب مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن الدنيا دار عقوبة، ولها يجمع من لا عقل له، وبها يغتر من لا علم عِندَهُ، فَكُن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه، يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء والسلام عليك.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: أما بعد، فإن الدنيا عدوة أولياء الله، وعدوة أعداء الله، فأما أولياؤه فغمتهم، وأما أعداؤه فغرتهم، والسلام.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فقد أمكنتك المقدرة من ظلم العباد، فإذا هممت بظلم أحد، فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئاً إلا كان زائلاً عنهم، باقياً عليك، واعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ آخذ للمظلومين من الظالمين، والسلام.




باب في قولهم كيف أصبحت

كان عيسى إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا أملك ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أحاذر، وأصبحت مرتهنا بعملي، والخير كله في يد غيري، فلا فقير أفقر مني.

وكان الربيع بن خثيم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا.

وكان أبو الدرداء إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بخير إن نجوتُ من النار.

وكان سفيان الثوري إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أشكو ذا إلى ذا، وأذم ذا إلى ذا، وأفر من ذا إلى ذا.

وقيل لأويس القرني: كيف أصبحت؟ فقال: كيف يُصبح رجل إذا أصبح لا يدري أنه يُمسي، وإذا أمسى أنه يُصبح.

وقيل لمالك بن دينار كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في عُمر ينقص وذنوب تزيد.

وقيل لبعض الحكماء: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا أرضى حياتي لمماتي، ولا نفسي لربي.

وقيل لبعض الحكماء: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أبقا؛ آكل رزق ربي وأطيع عدوّه إبليس.

وقيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة.

وقيل الحامد اللفاف: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أشتهي عافية يوم إلى الليل، قيل له: أليست الأيام كلها في عافية؟ قال: عافية يوم ألا أعصي الله فيه.

وقال حاتم الأصم لحامد اللفاف: كيف أنت في نفسك؟ قال: سالماً معافى قال: يا حامد السلامة من وراء الصراط، والعافية في الجنة.

وقيل لرجل وهو يجود بنفسه: ما حالك؟ فقال: وما حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس، وينطلق إلى ملك عادل بلا حجة.

وقيل لحسان بن أبي سنان: ما حالك يا عبد الله؟ فقال: وما حال من يموت، ثم يبعث، ثم يحاسب.

وقال ابن سيرين الله الرجل: كيف حالك؟ فقال: وما حال من عليه خمس مئة درهم دينا وهو معيل، فدخل ابن سيرين منزله، فأخرج إليه ألف درهم، فدفعها إليه، وقال له: خمس مئة اقض بها دينك، وخمس مئة عُد بها على عيالك، ولم يكن
عنده غيرها. وقال: والله لا أسأل أحداً عن حاله أبداً.

وقال رجل لأبي تميمة: كيف أصبحت؟، قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يُعيرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد ولم يبلغها عملي.

وقال المزني: دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها، فقلت: «كيف أصبحت؟»، فقال: أصبحت من الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولكأس المنية شاربا، ولسوء الأعمال ملاقيا، وعلى الله واردا، فلا أدري: أروحي تصير إلى الجنة فأحييها؟! أم إلى النار فأعزيها؟!

وروي عن المروذي قال: قلت لأحمد بن حنبل -رحمه الله-: كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح من ربه يُطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يُطالبه بأداء




السنة، والملكان يطلبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يُطالبه بالفحشاء، ومَلَكُ الموت يُراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة؟!

وسئل بعض الصالحين: كيف أصبحت؟» فقال: أصبحت وبنا من نعم الله ما لا يُحصى، مع كثير ما يُعْصَى، فلا ندري على ما نشكر: على جميل ما نشر، أو على قبيح ما ستر؟!

وقال آخر: أصبحنا أضيافًا منيخين (من أناخ بالمكان حل وأقام) بأرض غُربة، ننتظر متى تدعى فنجيب.

باب في التسويف وطول الأمل .

يُروى أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لما مسح ظهر آدم فأخرج ذريته، قالت الملائكة: يا رب لا تسعهم الأرض، قال: إني جاعل موتاً، قالت الملائكة: لا يهنأهم عيش قال: إني جاعل أملاً.

ويُروى عن علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى؛ فإن طول الأمل يُنسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة قد دنت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

وقال سفيان الثوري: من عبث بعمره ضيع أيام حرثه، ومن ضيع أيام حرثه ندم أيام حصاده.

ويُروى عن الحسن أنه قال: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل.

وقال الحسن: يا ابن آدم إياك والتسويف؛ فإنك ليومك ولست لغدك، فإن

يكن غد لك، فكن في غد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم.

وقيل لرجل من عبد القيس في مَرَضِه: أوصنا فقال: أحذركم سوف.

وقال بعض الحكماء: إذا هممت بخير فبادر، وإذا هممت بشر فسوّف.

وقال داود الطائي: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن طال أمله ساء عمله.

وقال أبو عثمان النهدي، وكان قد أتى عليه نحو من مائة وثلاثين سنة، قال: ما من شيء إلا وقد أنكرته إلا أملي؛ فإني وجدته كما هو.

ويُروى: أن أول من رأى الشيب إبراهيم، فقال: يا ربّ، ما هذا؟ فقال الله عز وجل: وقار يا إبراهيم، فقال: يا رب زدني وقاراً.

وقال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: 37]، يعني: الشيب، وقيل: بل محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقال بعض الحكماء: الشيب عنوان الموت.

وكان عيسى إذا مر على الشباب يقول: كم من زرع لم يدرك الحصاد، وإذا مر على الشيوخ قال: ما ينتظر بالزرع إذا أدرك الحصاد؟

وقيل: إذا جاوز العبد أربعين سنة، ولم يغلب خيره على شره، فلينح على نفسه.

وقال أنس بن مالك: ما من شيء أحب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ مِن شاب تائب.

وقال ثابت البناني: كان على عهد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شاب يلبس ويتهيأ، فلما مات رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قصر وشمر في العبادة، فقالوا له: لو فعلت هذا ورسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حي لقرت




عينه، فقال: كان لي أمانان، فمضى أحدهما وبقي الآخر، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33]، فقد مضى، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فلا أزال أجتهد.

وقال كعب الأحبار: الشاب المتعبد أحب إلى الله من الشيخ المتعبد. يقول الله عز وجل: يا شاب كسرت شبابك، وعفرت وجهك في التراب من أجلي، فوعظمتي وجلالي لأثيبنك ثواب تسعة وتسعين صديقا.

وقال يزيد بن ميسرة: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: أيها الشاب التارك شهوته، المبتذل شبابه من أجلي، أنت عندي كبعض ملائكتي.

وقال عقبة بن عامر: يعجب ربكم عَزَّ وَجَلَّ من الشاب ليست له صبوة.

وقال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتم الشاب يلزم المسجد، فارجوا خيره.

ونظر عمر بن الخطاب إلى شاب يختلف بالأسحار إلى المسجد، وعليه جبة صوف، فقال: يا غلام، لقد أسرعت، فقال له الغلام: ليس كل ما طلع من الثَّمَر يدرك النضج.

ووعظ مالك بن دينار شاباً شاطراً، فقال له الشاب: دعنا يا مالك حتى نذوق هذه الدنيا؛ فإن شبابنا ذواق؛ فلم يلبث الشاب أن حضرته الوفاة، فبينما هو في سكراته إذ سمع صوتاً يقول: أنت القائل لمالك بن دينار: دعنا نذوق هذه الحياة الدنيا؛ فإن شبابنا ذواق، والله لتذوقن اليوم روحك ذوقا.

ومر رجل على حذيفة وعنده فتيان جلوس؛ فقال: ما هؤلاء الأحداث حولك؟ فقال حذيفة: وهل الخير إلا في الشباب، أما سمعت الله عَزَّ




وَجَلَّ يقول: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَـهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: 60]، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَـأَهُم بِـالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَـةٌ آمَنُـوا بِـرَبِّهِمْ وَزِدْنَـاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13]، ألم تعلم أن اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ لم يبعث نبيا قط إلا وهو شاب.

باب في الحكمة وطرائف الكلام

قيل: الحكمة ضـالة المـؤمن، حيث مـا وجـدها قيدها، ثم أتبع ضالة أخرى.

وقـال ابن عبـاس في قـول اللـه عـز وجـل: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُـؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَـدْ أُوتِيَ خَيْـراً كَثِـيراً وَمَـا يَـذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُـواْ الأَلْبَـابِ﴾ [البقرة: 269]، قال: المعرفة بالقرآن.

وقال مجاهد في قول الله عـز وجـل: ﴿وَلَقَـدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَـةَ﴾ [لقمـان: 12] قـال: الفقـه والعقل والإصابة في القول.

وقال الحكم بن أبان: خير مـا أوتي العبـد في الـــــدنيا الحكمـــــــة، وخـــــير مـــــا أوتي العبد في الآخرة الجنة، وخير ما يسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وقال بعض الحكماء: من عـرض نفسـه للتهم، فلا يلومنَّ إلا نفسه.

وقال أيضاً: فلا يلومن من أساء به الظن.

وقـال بعضـهم: من هـانت عليـه نفسـه، فلا ترجو خيره ولا تأمن شره.

وقال بعض الحكماء: عجبا لمن قيل فيه الخير وليس هو فيه، كيف يفرح ! ولمن قيل فيه الشر وهو فيه، كيف يغضب!

وقال وهب بن منبه: إذا سمعت الرجل يقـول فيك من الخير ما ليس فيك، فلا تـأمن أن يقـول فيك من الشر ما ليس فيك.




وقيل لعبد الملك بن مروان: من أفضل الناس؟ قال: من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة.

وقال بعض الحكماء: أربعة أبحر لأربع: عفو الله بحر الخَطِيَّاتِ، والموت بحر الحياة، والنفس بحر الشهوات، والقبر بحر الندامات.

وقال يحيى بن معاذ: من أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات، ومن لزم الحرص عدم الغنى، ومن طلب الفضول وقع في البلاء.

وقال يحيى بن معاذ: من كانت الدنيا سجنه كان القبر تخليته، ومن كان القرآن قيده كان الموت إطلاقه، ومن كان في الدنيا غريباً أصبح غداً من الله قريباً، ومن أماتته العبادة أحياه الفوز، ومن سلم منه الخلق رضي عنه الرب.

وقال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: من سعادة المرء خمسة أشياء: أن تكون زوجته موافقة، وأولاده أبراراً، وإخوانه أتقياء، وجيرانه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده.

وعنه: لا يزال الدين والدنيا قائمين ما دام العلماء يستعملون ما علموا، والجهال لا يستكبرون أن يسألوا عما لم يعلموا، والأغنياء لا يبخلون بما حولوا، والفقراء لا يبيعون آخرتهم بدنياهم.

وقال الفضيل بن يزيد الرقاشي: لا يلهينك الناس عن ذات نفسك؛ فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكيت وكيت؛ فإنه محفوظ عليك ما قلت، ولن ترى شيئاً أحسن ولا أسرع استدراكا من توبة جديدة لذنب قديم.

وقال الحسن: ما رأيتُ يقينا أشبه بالكذب من يقين الناس بالموت مع

غفلتهم عنه، وما رأيت صدقا أشبه بالكذب من قول الناس: إنا نطلب الجنة مع عجزهم عنها.

وقال الأحنف بن قيس: ثلاثة لا تُدرك بثلاثة؛ الغني بالمنى، والشباب بالخضاب، والصحة بالدواء.

وقال بعض الحكماء: العيادة بعد ثلاث واجبة، والتعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة.

وقيل لبعض الحكماء: لم سُمِّيت الجارية جارية؟ قال: لأنها أسرع جرياً في قلوب الآباء من الأبناء، لرقتهم عليهن.

ويروى أن عمر بن الخطاب أشرف على الصبيان وهم يلعبون، فلما رأوه تهاربوا إلا عبد الله بن الزبير؛ فإنه وقف مكانه، فقال له عمر: ألا هربت مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أجرم جرماً فأخافك، ولم يكن في الطريق ضيق فأوسع عليك.

وقيل لبعض الرهبان: ما الغنى في الدنيا؟ قال: قطع الرجاء منها، قيل: فأي الأصحاب أبر وأوفى؟ قال: العمل الصالح والتقى، قيل: فأيهم أضر وأجفى؟ فقال: النفس والهوى، قيل: فأين المخرج؟ قال: في سلوك المنهج، قيل: أوصنا، فقال: قد فعلت.

وقال معاوية لابن الكواء: صف لي الزمان؟ قال: أنت الزمان، إن تصلح يصلح، وإن تفسد يفسد.

وقال معاوية بن أبي سفيان لرجل من سبأ: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة، فقال له: قومك كانوا أجهل لما بعث الله محمداً فقالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال: 32]، ألا قالوا:

اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا لـه، فسكت معاوية.

وقال يحيى بن معاذ: العاقـل من عمـل ثلاثـاً: يترك الدنيا قبل أن تتركـه، وعمّـر قـبره قبـل أن يدخله، وأرضى ربه قبل أن يلقاه.

وقال حاتم الأصم: أربعـة لا يعـرف قـدرها إلا أربعـــــة؛ الشـــــباب لا يعـــــرف قـــــدره إلا الشيوخ، والصحة لا يعرف قدرها إلا المرضى، والعافيـــــــة لا يعـــــرف قـــــدرها إلا أهل البلاء، والحياة لا يعرف قدرها إلا الموتى.

وقال بعض الحكمـاء: ثلاث ليس معهن غُربـة؛ مجانبة الريب، وحسن الأدب، وكف الأذى.

وقيل لبعض الحكماء: أي الرجال أشر؟ فقال: الجميـل البخيـل، والضـخم الجبـان، والصـغير الأكول.

ولحن رجل بين يدي يحيى بن معاذ، فقيل له: تلحن بين يديـــــه، فقـــــال يحـــــيى: قوموا الخفض والرفع في الأعمال، فقـد عفونـا عنكم في الأقوال.

باب في الزهد

يروى عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْها- وعن أبيهـا أنها قالت: كانت تأتي علينا أربعون ليلة ما يُوقـد في بيت رسـول اللـه -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- مصـباح ولا نـار، قيـل لهـا: فيم كنتم تعيشـون؟ قالت: بالأسودين؛ التمر والماء.

وقالت عائشة: كان ضجاع رسول اللـه -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي ينام عليه، وسـادة من أدم حَشْوُها ليف.

وقـال الفضـيل بن عيـاض: مـا كـان فـراش رسـول اللـه -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- إلا عبـاءة مثنية، ووسادة من أدم حشوها ليف



وقال أبو بردة: أخرجت لنا عائشة -رضوان الله عليها- كساء ملبداً، وإزاراً غليظاً، وقالت: قبض رسول الله في هذين.

ويروى: أن عمر بن الخطاب الله دخل على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهو نائم على سرير مرمول بشريط، فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه، فدمعت عيناه، فقال له رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب؟ فقال: ذكرتُ كِسْرى وقيصر وما هما فيه من الملك، وذكرتك أنت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بشريط فأثره في جنبيك، فقال له رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أما ترضى يا عمر أن تكون لهما الدنيا وتكون لنا الآخرة»، قال: بلى يا رسول الله. قال: فذاك كذلك، ثم قال: (إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سافر في يوم صائف، فرفعت له شجرة فاستظل تحتها، ثم راح وتركها).

وقال الفضيل: ما شبع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر.

وقال الحسن: كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويتنعل المخصوف، ويلعق أصابعه، ويأكل على الأرض، ويقول: (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد).

وروي عنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، قُلْتُ: لَا يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا - أَوْ قَالَ ثَلَاثًا أَوْ نَحْوَ هَذَا - فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ [أخرجه الترمذي وقال حديث حسن]

وقال سفيان بن عيينة: الزهد في الدنيا هو ثلاثة أحرف: زاي وهاء ودال فمعنى الزاي: أن تترك زينة الدنيا، ومعنى الهاء أن تترك هواها، ومعنى الدال: أن تترك الدنيا بأسرها، فإذا كان هكذا، فحينئذ يسمى زاهداً.

وقال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف؛ فزهد فرض، وزهد فضل وزهد سلامة؛ فأما الزهد الفرض: الزهد في الحرام، والزهد الفضل: الزهد في الحلال، والزهد السلامة الزهد في الشبهات.

وقيل لمالك بن أنس: ما الزهد؟ قال: التقوى.

وقال مالك: لم يزهد رجل في الدنيا، إلا نطقت الحكمة على لسانه.

وقال بعض الحكماء: الزهد زهدان؛ زهد في الدنيا، وزهد في الرئاسة، فمن زهد في الدنيا ولم يزهد في الرئاسة لم ينفعه زهده في الدنيا، ومن زهد في الرئاسة كان في الدنيا أزهد.

وقال عمر بن الخطاب: الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد.

وقال أبو سليمان الداراني: ليس الزاهد من ألقى هموم الدنيا واستراح منها، فتلك راحة، إنما الزاهد من زهد في الدنيا وتعب فيها للآخرة.

وقيل لربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما رأس الزهادة؟ قال: أخذ الأشياء من حلها ووضعها في حقها.

وقال بعض الحكماء: «الزهد في الرئاسة أشدّ من الزهد في الذهب والفضة؛ لأنه قد يبذل الذهب والفضة في طلب الرئاسة.

وقال أبو سليمان الداراني: إنما الزهد في ترك الطلب.

وعنه: ليس الرجل أن يحمل أهله على الزهـد، ولكن يدعوهم إليه، فإن أجابوه؛ وإلا اشترى لهم ما يُصلحهم، وعمل هو في نفسه ما شاء.

وقـال أحمـد بن أبي الحـواري: قـال لي أبـو سليمان: كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال، فهو عليك شؤم.

وقـال وكيـع لسـفيان الثـوري: أتـأمر النـاس بالزهد وأنت تأكـل الطباهجـة؟ [اللحم المشـرح] فقال: إني لم أنههم عن الأكـل، كُـل وانظـر من أين تأكل، وادْخُـل وانظـر على من تـدخل، وتكلم وانظر كيف تتكلم؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ عنـد لسـان كـل قائـل، وإنـه ما تـزين النـاس بشـيء أفضـل من الصـدق وطلب الحلال.

وقال بلال بن سعد: كفى به ذنباً أن الله عَـزَّ وَجَـلَّ يُزهـدنا في الـدنيا، ونحن نرغب فيها.

وقال أبـو سـليمان الـداراني: قـد سـمعنا في الزهـد كلامـاً كثـيراً، والزهـد عنـدنا: ترك ما يشغلك عن الله عز وجل.

وقال رجل لسفيان بن عيينة: أشتهي أن أرى رجلاً عالمـاً زاهـداً، فقـال سـفيان: ويحـك، تلـك ضالة لا توجد.

وقال وهب بن منبه: إن للجنة ثمانية أبـواب؛ فـإذا صـار أهـل الجنـة إليهـا جعل البوابون يقولون: وعزة الله، لا يدخلها أحد قبـل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة.

وقال يحيى بن معاذ: إذا رأيت الزاهد يسـتريح إلى طلب الـرخص، فـاعلم أنه قد بدا له في الزهد.

وقيـل ليحـيى بن معـاذ: مـتى يكـون الرجـل زاهـداً؟ قـال: إذا بلـغ حرصـه في تـرك الـدنيا كحرص الحريص في طلبها.



وقال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: ألا ترى إلى هذا ابن الحائك، لا نفتي في مسألة إلا رد علينا، يعني أبا حنيفة، فقال ابن شبرمة: لا أدري أهو ابن الحائك أو مما هو؟ ولكن أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها، وهربت منا فطلبناها.

وقال عباد بن عليب: دخلت عبادان، فرأيتُ شاباً ما رأيت أحسن وجها منه السلام، ولا أملح حدقتين منه، وعليه قطعة خيش، فدنوت منه، فسلمت عليه، فرد علي السلام فقلت له: مثلك في حسنك وجمالك تلبس هذه الخيشة، فذرفت عيناه وقال: يا أخي، إنما أنا عبد، فإن أعتقتُ يوما لبست ما شئت، فسألت عنه؟ فقيل لي: هذا غلام من بني هاشم، ترك الدنيا وخرج منها.

ويروى عن يوسف بن أسباط أنه قال: إني لأشتهي من الله ثلاث خصال؛ أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون علي دين، ولا على عظمي لحم،
فأُعْطِي ذلك كله.

ويروى عن بعض الخلفاء: أنه أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها، وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف، فلم يقبلها، فقال له بنوه قد قبلها الفقهاء، وأنت ترد على حالتك هذه، فبكى الفضيل، وقال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هرمت، قالوا: اذبحوها قبل أن لا تنتفعوا بجلدها، وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سنّي، موتوا يا أهلي جوعاً؛ فإنه خير لكم من أن تذبحوا فضيلاً.

ويُروى عن عبيد بن عمير، أنه قال: كان عيسى يلبس الشعر، ويأكل من الشجر، وليس له ولد يموت، ولا بيت يخرب، ولا يدخر لغد، أينما يدركه المساء نام.

وقيل لعيسى: إنك لو اتخذت حماراً، قال: أنا أكرم على الله من أن يشغلني بحمار.

وروي عن عيسى: أنه كان ماشيا في يوم صائف، وقد مسه حر الشمس والعطش، فجلس في ظل خيمة ليستريح إليها، فخرج صاحب الخيمة، فقال: يا عبد الله، قم من ظلنا، فقام عيسى وقال: ليس أنت الذي أقمتني، إنما أقامني الذي لم يرد أن أصيب منها شيئا.

وقال عيسى لأصحابه يوماً: الحق ما أقول لكم يا معشر الحواريين إنه من طلب الفردوس؛ فخُبز الشعير له، والنوم في المزابل مع الكلاب كثير.

وقال عيسى: يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح، والبقل البري، وخبز الشعير، وإياكم وخبز البر؛ فإنكم لن تقوموا بشكره.

وروي أحمد عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِنَّ اللهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ) [صحيح]

وروى البخاري عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ) هي أجزاء من الدينار والدرهم.

وقال ابن عباس: اشترى علي بن أبي طالب قميصاً بثلاثة دراهم، وهو يومئذ خليفة، فقطع كميه من موضع الرسغين، وقال: الحمد لله الذي هذا من رياشه.

ويُروى: أن رجلاً دخل على أبي ذر، فجعل يقلب بصره في بيته، فقال له: يا أبا ذر، ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث، فقال:




إن لنا بيتاً توجه إليه صالح متاعنا، فقال له: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا، فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

وقال أبو الدرداء: لئن حلفتم لي على رجل منكم أنه أزهدكم، لأحلفن لكم أنه خيركم.

وقال مالك بن دينار: إنّما طلب العابدون بطول النصب دوام الراحة، وطلب الزاهدون بطول الزهد طول الغنى.

وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم: هذا الشتاء قد هجم علينا، ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب، فقال لها أبو حازم: ليس من هذا كله بد، ولكن لا بد لنا من الموت، ثم البعث، ثم الوقوف بين يدي الله، ثم الجنة أو النار.

وقيل للحسن: «لم لا تغسل قميصك، فقال: الأمر أسرع من ذلك.

وقال إبراهيم بن الحارث التيمي: كم بينكم وبين القوم، أقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها، وأدبرت عنكم فاتبعتموها.

وقال الفضيل بن عياض: لو كانت الدنيا كلها لي من أولها إلى آخرها ما فرحت لها، أو أُخذت مني ما حزنت عليها، وما على الأرض شيء أملك إلا بعيراً واحداً، ولقد خرج الغداة إلى جُدّةٍ، وما طالع يطلع علي أحب إلي من طالع يطلع علي فيقول: قد نفق.

وقال عبد الواحد بن زيد: من ضبط بطنه ضبط دينه، وكانت بلية أبيكم آدم أكلة، وهي بليتكم إلى يوم القيامة.

وقال بعض الحكماء: الزاهد نظره في الدنيا عبرة، وكلامه فيها حكمة، وسكوته فيها فكرة، يصبر على البلاء، ويشكر عند الرخاء، ويرضى بجميع القضاء.

وقال يحيى بن معاذ: الزاهد الصادق؛ قُوتُهُ ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث ما أدرك المساء، والدنيا سجنه، والقبر مضجعه، والخلوة مجلسه، والاعتبار فكرته، والقرآن حديثه، والرب أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والحزن شأنه والحياء شعاره، والجوع إدامه، والحكمة كلامه، والتراب فراشه، والتقوى زاده والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته والجنة مبلغه.

باب في الفقر وضيق المعيشة

روى مسلم عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا).

وآل محمد: زوجاته ومن في نفقته أو هم مؤمنو بني هاشم والمطلب أو أتقياء أمته والحمل على الأعم أتم.

(قوتا) أي بلغة تسدّ رمقهم وتمسك قوتهم بحيث لا ترهقهم الفاقة ولا تذلهم المسألة والحاجة ولا يكون فيهم فضول يصل إلى ترفه وتبسط ليسلموا من آفات الغنى والفقر، والكفاف ما لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة، والقوت ما يسد به الرمق: سمي قوتاً لحصول القوة به.

سلك المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طريق الاقتصاد المحمود، فإن كثرة المال تلهي، وقلته تنسي، فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى.

وفي دعاء المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- به إرشاد لأمته كل الإرشاد إلى أن الزيادة على الكفاف بكثير لا ينبغي أن يتعب العاقل في طلبه لكونه لا خير فيه، وحكم الكفاف يختلف




باختلاف الأشخاص والأحوال، فمنهم من يعتاد الرياضة حتى إنه يأكل يعتاد الأكل في كل يوم مرة أو مرتين فكفافه ذلك لأنه إن تركه ضره، ومنهم كثير العيال، فكفافه ما يسد رمق عياله ومنهم من يقل عياله فلا يحتاج إلى زيادة فقدر الكفاف غير مقدّر ومقداره غير معين لكن المحمود ما يحصل به القوة على الطاعة والاشتغال به على قدر الحاجة.

أما سؤال الغنى فالمراد غنى يدفع الفاقة فقط فلا يخالفه ما هنا، أو الغنى الغير مطغي.

وروى أحمد بسند صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ)

وروى ابن ماجة بسند صحيح قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: اشْتَكَى فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَغْنِيَاءَهُمْ فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ أَلَا أُبَشِّرُكُمْ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ) ثُمَّ تَلَا مُوسَى هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47]

وقال أبو الدرداء: ذو درهمين أشد حبساً، أو قال أشد حساباً من ذي الدرهم.

وقال عبد الرحمن بن زياد: الفقر أزين للمؤمن من العِذار الجيد على خد الفرس.

وقيل لمحمد بن واسع: لو أتيت السلطان؛ فإنا نخاف عليك أن تموت هُزْلاً، فقال: لا والله، لأن ألقى الله مؤمنا مَهْزُولاً، خيرٌ من أن ألقاه منافقاً سمينا.

وقيل لبعض الحكماء: بم نلت هذه الحكمة؟ فقال: بقلة الأكل، وقلة النوم، وقلة الكلام، وكلما رزقني الله شيئاً لم أحبسه.

وقيل لذي النون المصري: من أقربَ الناس إلى الكفر؟ فقال: ذو فاقة لا صبر له عليها.

وقال لقمان لابنه: يا بني، إن افتقرت يوماً، فاجعل فقرك فيما بينك وبين الله، ولا تُحدِّث الناس بفقرك فتهون عليهم، وإنما في ذلك أن تُحزن صديقك وتفرح عدوك.

وشكا رجل إلى الفضيل بن عياض الفقر، فقال: أمدبراً غير الله تريد!

وقال عطاء الخراساني: مر نبي من الأنبياء بساحل البحر؛ فإذا هو برجل يصطاد حيتانا، فقال: بسم الله، وألقى شبكته، فلم يخرج فيها حوتاً واحداً، ثم مر بآخر، فقال: باسم الشيطان، وألقى شبكته، فخرج فيها من الحيتان حتى جعل يتقاعس من كثرتها، فقال النبي: يا رب، ما هذا، وأنى هذا؟ وقد علمت أن كل ذلك بيدك، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ للملائكة: اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما، فلما رأى ما أعد الله لهذا من الكرامة وما أعد لهذا من الهوان، قال: رضيت يا رب.

وقال كعب الأحبار: قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- لموسى: يا موسى، إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: مرحباً بشعار الصالحين.

وقال المؤمل: ما رأيتُ الغَنِي أذل منه في مجلس الثوري، وما رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري.

ويُروى: أن عمر بن الخطاب أرسل إلى سعيد بن عامر بألف دينار، فجاء كثيباً حزيناً، فقالت له امرأته: أحدث أمر؟ فقال: أشد من ذلك، ثم قال:

أرني دِرْعَك الخلق، فشقه وجعله صرراً، ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة، ثم قام إلى الطريق، فجعل يعطي صرة صرة حتى أعطى آخرها، ثم قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بخمس مئة عام، حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم، فيؤخذ بيده ويستخرج).

ويروى: أن رجلاً جاء إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف، فأبى عليه أن يقبلها، وطلب إليه، فقال إبراهيم: أتريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف، لا أفعل ذلك.

وقيل: جاء فقير إلى مجلس الثوري، فقال له: تخط، فلو كنت غنياً ما قربتك.

وقال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى، لوصل إليهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين.

وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب؛ رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلف يلبسه، ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين، ورجل دعا بشرابه، فلا يقال له: أيهما تريد.

وقيل: وقع بالبصرة حريق، فأخذ مالك بن دينار مصحفه على عنقه، ثم خرج، وقال: هكذا يوم القيامة.

وقال ابن عباس: ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر.

وقال لقمان لابنه: يا بني، لا تحقرن أحداً لِخَلَقَان ثيابه؛ فإن ربك وربه واحد.

وقال يحيى بن معاذ: حبك للفقـراء من أخلاق المرسـلين، وإيثـارك مجالسـتهم من علامـة الصـالحين، وفـرارك من صـحبتهم من صـفات المنافقين.

وقيـل: الفقـراء ثلاثـة؛ فقـير لا يسـأل، وإن أعطي لم يأخـذ، فأولئـك على قلـوب الروحـانيين، وفقـير لا يسـأل، وإن أعطي أخـذ على قـدر حاجتـه، فأولئـك يـدخلون الجنـة بغـير حساب، وفقـير يسـأل مـا يقوتـه، فـإن اسـتغنى عـف، فأولئـك على وسـائد يـوم القيامـة تحت العرش.

وقال إبراهيم بن الحسـن: قـال لي رجـل من أصـحابنا: ضـاعت نفقـتي مـرة وأنـا في بعض الثغور، فأصابتني حاجة شديدة، فبينما أنـا أفكـر في حالي، فإذا برجل من المتعبـدين قـد أشـرف علي، ويقول هذه الأبيات:

تبارك الله وسبحانه مَن جَهِل الله فذاك الفقير
من ذا الذي تلزمه فاقة وذخره الله العلي الكبير

قال: فكأنما ملئت غنى، وذهب عـني مـا كنت أجد.

وكان أبو حازم له يقـول: كيـف أخـاف الفقـر ولمـولاي مـا في السـموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى.

باب في فضل الجوع

روى البخاري عَنْ نَافِعٍ قَـالَ كَـانَ ابْنُ عُمَـرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَكَلَ كَثِيرًا فَقَالَ يَا نَافِعُ لَا تُـدْخِلْ هَـذَا عَلَيَّ سَـمِعْتُ النَّبِيَّ -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- يَقُـولُ: (الْمُـؤْمِنُ يَأْكُـلُ فِي مِعًي [أي مصـران] وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ)




وهو تمثيل لكون المؤمن يأكل بقدر ما يمسك رمقه ويقوى به على الطاعة فكأنه يأكل في معاء واحد والكافر لشدة حرصه كأنه يأكل في أمعاء كثيرة فالسبعة للتكثير.

أو المؤمن يقل حرصه وشرهه على الطعام ويبارك له في مأكله ومشربه فيشبع من قليل والكافر شديد الحرص لا يطمح بصره إلا للمطاعم والمشارب كالأنعام فمثل ما بينهما من التفاوت كما بين من يأكل في وعاء ومن يأكل في سبعة وهذا باعتبار الأعم الأغلب ولعلك إن وجدت مسلماً أكولاً ولو فحصت وجدت من الكفار من تفضل نهمته أضعافاً مضاعفة.

وفيه حث على التقلل من الدنيا والزهد والقناعة بما تيسر وقد كان العقلاء في الجاهلية والإسلام يمتدحون بقلة الأكل ويذمون كثرته.

وروى البخاري عَنْ عَمْرٍو قَالَ كَانَ أَبُو نَهِيكٍ رَجُلًا أَكُولًا فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ) فَقَالَ فَأَنَا أُومِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قال ابن بطال: فإن قال قائل: ما معنى هذا الحديث وقد نجد مؤمنا كثير الأكل كأبي نهيك وغيره، ونجد أيضا كافرا قليل الأكل؟ فالجواب وبالله التوفيق أن النبي -عليه السلام- وإنما أراد بقوله: (المؤمن يأكل في معاء واحد) المؤمن التام الإيمان؛ لأنه من حسن إسلامه وكمل إيمانه تفكر في خلق الله له وفيما يصير إليه من الموت وما بعده، فيمنعه الخوف والإشفاق من تلك الأهوال من استيفاء شهواته، وقد روى هذا المعنى عن النبي عليه السلام من حديث أبى أمامة قال أبو أمامة: سمعت النبي -عليه السلام- يقول: (عليكم بقله الأكل تعرفون في الآخرة)، فمن كثر تفكره قل طعمه وكل لسانه



ومن قل تفكره كثر طعمه وعظم ذنبه وقسا قلبه، والقلب القاسي بعيد من الله.

وروى الترمذي عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»

وقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

// (شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام) [حسن ابن أبي الدنيا].. أي يتوسعون في الكلام بغير احتياط وتحرز،، قال حجة الإسلام: أكل أنواع الطعام ليس بحرام بل هو مباح لكن المداوم عليه يربي نفسه بالنعيم ويأنس بالدنيا ويأنس باللذات ويسعى في طلبها فيجره ذلك إلى المعاصي فهم من شرار الأمة لأن كثرة التنعم تقودهم إلى اقتحام المعاصي.

// (أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة) [حسن أبو نعيم في الحلية]

// (حلو الدنيا مُرهُ الآخرة، ومرهُ الدنيا حلوهُ الآخرة) [صحيح أحمد والحاكم والبيهقي].

// (هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه ظلُ باردٌ ورطب طيب وماء باردٌ) [صحيح الترمذي وابن حبان والحاكم].

// (إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين) [حسن رواه الإمام أحمد والبيهقي].

فعلم أن النجاة في التباعد من أسباب البطر والأشر ومن ثم فطم الأجلة الحازمون نفوسهم عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وهو نوع

عذاب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص عن أسر الشهوات ورقها.

أوحى اللّه إلى موسى اذكر أنك ساكن القبر يمنعك ذلك عن كثير من الشهوات.

وقيل ليوسف: أتجوع وفي يديك خزائن الأرض؟ فقال: إني أخاف أن أشبع وأنسى الجائع.

وقال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إياكم والبطنة؛ فإنها ثقل في الحياة، ونتن في الممات.

وقال شقيق: العبادة حرفة، وحانوتها الخلوة، وآلتها المجاعة.

وقال لقمان لابنه: يا بني، إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وقال الفضيل: أي شيء تخاف، أتخاف أن تجوع؟ لا تخف ذلك، أنت أهون على الله من ذلك؛ إنما كان يجوع محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه.

وقال مالك بن دينار، قلت لمحمد بن واسع: يا أبا عبد الله، طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس، فقال: يا أبا يحيى، طوبى لمن أصبح جائعاً، وأمسى جائعاً، وهو عن الله راضي.

وكان الفضيل يقول: إلهي، أجعتني وأجعت عيالي، وتركتني بلا مصباح في ظلم الليالي، وإنما تفعل هذا بأوليائك، فبأي منزلة نلت هذا منك.

وقال صالح المري، قلت لعطاء السلمي: إنّي متكلف لك شيئا، فلا ترد علي كرامتي، فقال: افعل ما تريده، قال صالح: فبعثت إليه مع ولدي بشربة من سويق وقد لتته بسمن وعسل، وقلت





له: لا تبرح حتى يشربها، فشربها، فلما كـان من الغد جعلت له نحوها، فردها ولم يشربها، فأتيتـه ولمتُــه، فقلت: يــا ســبحان اللــه، رددت علي كرامتي! فلما رأى وجدي لذلك، قال: لا يسـوؤك هذا، قـد شـربتها أول مـرة، وقـد راودت نفسـي في المـرة الثانيـة على شـربها، فلم أقـدر على ذلك، كلما أردت ذلك ذكرت قول اللـه عـز وجـل: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِـيغُهُ وَيَأْتِيـهِ الْمَـوْتُ مِن كُـلِّ مَكَـانٍ وَمَـا هُـوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَـذَابٌ غَلِيـظٌ﴾ [إبــراهيم: 17] وقــال صــالح: فبكيت وقلت في نفسي: أنا في واد وأنت في آخر.

وقال خالـد الـربعي: قـرأت في التـوراة: اتـق الله، وإذا شبعت فاذكر الجائع.

وقال أبـو سـليمان الـداراني: أحلى مـا تكـون العبـــــــادة إلي، إذا لصـــــــــق ظهـــــــــري ببطني.

وقــال أبــو ســليمان: لأن أتــرك من عشــائي لقمـــــــة، أحب إلي من قيـــــــام ليلـــــــة إلى الصبح.

وقـال أبـو سـليمان: إنّ الجـوع عنـد اللـه في خزائنه، لا يعطيه إلا لمن أحبه.

وروى الحــاكم بســند حســن عن أبي جحيفــة قال: أكلت لحمـا كثـيرا وثريـدا ثم جئت فقعـدت حيــال النــبي -صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَــلَّمَ- فجعلت أتجشأ فقال: (أقصر من جشائك فإن أكثر الناس شبعا في الدنيا أكثرهم جوعا في الآخرة).

باب في القناعة وغنى النفس

روى الترمــذي بســند صــحيح عَنْ فَضَــالَةَ بْنِ عُبَيْـدٍ، أَنَّهُ سَـمِعَ رَسُـولَ اللَّهِ -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ- يَقُـولُ: (طُـوبَى لِمَنْ هُـدِيَ إِلَى الإِسْـلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ) وفي روايــة: (أفلح من هدي إلى الإسلام).

(كفافاً): أي قدر الكفاية بغير زيادة ولا نقص، يقال: ليتني أنجو منك كفافاً أي رأساً برأس لا أرزأ منك ولا تزرأ مني وحقيقته أكف عنك وتكف عني.

أو كافاً للحاجة يعني بقدر حاجته لا ينقص ولا يزيد بل يكفيه على وجه التقنع والتقشف لا التبسط والتوسع.. ألا يزيد عليها فيطغيه ولا ينقص عنها فيؤذيه فإن الغنى مبطرة مأشرة والفقر مذلة مأسرة.

(وقنع به) أي رضي باليسير من ذلك.

(والفلاح) الظفر وإدراك البغية مما يطلب به الحياة الدنيوية أو مما يفوز به في الآخرة.

قال الغزالي رحمه اللّه تعالى: مر موسى عليه الصلاة والسلام برجل نائم على التراب متوسداً لبنة وهو متزر بعباءة فقال: يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع قال أما علمت أني إذا نظرت إلى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا.

وقالوا: قل من تكثر عليه الدنيا وإلا وتكثر غفلته عن اللّه لأن العبد كلما كان أكثر حاجة إلى اللّه كان الحق على باله بخلاف ما لو أعطاه قوت سنة مثلاً فإن غفلته تكثر.

وقال عمر بن الخطاب: إن الطمع فقر، واليأس غنى، وإنه من يئس مما عند الناس استغنى عنهم.

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك.

وقيل: كان إبراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان، فبينما هو يُشرف من قصر له ذات يوم؛ إذ نظر إلى رجل في فناء القصر، وبيده رغيف يأكله، فجعل ينظر إليه حتى أكل الرغيف، ثم نام في فناء القصر؛ فقال لبعض غلمانه: إذا قام ذلك الرجل فجئني به، فلما قام جاء به إليه، فقال له إبراهيم: أيها الرجل، أكلت الرغيف

وأنت جـائع؟ قـال: نعم، قـال: فشـبعت؟، قـال: نعم، قــال: ثم نمت طيبــا؟ قــال: نعم، فقــال إبراهيم في نفسه: فما أصنع أنا بالـدنيا والنفس تقنع بما رأيتُ، فخرج سائحا.

ومر رجل بعامر بن عبد قيس، وهو يأكل ملحاً وبَقْلاً، فقال له: يا أبا عبد الله، أرضيت من الدنيا بهـذا؟ فقـال: ألا أدلـك على من رضـي بشـر من هذا؟ قال: بلى، قال: من رضي بالدنيا عوضاً من الآخرة.

وكان محمد بن واسع يُخرج خُبزاً يابسا، فيبلـه بالمــــــــاء ويأكلــــــــه بــــــــــالملح، ويقول: من رضـي من الـدنيا بهـذا، لم يحتج إلى الناس.

وقال: ما من أحد غـني ولا فقـير، إلَّا وَد يـوم القيامة أنه كان أوتي قوتا من الدنيا.

وقال سفيان الثوري: خير دنياكم ما لم تُبتلوا بهــــا، وخــــير مــــا ابتليتم بهــــا ما أخرج من أيديكم .

وقـال الحسـن: لعن اللـه أقوامـاً أقسـم لهم فلم يصدقوه، ثم قرأ: ﴿وفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَـا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]

وكـان أبـو ذر يومـاً جالسـاً في النـاس، فأتتـه امـرأة، فقـالت: تجلس بين هـؤلاء واللـه مـا في الـبيت هِفَّةٌ ولا سُـفَّةٌ، فقـال: يـا هـذه، إن بين أيدينا عقبـة كئـوداً، لا ينجـو منهـا إلا كـل مُخِـفٌ، فرجعت وهي راضية.

وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا ومَلَكُ ينـادي من تحت العرش: يـا ابن آدم، قليـل يكفيـك خـير من كثير يطغيك.

وقال شميط بن عجلان: إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر، فَلِمَ يُدخلك النار.

وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر، والقصد في الباطن، واليأس مما في أيدي الناس.

ويروى: أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال في بعض الكتب المنزلة: يا ابن آدم، لو كانت الدنيا كلها لك، لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت، وجعلتُ حسابها على غيرك، فأنا إليك محسن.

وكان أبو الدرداء يقول: ما من أحد إلا وفي عقله نقص، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة ظل فرحاً مسروراً، والليل والنهار دائبين في هدم عمره، ثم لا يُحزنه ذلك، ويح ابن آدم، ما ينفع مال يزيد وعُمر ينقص.

باب في التعفف عما في أيدي الناس

قال أبو بكر ابن عفان: حج هارون الرشيد فسأل عن الفضيل بن عياض بمكة، وأحب لقاءه، فقيل له: إن علم بك هرب، قال: فأنا أجيئه، فأتاه في الليل مع جعفر بن يحيى بن برمك، فقرع جعفر الباب، فقام الفضيل، فقال: من هذا؟ قال: أنا، فرجع الفضيل، وهو يقول: قال أنا، ثم قرع جعفر ثانية، فقال: من هذا؟ فقال: أنا، فقال الفضيل: قال أنا، ولم يفتح بابه، فقال الرشيد لجعفر: أخبره بمكاننا، فقرع جعفر الباب، فقال الفضيل: من هذا؟ فقال جعفر: من تجب عليك طاعته ولا يسعك عصيانه، فعلم الفضيل أنه الرشيد، ففتح الباب، ثم انصرف إلى بيته، ودخل الرشيد وجعفر، فلما نظر الفضيل إلى وجه الرشيد، قال: أنت هو يا حسن الوجه، وأنشد يقول:

يا حِسان الوجوه سوف تموتون وتبلى وجوهكم في التراب

قال هارون الرشيد: والله لقد ضربني بسنان أجد ألمه في كل وقت؛ ثم قال له الفضيل: يا أمير المؤمنين، إنك قد استرعيت رعية، وستسأل عنهم، فاعمل فيهم عمل المسؤول غداً إذا قام بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، فمد إليه الرشيد يده، فلما جس الفضيل يد هارون، قال: أوه من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله، قال: فبكى هارون الرشيد حيناً، ثم انصرف عنه، فلما أن كان من الغد، بعث إليه هارون الرشيد بمائة ألف دينار مع جعفر، فلما قرع عليه جعفر الباب، أخبره أنه جعفر، وسأله أن يدخل إليه أو يخرج هو، فقال الفضيل: لا يمكنني أن أخرج إليك ولا أن تدخل إلي، فقال جعفر: أمير المؤمنين وجه إليك معي بمائة ألف دينار فاقبضها، فقال الفضيل: اردها من حيث أخذتها، قال جعفر: فكررت عليه الكلام، وقلت: تصرفها في حوائجك ونفقة عيالك، فقال: نحن عنها في غنى، فقال جعفر: خُذها وفرقها في الفقراء والمساكين قال: أنتم أولى بذلك؛ لأنكم تسألون عنها، فرجع جعفر، فقال: يا أمير المؤمنين، وجهتني إلى رجل قد رفض الدنيا ولم يقبل شيئاً مما وجهت به إليه.

ثم إن زوجة الفضيل أتته، فقالت له: أتاك مال من غير مسألة، ولم تأخذ منه قوتاً، وهؤلاء صبياننا جياع، فالتفت إليها، وقال: ما كنت آخذ شيئاً يسألني الله عنه يوم القيامة، ثم قال الفضيل لابنه علي: خذ هذا البساط، فاقطع نصفه وبعه، واشتر بثمنه خبزاً وقوتا، والباقي فولاً يكون قوتنا الليلة، وإلى غد يكفي الله، قالت امرأته: فلما سمعته يقول: إلى غد يكفي الله، طمعت أن يدعو الله لنا، ورجوت الإجابة، قالت: فقام إلى محرابه، فلم يزل يصلي إلى



السحر، فلما كان آخر الليل سمعته، وهو يقول: سيدي بلغني أنك تبتلي أولياءك بالفقر، اللهم فإن كنت منهم فزدني.

ويروى: أن عثمان بن عفان أرسل إلى أبي ذر بصرة فيها نفقة على يد عبد له، وقال: إن قبلها فأنت حر، فأتاه بها، فلم يقبلها، فقال: اقبلها يرحمك الله؛ فإنّ فيها عتقي، فقال له: إن كان فيها عتقك ففيها رقي، وأبى أن يقبلها.

وقال سفيان الثوري: ما وضع رجل يده في قصعة رجل، إلا ذل له.

باب في ذم الدنيا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلَّا غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًا [أي نسيتموه ثم يأتيكم فجأة]، أَوْ مَرَضًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ فَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ [بل هو أعظم الشرور المنتظرة]، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) [مسند أبي يعلى وإسناد رجاله ثقات]

قال العلائي: مقصود هذه الأخبار الحث على البداءة بالأعمال قبل حلول الآجال واغتنام الأوقات قبل هجوم الآفات، وقد كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من المحافظة على ذلك بالمحل الأسمى والحظ الأوفى، وقام في رضا اللّه حتى تورمت قدماه.

يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت.

// وقيل: الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يُعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها





يسعى من لا يقين له.

// وقيل: من أصبح والدنيا أكبر همه، فليس من الله في شيء، وألزم الله قلبه أربع خصال؛ همّا لا ينقطع عنه أبداً، وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً، وفقراً لا يبلغ غناه أبداً، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً.

وقال داود بن هلال: مكتوب في صحف إبراهيم: يا دنيا، ما أهونك على الأبرار الذين رفضوك، تصنعت وتزينت لهم، إنّي قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك، وما خلقت خلقاً أهون علي منك، كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير، قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد، ولا يدوم أحد لك، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك، طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا، ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة، طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم، النور يسعى أمامهم، والملائكة حافين بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي.

وقال: لما خلق الله الدنيا أعرض عنها، ولم ينظر إليها من هوانها عليه.

وقال: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء.

ويروى: أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال لآدم حين أهبطه إلى الأرض: ابن للخراب وَلِدْ للفناء.

وروى مسلم عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ).

(سجن المؤمن) بالنسبة لما أعدّ له في الآخرة من النعيم المقيم (وجنة الكافر) بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم وعما قريب يحصل في السجن المستدام نسأل اللّه السلام يوم القيامة.

وقيل المؤمن صرف نفسه عن لذاتها فكأنه في السجن لمنع الملاذ عنه والكافر سرحها في الشهوات فهي له كالجنة.

قال السهروردي: والسجن والخروج منه يتعاقبان على قلب المؤمن على توالي الساعات ومرور الأوقات لأن النفس كلما ظهرت صفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق وانكمد وهل السجن إلا تضييق وحجر من الخروج؟ فكلما هم القلب بالتبري عن مشائم الأهواء الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة تشهياً إلى الآجلة وتنزهاً في فضاء الملكوت ومشاهدة للجمال الأزلي حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب فتدلى بحبل النفس الأمارة إليه فكدر صفو العيش عليه وحال بينه وبين محبوب طبعه، وهذا من أعظم السجون وأضيقها، فإن من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه.

ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة مر يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة فقبض على لجام بغلته وقال: يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فأي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها فقال: أنا بالنسبة لما أعد اللّه لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن وأنت بالنسبة لما أعدّ لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة فأسلم اليهودي.

وقال عبد الله بن عمرو: إنما مثل المؤمن تخرج نفسه منها، كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه، فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها.

وقال أبو الدرداء: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ وما آوى إليه.

وقال الفضيل بن عياض: يُؤتى بالدنيا يوم القيامة، فيؤخذ منها ما كان الله خالصاً، ويُلقى ما بقي في النار.

وقال لقمان لابنه: يا بني، إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها إيمان بالله، وشراعها التوكل على الله، ولعلك ناج ولا أراك ناجيا.

وقال الفضيل بن عياض: جُعِل الشَّرِّ كله في بيت واحد، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت واحد، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

وقال الفضيل بن عياض: طالت فكرتي في هذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً} [الكهف: 7-8] أي: يابسا لا ينبت

وقال بعض الحكماء: إنك لم تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا إلا غداء يوم وعشاء ليلة، فلا تهلك في أكلة، وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوى، وربحها النار، فما خدمها أحد إلا دخل، وما انقطع إليها إلا فصل، وما أشد على العبد الآبق أن يلقاه مولاه.

وقيل لبعض الرهبان: كيف ترى الدهر؟ فقال: يُخلق الأبدان، ويُجدّد الآمال، ويقرب المنية، ويباعد الأمنية، قيل له: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تعب، ومن فاته نصب.

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها؛ فإن الدنيا عيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على

وجل؛ إما بنعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو منية قاضية، فلقد كدرت معيشة الدنيا على من عقل.

وقال بعض الحكماء: أما الدنيا فدار بلاء، ثم دار فناء، وأما الآخرة فدار جزاء، ثم دار بقاء.

وقال بعض الحكماء: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق؛ إما تزيده، وإما تنقصه.

وقال بعض الحكماء: أما الدنيا أمد، وأما الآخرة أبد.

وقال سفيان: أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها، أما تراها في غير أهلها.

وقال مالك بن دينار: حبك للدنيا يُخْرِج حلاوة الإيمان من قلبك.

وقال بعض الحكماء: بؤس لمُحب الدنيا؛ يُحب ما يبغضه الله.

وقال وهب بن منبه: مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرتان، إن أرضى الواحدة أسخط الأخرى.

وقال بعض الحكماء: مَنْ مَلَكها تعب، ومن طلبها صار عبداً لها، أدناها يكفي، وكلها لا يُغني.

وقال أبو سليمان الداراني: من طلب الدنيا على المحبة لها، لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر، ومن طلب الآخرة على المحبة لها، لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر، وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية.

وقال عيسى: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم النار والماء في إناء واحد.

وقال عيسى: يا معشر الحواريين، كتبت لكم الدنيا فلا تغشوها، لا خير في دار عصي الله فيها، ولا خير في دار لا تُدْرَك الآخرة إلا بتركها، فاعبروها ولا تعمروها، واعلموا أن أصل كل





خطيئــة حُبّ الــدنيا، ورُبَّ شــهوة ســاعة أورثت أهلها حزناً طويلاً.

وقال رجل لأبي حازم: أشكو إليك حب الـدنيا، وليست لي بدار قرار، فقال: انظر ماذا أتاك الله منهــا، فلا تأخــذه إلا من حلّــه، ولا تضـعه إلا في حقه، ولا يضرك حب الدنيا.

وقال وهب بن منبه: مر رجل من العبــاد على رجل فوجده مهموما منكس الرأس، فقال له: ما شأنك؟ أراك مهموما، فقال: أعجبـني أمـر فلان؛ كان قد بلـغ من العبـادة مـا علمت، ثم رجـع إلى أهـل الـدنيا، فقـال: لا تعجب ممن يرجــع، ولكن أعجب

ممن يستقيم.

وقال الفضيل بن عياض: لـو كـانت الـدنيا من ذهب يفـــــنى والآخـــــرة من خـــــزف يبقى، لكان ينبغي لنا أن نختار خزفــاً يبقى على ذهب يفـــنى، فكيـــف وقـــد اخترنـــا خـــزف يفني على ذهب يبقى.

ويُروى: أن جبريل قال لنوح: يا أطول الأنبياء عُمْراً، كيف وجدت الدنيا؟ قال: كـدار لهـا بابـان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وقال يحيى بن معاذ: الدنيا عروس، والــراغب فيهـــــا ماشـــــطتها، والزاهـــــد ينتف شـعرها، ويمـزق ثوبهـا، ويخلـع حليهـا، ويسـود وجهها.

وقال يحيى بن معـاذ: الـدنيا خَمـرُ الشـيطان، من سـكر منهـا لم يفـق إلا في عسـاكر المـوتى نادماً بين الخاسرين.

وقال حاتم الأصم: مثل الدنيا كمثل ظلـك، إن تركته تتابع، وإن طلبته تباعد.

ويــروى عن رســول اللــه -صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْــهِ وَسَلَّمَ-: أنه وقف على سَخْلَة ميتة، فقال: أترون هــذه هــانت على أهلهــا؟ فقــالوا: من هوانهــا

ألقوها يا رسول الله، قال لهم: الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها.

فروى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ.

وقال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً، ولا عن النار مهربا؛ أولها: من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

وقال أبو حازم: إياكم والدنيا؛ فإنه بلغني أنه يُوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا، فيقال: هذا عَظم ما حَقَّر الله.

وقال الحسن: يا ابن آدم، لا تخالف الله في هواه؛ فإنه لا يحب الدنيا.

وكان بعض الصالحين يقول: يا حابس السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، احبس الدنيا عني.

وقال ابن مسعود: ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل، والعارية مردودة.

وقال وهب بن منبه: نحن بنوا آدم، كُنّا نسلاً من نسل الجنة، فسبانا إبليس إلى الدنيا بخطيئة أبينا آدم، فليس لنا إلا البكاء حتى نعود إلى الدار التي سبانا منها.

وزار رابعة العدوية بعض أصحابها، فأقبلوا على ذم الدنيا، فقالت: اسكتوا عن ذكرها، فلولا

موقعها في قلوبكم مـا أكـثر تم ذكرهـا، ألا ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره.

وقال الحسن: رحم اللـه أقوامـاً كـانت الـدنيا عندهم وديعة، فأدوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خِفاف.

وقال لقمان لابنه: يا بني، بـع دنيـاك بـأخراك تربحهما جميعا، ولا تبع أخراك بدنياك فتخسرهما جميعا.

وقال مالـك بن دينـار: إن البـدن إذا سـقم لم ينجـع فيـه طعـام ولا شـراب، وكـذلك القلب إذا علق بحب الدنيا لم تنجع فيه المواعظ.

ومر صالح المري على رجل يـربي فسـيلاً لـه، فأنشأ:

يؤمل دنيا لتبقى له فمات المؤمل قبل الأمل
يربي فسيلاً ليبقى له فعاش الفسيل ومات الرجل

وقال الحسن: من نافسك في دينك فنافسـه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: لا تنظر إلى خفض عيش الملـــــــــــــوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سـرعة ظعنهم، وسـوء منقبلهم.

وكـــان داود يقـــول: إلهي، لأن أذوق مـــرارة الـــــــــدنيا بحلاوة الآخــــــــــرة، أحب إلي من أن أذوق حلاوة الدنيا بمرارة الآخرة.

وقـال ابن عبـاس: إن اللـه جعـل الـدنيا ثلاثـة أجزاء؛ جزءاً للمؤمنين، وجزءاً للمنافقين، وجـزءاً للكـافرين، فـالمؤمن يـتزود، والمنـافق يـتزين، والكافر يتمتع.

ومر عيسـى على رجـل نـائم، فقـال: يـا عبـد الله، ألا تقوم فتعبـد خـير. قـال: قـد عبـدت ربي بأحسن العبادة إليه، قـال: مـا هي؟ قـال: تـركت الدنيا لأهلها، قال له: نم، فقد فقت العابدين.




وقال بعض الحكماء: الدنيا جيفة؛ فمن أراد أن ينال منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب.

وقال بعض الحكماء: يا أيها الناس اعملوا على مهل، وكونوا من الله عَزَّ وَجَلَّ على وَجَلٍ، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل، ولا تركنوا إلى الدنيا؛ فإنها غرارة خداعة، قد تزخرفت لكم بغرورها، وفتنتكم بأمانيها، وتزينت لخطابها، فأصبحت كالعروس المتجلية، العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها عاكفة، والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلت، ومطمئن لها خذلت، فانظروا منها بعين الحقيقة؛ فإنها دار كثرت بوائقها، وذَمَّها خالقها، جَديدُها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يُذلّ، وكثيرها يقل، وحيها يموت، وخيرها يفوت، فاستيقظوا من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم، قبل أن يقال: فلان عليل، ومدنف ثقيل [فلان دنف: أيقله المرض]، فهل إلى الدواء من دليل، أو هل إلى الطبيب من سبيل، ثم يُدعى لك الأطباء ولا يُرجى لك الشفاء، ثم يقال: فلان أوصى وماله أحصى، ثم يقال: قد ثَقُل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه، وعرق عند ذلك جبينك، وتتابع أنينك، وثبت يقينك، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك، وتلجلج لسانك، وبكى إخوانك، وقيل لك: هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان، ثم مُنعت الكلام فلا تنطق، وختم على لسانك فلا ينطلق، ثم حل بك القضاء، وانتزعت نفسك من الأعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك، وأحضرت أكفانك، فغسلوك، وكفنوك، وحملوك، ثم صلوا عليك، ودفنوك، فانقطع عند ذلك عوّادك، واستراح حسادك، وانصرف أهلك إلى مالك، وبقيت رهينا بأعمالك.

باب في مجانبة الأغنياء والسلاطين

يُروى عن عمر بن الخطاب له أنه قال: يا معشر المهاجرين، لا تدخلوا على أهل الدنيا؛ فإنها مسخطة للرزق.

وقال الفضيل: كم من عالم يدخل على الملك ومعه دينه، ويخرج عنه وليس معه من دينه شيء، فلا جعل الله مصائبنا في ديننا.

وقال الفضيل: ما ازداد رجلٌ من ذي سلطان قربا، إلا ازداد من الله بعداً.

وقال ابن المبارك: التعزز على الأغنياء تواضع.

وقال حذيفة: اتقوا أبواب الأمراء؛ فإنها مواقف الفتن.

وقال أبو حازم: إن بيني وبين الملوك نهاراً واحداً [وفي رواية: يوما واحدا]، أما أمس فلا يجدون لذته، وإنا وإياهم من غد على وجل، وإنما هو اليوم، فما عسى أن يكون في اليوم؟

وقال أبو الدرداء: أهل الأموال يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس، ويركبون ونركب، ولهم فضول أموال ينظرون إليها، وننظر إليها معهم، عليهم حسابها، ونحن منها براء.

وقال عبد الله بن إدريس: عجباً لمن ينقطع إلى رجل من أهل الدنيا، ويدع أن ينقطع إلى مَنْ لَهُ السموات والأرض.

وقال أبو الدرداء: ما أنصفنا إخواننا الأغنياء، يُحبوننا في الله ويفارقوننا في الدنيا؛ إذا لقيته قال: أنا أحبك يا أبا الدرداء، وإذا احتجت إليه في شيء امتنع مني.

وكان أبو الدرداء يقول: الحمد لله الذي جعل مفر الأغنياء إلينا عند الموت، ولا نُحب أن نفر إليهم عند الموت.



وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت، ويقول لأصحابه: إن في هذا لغني عن هؤلاء؛ يعني السلاطين.

وقام أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك، فقال: يا أيها الأمير، أنت على الناس سنون ثلاث؛ فأما الأولى فأكلت اللحم، وأما الثانية فأكلت الشحم، وأما الثالثة فهاضت [وفي رواية: فأكلت] العظم، وعندك فضول أموال، فإن كانت لله فاقسمها بين عباد الله، وإن كانت لهم فلم تحظرها عليهم، وإن كانت لك فتصدق بها؛ فإن الله يجزي المتصدقين، فأمر هشام بمال فقسم بين الناس.

وقال عمرو بن عبيد للمنصور: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها.

وقيل للأحنف بن قيس: ما لك لا تغشى أبواب السلاطين؟ فقال: لأن أدعى من بعيد، أحب إلي من أن أدفع من قريب.

وقال ميمون بن مهران: صحبة السلطان خطر؛ إن أطعته خاطرت بدينك، وإن عصيته خاطرت بنفسك، والسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك.

ولما خالط الزهري السلطان، كتب إليه أخ له من إخوانه: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو الله لك ويرحمك، فقد أصبحت شيخاً كبيراً، وقد أثقلتك نعم الله؛ بما فهمك من كتابه وعلمك من سُنَّة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء، قال الله عز وجل: ﴿لَتُبَيِّنُنَّه لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: 187]، واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت؛ أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغناء بدنوك ممن

لم يؤد حقا، ولم يترك باطلاً حين أدناك، اتخذوك قطبا تدور به رحى باطلهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلّما إلى ضلالتهم، يُدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك، فما يوشك أن تكون ممن قال جل ذكره: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: 59]، فإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك، فقد دخله سقم، وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: 38].

وأنشدوا:

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

باب في الهدية والبر

روى أحمد عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَامِرٍ بَعَثَ إِلَى عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِنَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ، فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ: إِنِّي يَا بُنَيَّ، لَا أَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ: رُدُّوهُ عَلَيَّ، فَرَدُّوهُ، فَقَالَتْ: إِنِّي ذَكَرْتُ شَيْئًا قَالَهُ لِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (يَا عَائِشَةُ، مَنْ أَعْطَاكِ عَطَاءً بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ، فَاقْبَلِيهِ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ عَرَضَهُ اللهُ لَكِ) [صحيح لغيره]

وكان يقال: «ما ارتُضِيَ الغضبان، ولا استُعطف السلطان، ولا استُميل المهجور، ولا توقي المحذور، بمثل الهدية والبر».

وأنشدوا:

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصـالا
وتزرع في القلوب هوى وودا وتكسوهم إذا حضروا جمالا

وروى البخاري عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا.

وبوب البخاري: «بَاب مَنْ لَمْ يَقْبَلْ الْهَدِيَّةَ لِعِلَّةٍ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَتْ الْهَدِيَّةُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيَّةً وَالْيَوْمَ رِشْوَةٌ»

وذكر حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ سَمِعَ الصَّعْبَ بْنَ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيَّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُخْبِرُ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِمَارَ وَحْشٍ وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَرَدَّهُ. قَالَ صَعْبٌ فَلَمَّا عَرَفَ فِي وَجْهِي رَدَّهُ هَدِيَّتِي قَالَ: (لَيْسَ بِنَا رَدٌّ عَلَيْكَ وَلَكِنَّا حُرُمٌ).

وروى عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلًا مِنْ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأُتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي قَالَ: (فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا).

ثم ذكر: بَاب إِذَا وَهَبَ هِبَةً أَوْ وَعَدَ عِدَةً ثُمَّ مَاتَ [أي الذي وهب أو الذي وعد أو الذي وهب له أو الذي وعد له] قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ [إلى الموهوب له أو الموعود لم ينفسخ عقد الهبة لأنه يؤول إلى اللزوم كالبيع] وَقَالَ عَبِيدَةُ إِنْ مَاتَ [أي

المهدي وفي نسخة: إن ماتا أي المهدي والمُهدى] وَكَانَتْ فُصِلَتْ الْهَدِيَّةُ [المراد القبض] وَالْمُهْدَى لَهُ حَيٌّ [حال القبض ثم مات] فَهِيَ لِوَرَثَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فُصِلَتْ فَهِيَ لِوَرَثَةِ الَّذِي أَهْدَى وَقَالَ الْحَسَنُ أَيُّهُمَا مَاتَ قَبْلُ فَهِيَ لِوَرَثَةِ الْمُهْدَى لَهُ إِذَا قَبَضَهَا الرَّسُولُ [فإن لم يقبضها فهي للمهدي أو لورثته].

وذكر حديث جَابِرًا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَوْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا ثَلَاثًا فَلَمْ يَقْدَمْ حَتَّى تُوُفِّيَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ مُنَادِيًا فَنَادَى مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَدَنِي فَحَثَى لِي ثَلَاثًا.

قال ابن حجر في الفتح: وذهب الجمهور إلى أن الهدية لا تنتقل إلى المهدي إليه إلا بأن يقبضها أو وكيله.

وقال أحمد وإسحاق أن كان حاملها رسول المهدي رجعت إليه وأن كان حاملها رسول المهدي إليه فهي لورثته وفي معنى قول عبيدة وتفصيله حديث رواه أحمد والطبراني عن أم كلثوم بنت أبي سلمة وهي بنت أم سلمة قالت لما تزوج النبي صلى الله عليه و سلم أم سلمة قال لها إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي من مسك ولا أرى النجاشي الا قد مات ولا أرى هديتي الا مردودة علي فإن ردت علي فهي لك قال وكان كما قال الحديث وإسناده حسن.

باب في الحث على طلب الرزق

روى أحمد بسند صحيح عَنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لأنْ يَأْخُذَ

أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ فَيَأْتِيَ الْجَبَلَ، فَيَجِيءَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَسْتَغْنِيَ بِثَمَنِهَا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ).

قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

وقيل لأحمد بن حنبل: ما تقول في رجل جلس في بيته أو في مسجده، فقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جَهِل العلم؛ أما سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: (جعل الله رزقي تحت ظل رمحي)؛ يعني الغنائم، وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حين ذكر الطير، فقال: (تغدوا خماصا وتروح بطانا)؛ فذكر أنها تغدو في طلب الرزق، قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198]، وقال الله عز وجل: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: 20]، وكان أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يتجرون في البر والبحر، ويعملون في نخيلهم، والقدوة بهم.

وقيل: عليكم بالتجارة؛ فإن فيها تسعة أعشار الرزق.

وقيل: إن الله يحب أن يكون العبد محترفا.

ويُروى: أن عيسى لقي رجلاً، فقال له: ما تصنع؟ قال: أتعبد، قال: ومن يَعُولُك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك.

وقال حذيفة: خياركم من لم يدع دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه.

وقال ابن مسعود: إنّي لأكره أن أرى الرجل فارغا، لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته.






وقـــال أبـــو قلابـــة لرجـــل: لأن أراك تطلب معاشـــــك، أحب إلي من أن أراك في زوايـــــا المسجد.

ويُـروى: أن الأوزاعي لقي إبـراهيم بن أدهم، وعلى عنقه حزمة حطب، فقال: يـا أبـا إسـحاق، إلى متى هذا؟ إخوانك يكفونك، قـال: دعـني عن هذا يا أبا عمرو؛ فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة.

وقال أبو سليمان الداراني: من بـات تعبـاً من كسـب الحلال، بـات واللـه راض عنـه، ومن طلب الـدنيا اسـتعفافاً عن المسـألة، واسـتغناء عن الناس، وتعطفاً على جـاره، لقي اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر.

وقـال أبـو سـليمان الـداراني: ليس العبـادة عنـــــدنا أن تصـــــف قـــــدميك وغـــــيرك يقـوت لـك، ولكن ابـدأ برغيفيـك فاحرزهمـا، ثم تعبد.

وقال سفيان لسليمان بن ناجيـة: يـا أبـا داود عليـــــك بالحرفـــــة؛ فـــــإن عامـــــة من أتى أبواب هؤلاء، فإنما أتاهم من الحاجة.

باب في فضل المال

يُـروى عن لقمـان الحكيم أنـه قـال لابنـه: يـا بني، استعن بالكسب الحلال على الفقر؛ فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته ثلاث خصال؛ رقة في دينـه، وضعف في عقلـه، وذهـاب في مروءتـه، وأعظم من هذه الثلاثة استخفاف الناس به.

وقـال بعض الحكمـاء: حفظـك لمـا في يـديك، أولى بك من طلب ما في يدي غيرك.

وقال بعض الحكماء: خصلتان لا تزال بخير مـا حفظتهما؛ درهمك لمعاشك ودينك لمعادك.

وقـال قيس بن عاصـم لبنيـه: يـا بـني، عليكم بالمال واصطناعه؛ فإنه منبهة للكريم، ويستغنى



به عن اللثيم، وإياكم ومسـألة النـاس؛ فإنهـا من أخزى كسب الرجال.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، عليك بطلب المـال؛ فإنـه يرفـع الكـريم ويغـني عن اللـئيم، ويُكسـب الحمـد، ويُـورث المجـد، ويقي من دنس العرض.

وأنشدوا:

أرى ذا الغنى في الناس يسعون حوله وإن قال قولاً تابعوه وصدقوا
فذلك دأب المرء ما دام ذا غنى فإن زال عنه المال يوما تفرقوا

تغطي عيوب المرء كثرة ماله يصدقه الأقوام وهو كذوب
ويزري بعقل المرء قلة ماله يحمقه الأقوام وهو مصيب

إن الغني إذا تكلم بالخطأ ... قالوا أصبت وصدقوا ما قالا
وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم ... أخطأت يا هذا وقلت ضلالا
إن الدراهم في الأماكن كلها ... تكسوا الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... هي السلاح لمن أراد قتالا

باب في ذكر الأسواق والتجار

قال عكرمة: الأسـواق موائـد اللـه في أرضـه، فمن أتاها أصاب منها.

وقال أبو قلابـة لرجـل: عليـك بلـزوم السـوق والصنعة؛ فإنك لا تزال كريما على إخوانك مـا لم تحتج إليهم.

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا).

وفي رواية: (خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ، وَأَنَّ شَرَّ الْبِقَاعِ الأَسْوَاقُ) [صحيح الجامع: حسن]

والمساجد خير لأنها محل فيوض الرحمة وإدرار النعمة، وقرن المساجد بالأسواق مع أن غيرها قد يكون شراً منها [كالخمارات مثلا] ليبين أن الديني يدفعه الأمر الدنيوي فكأنه قيل خير البقاع مخلصة لذكر اللّه مسلمة من الشوائب الدنيوية.

وهذا الحديث فيه قصة عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «لاَ أَدْرِي». فَقَالَ: أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ قَالَ: «لاَ أَدْرِي». قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «يَا جِبْرِيلُ أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟». قَالَ: لاَ أَدْرِي قَالَ: «أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟». قَالَ: لاَ أَدْرِى قَالَ: «سَلْ رَبَّكَ». قَالَ: فَانْتَقَضَ جِبْرِيلُ انْتِقَاضَةً كَادَ يُصْعَقُ مِنْهَا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: مَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَىْءٍ.

فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: سَأَلَكَ مُحَمَّدٌ أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ فَقُلْتَ لاَ أَدْرِي، وَسَأَلَكَ أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ فَقُلْتْ: لاَ أَدْرِي. فَأَخْبِرْهُ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ، وَأَنَّ شَرَّ الْبِقَاعِ الأَسْوَاقُ.

وهو ضعيف لكن للحديث شواهد يتقوى بها كما أفاده الحافظ ابن حجر في تخريج المختصر.

وروى أحمد: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ) قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ؟ قَالَ:

(بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ، وَيَحْلِفُونَ، وَيَأْثَمُونَ) [صحيح]

وروى مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ) أي اختلاطها والمنازعة والخصومات واللغط فيها وارتفاع الأصوات.

ويُروى: أن عمر بن الخطاب و دخل السوق فقيل له: كيف رأيت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت أكثر أهلها العبيد والموالي، وما رأيتُ فيه من العرب إلا قليلاً، وكأنه ساءه ذلك، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، قد أغنانا الله عنها بالغنى ونكره الزيادة والدناءة، فقال: والله لئن تركتموهم وإياها، ليحتاجن رجالكم إلى رجالهم، ونساؤكم إلى نسائهم.

وقيل للزبير بن العوام: بما ذا بلغت من اليسار ما بلغت؟ فقال: ما رددت ربحاً، ولا سترت عيباً، ولا كذبتُ عُمْراً.

ونظر عمرو بن قيس إلى أهل السوق ولغطهم، فبكى، وقال: ما أغفلهم عما أعد لهم.

وقال قتادة عجبا للتاجر كيف يسلم، وهو بالنهار يحلف، وبالليل يحسب وينام.

وقيل: ما أوحي إليكم أن اجمع المال إلى المال وكن من التاجرين، ولكن أوحي إليكم أن ﴿سبّح بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ *وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 98-99]

وقيل لسلمان الفارسي: أوصنا، فقال: من استطاع منكم أن يموت حاجا، أو غازيا، أو عامراً لمسجد ربه فليفعل، ولا يموتن تاجراً، ولا خائنا.



وقيل للحسن: «أَصَلَّيْتَ؟ قال: لا، قيل لـه: إنّ أهل السوق قد صلوا، قـال: فمن يأخـذ دينـه من أهل السوق؟ إن نفقت أسواقهم أخروا الصـلاة، وإن كسـدت عجلوا بها.

ومرّ الحسن بالسوق في شدة الحر، فقال: ما يقيـل هـؤلاء، ولا أظن ليل هؤلاء إلا ليل سوء.

وقال يحيى بن معاذ: إذا رأيت التـاجر يُسـمّي المسترسـل زبونـا، فـاعلم أنه زبون الشيطان.

وقال علي بن أبي طالب: تفقه ثم اتَّجِر؛ فإن التاجر فاجرٌ، إلا من أخذ الحق وأعطاه.

وقال الضحاك: مـا من تـاجر ليس بفقيـه، إلا أكل الربا شاء أو أبي.

وقال عمر بن الخطاب: ويل لعامل يد من غـد وبعد غد، وويل للتاجر من: لا والله، وبلى والله.

وقال عكرمة: اشـهدوا على كـل كيـال ووزان بالنار، قيل له: سبحان الله، ولم ذاك يـا أبـا عبـد الله؟ قال: لأنه لا يزن كمـا يـتزن، ولا يكيـل كمـا يكتال.





باب في طلب الحوائج

قال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم: إني أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله عز وجل، فإن أذن الله قضيتها وحَمِدناك، وإن لم يأذن الله لم تقضها وعذرناك.

ويقال: أن رجلاً كلم رجلاً في حاجة، فلم ينطلق لسانه انطلاقاً حسناً، فقيل له: ما من كلمته بألسن منك، قال: فأين ذل المسألة.

وأنشدوا في هذا المعنى:

لا تطلبن إلى صديق حاجةً من كف خف على قلوب العالم
أنت المُسَوَّدُ ما رُزقت كفاية فإذا افتقرت ذللت ذل الخادم

ويروى: أن سالم بن عبد الله دخل مع هشام بن عبد الملك بالبيت الحرام فقال له هشام بن عبد الملك سل حاجتك، فقال سالم: إني أكره أن أسأل في بيت الله غير الله.

ويُروى: أن رجلاً من الأدباء، وقف على باب بعض الملوك في حاجة عرضت له إليه، فحجب عنه، فتلطف في إيصال رقعة إليه، وكتب فيها:

ألم تر أن الفقر يُرجى له الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقر

فلما قرأ البيت، لم يتمالك أن خرج إليه، وقضى حاجته.

وقال عطاء: قال لي طاووس: يا عطاء: لا تنزلن حاجتك بمن غلّق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمر عباده بالدعاء، وضمن لهم الإجابة.

وأنشدوا في هذا المعنى:

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا من كل طالب حاجة أو راغب



غالوا بأبواب الحديد لعزها وتأنقوا في قبح وجه الحاجب
فإذا تلطف في الدخول عليهم عاف تلقوه بوعد كاذب
فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن يا ذا الضراعة طالبا من طالب

وَعُدَّ مِنَ الرَّحْمَانِ فَضْلاً وَنِعْمَةٌ عَلَيْكَ إِذَا مَا بَاءَ لِلْخَيْرِ رَاغِبُ
أَرَى دَوَلاً هَذَا الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ وَبَيْنَهُم فِيهِ تَكُونُ النَّوَائِبُ
فلا تَمْنَعَنَّ ذَا حَاجَةٍ جَاءَ طَالِباً فَإِنَّكَ لا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ طَالِبٌ

باب في السؤال وكراهية المسألة

وسئل سحنون: عن الرجل يسأله السائل، فيخرج إليه بصدقة، فيجده قد ذهب؟ فقال: إن تصدق بها على غيره فهو أحب إلي، وإن أعادها في ماله فلا بأس بذلك.

وقال عيسى: مَن رَدّ سائلاً خائباً، لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام

وكان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يَكِلُ خَصلتين إلى غيره؛ كان يصنع طهوره بالليل ويخمره، وكان يناول المسكين بيده [مرسل]

وروى مسلم عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ)

وقيل: من فتح على نفسه بابا من السؤال، فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر.

وقال الفضيل: مسألة الغني شين في وجهه يوم القيامة، قيل: ومن الغني؟ قال: من استغنى ببلاغ يوم وليلة.

ويُروى عن علي: أنه رأى رجلاً يسأل بعرفات، فضربه بالسوط، وقال: ويلك، في مثل هذا اليوم تسأل غير الله عز وجل.

وقال ابن عباس: المساكين لا يعودون مريضاً، ولا يشهدون جنازة، ولا يحضرون جمعة، وإذا اجتمع الناس في أعيادهم ومساجدهم يسألون الله من فضله، اجتمعوا يسألون الناس مما في أيديهم.

وقال بعضهم: لا تسأل أحداً من الناس شيئاً أبداً، فإن كان لا بدَّ من سؤالهم، فاسألهم مما ليس في خزائن الله.

وقال الفضيل: أحب الناس إلى الناس من استغنى عن الناس، ولا يسأل الناس شيئاً، وأحب الناس إلى الله عَزَّ وَجَلَّ مَن احتاج إلى الله، وسأل الله شيئا.

وقال معاذ بن جبل: ينادي مناد يوم القيامة: أين بغضاء الله في أرضه؟ فيقوم سؤال المساجد.

وقال صالح المري للحسن: قد كثر السؤال، فمن نُعطي؟ قال: من رق قلبك له.

وجاء سائل إلى معروف الكرخي، فقال للسائل: خُذ نعلي فليس عندي غيره، فأخذه ومضى فاشترى به رطباً، فقالوا المعروف قد اشترى به رطباً، فقال: الحمد لله عسى كان يشتهيه منذ زمان، فوافقنا شهوته.

وجاء سائل إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى، تصدق علي بشيء، فدخل مالك بيته، فلم يجد إلا شيئاً من التمر، فناوله إياه، فقال: يا أبا يحيى، رضي الله عنك وأعتقك من النار، فقال: لي تقول؟ فقال: نعم، فدخل بيته فلم يجد إلا




قطيفة كـان يلبسـها في الشـتاء ويفترشـها في الصيف، فناوله إياها، فقال: يا أبـا يحـيى، رضـي الله عنـك وأعتقـك من النـار، فقـال لي تقـول؟ قال: نعم، فنزع عمامته عن رأسه وناولـه إياهـا، فقال: يا أبا يحيى، رضي الله عنـك وأعتقـك من النار، فقال له: يا هذا، لم تبـق معي شـيئا، فخُـذ بيدي وأدخلني السـوق، وبعـني بـأي ثمن شـئت، فانصرف السائل.

وقيل: إن الله ليبغض السائل المُلْحِف.

ويُـروى عن أبي جعفـر الحنـوطي، أنـه قـال: خرجنا حجاجا إلى بيت اللـه الحـرام، فلمـا سـرنا إلى بعض المناهل، غَشِيَنَا فقراء الباديـة من كـل مكـــان، وجعلت جاريـــة منهم تتخطى الرقـــاب، وتسأل بلسان أعذب من الماء، وأرق من الهـواء، قال: فقمت إليها، فنظرت إلى وجه يملأ العيـون حسناً، قال: فتعوذت بالله من الشيطان الـرجيم، فلما أن وقفت على رحلنا، قلت لهـا: يـا جاريـة: أيحـــل لـــك إظهـــار هـــذا الوجـــه في مثـــل هـــذا الموقـف؟ فلطمت وجههـا بيـدها لطمـاً رفيقـاً، وهي تقول:

قد صنته وحجبته حتى إذا لم يبق لي طمع [أي أحد] ومات الهيثم

أبرزته من خدره مقهورة الله يشهد لي بذاك ويعلم

كشف الزمان قناعه في بلدة قل الصديق بها وعز الدرهم

لم أبده حتى تقضّت حيلتي فبذلته وهو الأعز الأكرم

ويعز ذاك علي إلا أنه زمن يجور كما تراه ويظلم

فقلت لهـــا: من أنت؟ فقـــالت: ابنـــة الهيثم الشيباني، توفي وبقيت في حالة الله بهـا أعلم، فأعطيتها بعض ما كان معي.





باب في فضل الصدقة

روى البخاري عن عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا فَلَيَقُولَنَّ بَلَى ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَلَيَقُولَنَّ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ) [أحمد بسند قوي]

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ)

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَا اللُّقْمَةُ وَلَا اللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ يَعْنِي قَوْلَهُ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾).

وروى أحمد بسند صحيح عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ




وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ - أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ -) قَالَ يَزِيدُ: " وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلَّا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعْكَةً أَوْ بَصَلَةً أَوْ كَذَا "

وروى أحمد بسند صحيح عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمُ بِثَلَاثَةٍ-: (اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِعَبْدٍ مُجَدَّعِ الْأَطْرَافِ. وَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ. وَصَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَإِذَا وَجَدْتَ الْإِمَامَ قَدْ صَلَّى فَقَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وَإِلَّا فَهِيَ نَافِلَةٌ).

وروى أبو داود وابن حبان بسند حسن عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: «تَصَدَّقُوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي دِينَارٌ، قَالَ: «أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ»، قَالَ: إِنَّ عِنْدِي آخَرَ، قَالَ «أَنْفِقْهُ عَلَى زَوْجَتِكَ»، قَالَ: «إِنَّ عِنْدِي آخَرَ، قَالَ: «أَنْفِقْهُ عَلَى وَلَدِكَ»، قَالَ: إِنَّ عِنْدِي آخَرَ، قَالَ: «أَنْفِقْهُ عَلَى خَادِمِكَ»، قَالَ: إِنَّ عِنْدِي آخَرَ، قَالَ «أَنْتَ أَبْصَرُ».

ويُروى عن عروة بن الزبير أنه قال: لقد تصدقت عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْها- بسبعين ألفا، وإن درعها لمرقع.

وقال مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ [الإنسان: 8]، قال: «وهم يشتهونه».

وكان عمر بن الخطاب له يقول: اللهم اجعل الفضل عند خيارنا، لعلهم يعودون على أولي الحاجة منا.

وقال عبد العزيز بن عمير: الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه.





وقال ابن أبي الجعد: إنّ الصدقة لتدفع عن صاحبها سبعين بابا من السوء، وإن فضل سرها على علانيتها سبعين ضعفاً، وإنها لتفكّ لَحْيي سبعين شيطانا.

وقال ابن مسعود: إنّ رجلاً عبد الله سبعين سنة، ثم أصاب فاحشة، فأحبط الله عمله بها، ثم إنه مر بمسكين فتصدق عليه برغيف، فغفر الله ذنبه، ورد عليه عمله سبعين سنة.

وقال لقمان لابنه: يا بني، إذا أخطأت خطيئة فأعط صدقة.

وقال يحيى بن معاذ: ما أعرف حبّة تزن جبال الدنيا كلها إلا الحبة من الصدقة.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: كان يقال: ثلاثة من كنوز الجنة؛ كتمان الصدقة، وكتمان المصيبة، وكتمان المرض.

وقال عمر بن الخطاب: إن الأعمال تباهت، فقالت الصدقة: أنا أفضلكن.

وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر، ويقول: سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 91]، والله يعلم أني أُحِبّ السكر.

وقال النخعي: إذا كان الشيء لله لا أحب أن يكون فيه عيب.

وقال عبيد بن عمير: يُحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأعطش ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط؛ فمن أطعم لله أشبعه الله، ومن سقى لله سقاه الله، ومن كسى لله كساه الله.

وقال الحسن: لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم، ولكن ابتلي بعضكم ببعض.





وقـال يحـيى بن معـاذ: من لم يـر نفسـه إلى ثـــــواب الصـــــدقة أحـــــوج من الفقـــــير إلى صدقته، فقد أبطل ثواب صدقته، وضرب بها وجهه.

وقـال مالـك -رحمـه اللـه-: لا نـرى بشـرب الموسـر المـاء الـذي يتصـدق بـه ويُسـقى في المسجد بأسا؛ لأنه إنما جعل للعطشان من كـان، ولم يـــــرد بـــــه أهـــــل الحاجة والمسكنة.

ويقال: إن الحسن مر به نخاس، ومعه جاريـة، فقـــال للنخـــاس: أترضـــى ثمنهـــا الـــدرهم والدرهمين، قال: لا، قـال: اذهب؛ فـإن اللـه عَـزَّ وَجَـــــلَّ رضـــــي بـــــالحور العين بالفلس واللقمة.



باب في حب المال وفتنته

روى مسلم عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ قَالَ يَقُولُ: (ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي قَالَ وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ).

وروى مسلم عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ مَا أَكَلَ فَأَفْنَى أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ).

ويقال: إنّ رجلاً نال من أبي الدرداء وأراه سوءاً، فدعا له أبو الدرداء، فقال: اللهم من فعل بي سوءاً فأصح اللهم جسمه، وأطل عمره، وأكثر ماله.

وقال يحيى بن معاذ: إذا أفنيت عُمرك في طلب المال، فمتى تأكله؟

وقيل: أخلاء ابن آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه، والثاني يتبعه إلى قبره، والثالث إلى محشره؛ فالذي يتبعه إلى قبض روحه فماله، والذي يتبعه إلى قبره فأهله، والذي يتبعه إلى محشره فعمله.

وقال الحسن البصري: والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله عز وجل.

وقيل: إن أول ما ضُرب سك الدينار والدرهم رفعهما إبليس، ثم وضعهما على جبهته، ثم قبلهما، وقال: من أحبكما فهو عبدي حقا.

وقال الحواريون لعيسى: مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك؟ فقال لهم: ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة، قال: لكنهما والمدر عندي سواء.




ويُروى عن علي بن أبي طالب: أنه وضع درهما على كفه، ثم قال: أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني.

وقيل: إنما سمي المال مالاً؛ لأنه مال بأهله عن الطاعة.

وقيل: إنما سمي مالاً؛ لأنه يميل عن أصحابه واحداً واحداً.

وقال: إذا مات العبد، قال الناس: ما خلف؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟

ويُروى عن عمر بن الخطاب: أنه بعث إلى زينب بنت جحش بعطائها، فقالت: ما هذا؟ قالوا: أرسله إليك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، قالت: غفر الله له، ثم حلّت ستراً كان لها، فقطعته صُرَراً، وقسمتها في أهل الحاجة من أهل قراباتها وأيتامها، ثم رفعت يديها إلى السماء، وقالت: اللهم لا يُدركني عطاء عمر بعد عامي هذا، فكانت أول نساء رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لحقت به.

وقال شُمَيْطِ بْنِ عَجْلاَنَ: إنّ الدنانير والدراهم أزمة المنافقين، يُقادون بها إلى المهالك.

وقال يحيى بن معاذ: الدرهم عقرب، فإن لم تُحسن رقيته فلا تأخذه؛ فإنه إن لدغك قتلك سُمُّه، قيل: وما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه.

وقال العلاء بن زياد: رأيتُ الدنيا في منامي وعليها من كل زينة، فقلت لها: أعوذ بالله من شرك، فقالت: إن سَرَّك أن يعيذك الله من شري فأبغض الدرهم.

باب في توريث المال

يُروى عن مسلمة بن عبد الملك: أنه دخل على عمر بن عبد العزيز -رحمة الله عليه- عند موته، فقال له: يا أمير المؤمنين، صنعت صنيعاً

لم يصنعه أحد قبلك، تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم، وعنده ثلاثة عشر من الولد، فقال عمر: أقعدوني، فأقعدوه، فقال: أما قولك لم أدع لهم ديناراً ولا درهما، فإني لم أمنعهم حقا لهم، ولم أعطهم حقاً لغيرهم، وإنما ولدي أحد رجلين؛ إما مطيع الله، فالله كافيه وهو يتولّى الصالحين، وإما عاصي الله، فلا أبالي على ما وقع.

وقال أبو حازم لأبي جعفر المدني: لا تختر ولدك على نفسك؛ فإن كانوا لله أولياء؛ فلا تخش عليهم الضيعة، وإن كانوا الله أعداء؛ فلا تبال ما لقوا بعدك.

ويروى: أن محمد بن كعب القرظي أفاد مالاً كثيراً، فقيل له: يا أبا حمزة لو ادخرته لولدك من بعدك، فقال: لا، ولكني أذخره لنفسي عند ربي، وأدخر ربي لولدي.

ويُروى: أن رجلاً قال لأبي عبد رب يا أخي، لا تذهب بشر وتترك أهلك بخير، فخرج أبو عبد رب من ماله مئة ألف.

وقال يحيى بن معاذ: مُصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته، قيل: ما هما؟ قال: يؤخذ منه كله، ويُسأل عنه كله.

باب في الورع وطلب الحلال

روي الترمذي عَنْ أَبِي الحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ).



وقال البخاري: بَاب تَفْسِيرِ الْمُشَبَّهَاتِ وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَهْوَنَ مِنْ الْوَرَعِ دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ.

(دع ما يريبك) أي يوقعك في الشك والأمر للندب لما أن توقي الشبهات مندوب لا واجب على الأصح (إلى ما لا يريبك) أي اترك ما تشك فيه من الشبهات واعدل إلى ما لا تشك فيه من الحلال البين لأن من اتقى الشبهات فقد أستبرا لعرضه ودينه.

(فإن الصدق طمأنينة) أي يطمئن إليه القلب ويسكن وفيه إضمار أي محل طمأنينة أو سبب طمأنينة (وإن الكذب ريبة) أي يقلق القلب ويضطرب.

وقال الطيبي: جاء هذا القول ممهداً لما تقدمه من الكلام ومعناه إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق وترتاب من الكذب فارتيابك من الشيء منبئ عن كونه مظنة للباطل فاحذره وطمأنينتك للشيء مشعر بحقيقته فتمسك به والصدق والكذب يستعملان في المقال والأفعال وما يحق أو يبطل من الاعتقاد وهذا مخصوص بذوي النفوس الشريفة القدسية المطهرة عن دنس الذنوب ووسخ العيوب اهـ

والحاصل أن الصدق إذا مازج قلب الكامل امتزج نوره بنور الإيمان فاطمأن وانطفأ سراج الكذب فإن الكذب ظلمة والظلمة لا تمازج النور.

قال القاضي: والمعنى أن من أشكل عليه شيء والتبس ولم يتبين أنه من أي القبيلين هو فليتأمل فيه إن كان من أهل الاجتهاد ويسأل المجتهدين إن كان من المقلدين فإن وجد ما يسكن إليه نفسه ويطمئن به قلبه وينشرح

صدره فليأخذ به وإلا فليدعه وليأخذ بما لا شبهة فيه ولا ريبة هذا طريق الورع والاحتياط.

قال أهل العلم: فما اطمأن إليه القلب فهو بالحلال أشبه وما نفر عنه فهو بالحرام أشبه.

قال الحكيم: هذا عند المحققين الموصوفين بطهارة القلوب ونور اليقين فأولئك هم أهل هذه الرتبة أما العوام والعلماء الذين غذوا بالحرام فلا التفات إلى ما تطمئن إليه قلوبهم المحجبة بحجب الظلمات.

وقالت عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْها- وعن أبيها: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة، قالوا: وما ذلك؟ قالت: وهو الورع.

ويُروى عن عبد الله بن عمر قال: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ما يُقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز.

وقال إبراهيم بن أدهم: لم يُدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه، يعني الرغيف من حله.

وقال الفضيل: من عرف ما يدخل جوفه، كتب عند الله صديقا، فانظر عند من تفطر يا مسكين.

وقال بعض الحكماء: من لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام.

وقال بعض الحكماء: الورع: ترك الأخذ بالرخصة، والدخول تحت التأويل عند الضرورة.

وقال يونس بن عبيد: ما أعلم شيئاً اليوم أقل من درهم طيب أنفقه، وأخ أسكن إليه، وعامل يعمل على السُّنَّة، ما يزدادون إلا قلة، ولو وجدنا درهما من حلال لشفينا به مرضانا.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: لم لا تشرب من زمزم؟ فقال: لو كان لي دلو لشربت.




وقال ابن عباس: كسب الحلال أشد من نقل الجبل إلى الجبل.

وقال مسعر بن كدام: ما أعلم اليوم حلالاً، إلا أن يأتي الرجل إلى دجلة، فيشرب بكفيه.

وقال وهيب بن الورد: لو قُمتَ قيام هذه السارية، ما نفعك حتى تعلم ما يدخل في جوفك.

وقال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في طاعة الله، فهو كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذَّنْب لا يكفره إلا الحلال.

وقال يحيى بن معاذ: الطاعة خزانة من خزائن الله عَزَّ وَجَلَّ، مفتاحها الدعاء، وأسنانها لقمة الحلال.

وقال ابن عباس: لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام.

وقال خلف بن تميم: قلت لإبراهيم بن أدهم منذ كم أنت بأرض الشام؟ قال: منذ أربع وعشرين سنة، وما جئتُ إلى الشام لجهاد ولا لرباط، قال، فقلت: فلأي شيء جئتها؟ قال: لأشبع من خبز حلال.

وقال علي بن معبد: كنتُ ساكنا في بيت بكراء، وكتبت كتاباً، فأردت أن آخذ من تراب الحائط الأتربه، ثم قلت: إن الحائط ليس لي، فقالت نفسي: وما قدر تراب من حائط، فأخذتُ من ترابه، فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف علي يقول: يا علي، سيعلم غداً الذين يقولون: وما قدر تراب من حائط.

وكان يقال: إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم.

وكان يقال: من عفت أطرافه حسنت أوصافه.

وقال يحيى بن معاذ: من لم ينظر في الدقيق من الـــــــــورع، لم يصـــــــــل إلى الجزيل من العطاء.

وقــال الضــحاك: أدركت النــاس ومــا كــانوا يتعلمون إلا الورع، وإنهم ليتعلمون اليوم الكلام.

وقال المحاسبي: أصل الطاعة الـورع، وأصـل الــورع التقى، وأصــل التقى محاســبة النفس، وأصل محاسـبة النفس الخـوف والرجـاء، وأصـل الخوف والرجـاء معرفـة الوعـد والوعيـد، وأصـل معرفة الوعد والوعيد ذكـر عظيم الثـواب وشـدة العذاب، وأصل ذلك كله العبر والفكر.

ويُروى عن ابن سيرين: أن درهمـا وبيت مـال كان عنده سواء إذا شـك في نفسـه تركـه، ولقـد تـرك لشـريك لـه أربعـة آلاف درهم لشـيء شـك فيه، وما اختلف في ذلك العلمـاء إلا أنـه لا بـأس به.

وقال عمر بن الخطاب: كنا ندع تسـعة أعشـار الحلال، مخافة أن نقع في الحرام.

باب في حب المساكين

روى الترمـذي عَنْ أَنَسٍ -رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَـالَ: (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْـكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْـكِينًا وَاحْشُـرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ) فَقَالَتْ عَائِشَـةُ: لِمَ يَا رَسُـولَ اللَّهِ؟ قَـالَ: (إِنَّهُمْ يَـدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْـلَ أَغْنِيَـائِهِمْ بِـأَرْبَعِينَ خَرِيفًـا، يَـا عَائِشَـةُ لَا تَـرُدِّي المِسْـكِينَ وَلَـوْ بِشِـقِّ تَمْـرَةٍ، يَـا عَائِشَـةُ أَحِبِّي المَسَـاكِينَ وَقَـرِّبِيهِمْ فَـإِنَّ اللَّهَ يُقَرِّبُـكِ يَـوْمَ القِيَامَةِ): «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ» [صححه الألباني]

وكان سليمان بن داود -عليهمـا السـلام- على ما آتاه الله من الملـك؛ إذا دخـل المسـجد فنظـر إلى مســكين، يجلس إليــه، ويقــول: مســكين يجالس مسكينا.




وقيل: ما كان من كلمة تقال لعيسى أحب إليه من أن يقال له: يا مسكين.

وقال كعب الأحبار: ما في القرآن مِن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فهو في التوراة: "يا أيها المساكين.

وقال عبادة بن الصامت: للنار سبعة أبواب ثلاثة منها للأغنياء، وثلاثة منها للنساء، وباب منها للفقراء والمساكين.

وقال الفضيل بن عياض: بلغني أن نبياً من الأنبياء قال: يا رب، كيف لي أن أعلم رضاك عني؟ فقال: علامة ذلك أن تنظر كيف رضا المساكين عنك.

وقال: إياكم ومجالسة الموتى، قيل: يا رسول الله، ومن الموتى؟ قال: الأغنياء.

ويُروى: أن موسى -عليه السلام- قال: إلهي، أين أبغيك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم.

وقال ابن عباس: أتباع الأنبياء الضعفاء والمساكين.

وأنشدوا في المساكين:

لا تعد عيناك مسكينا تلاقيه فإنّما هي أقسام وأرزاق

وكُن محبا له ترجو شفاعته فللمساكين يوم الحشر أسواق

باب في التواضع

عن أبي مجلز لاحق بن حميد السدوسي قال: خرج معاوية على ابن عامر، وعلي بن الزبير -رضي الله عنها- فقام ابن عامر، وجلس ابن الزبير، فقال معاويةُ لابن عامر: اجلس، فإني سمعتُ رسولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: (مَنْ أحبَّ أن يَمْثُلَ لهُ الناسُ قياما، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النار). أخرجه أبو داود.



عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ. [الترمذي بسند صحيح]

عن فضيل بن عياض قال: رئي على سلمان جبة من صوف فقيل له لو لبست ألين من هذا قال إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد فإذا عتقت لبست ثيابا لا تبلى حواشيها.

وقال أبو سليمان الداراني: إنّ الله عَزَّ وَجَلَّ اطلع على قلوب الآدميين، فلم يجد قلبا أشد تواضعاً من قلب موسى، فخصه منه بالكلام.

وقال أبو الدرداء: لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مُشِيَ خلفه.

وقيل ليونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات: كيف كان الناس؟ فقال: لم أشك في الرحمة، لولا أني كنتُ معهم، يقول: لعَلّهم حُرِمُوا بسببه.

ويُروى: أن عبد الرحمن بن عوف كان لا يُعرف من بين عبيده.

ويقال: إنّ أرفع ما يكون العبد عند الله عَزَّ وَجَلَّ أوضع ما يكون عند نفسه، وأوضع ما يكون عند الله عَزَّ وَجَلَّ أرفع ما يكون عند نفسه.

وقال أيوب بن أبي تميمة السختياني: إن قوما يريدون أن يرتفعوا، ويأبى الله إلا أن يضعهم.

ويروى: أنه لما قدم سفيان الثوري الرملة، بعث إليه إبراهيم بن أدهم: أن تعال فحدثنا، فقيل له: يا أبا إسحاق، وتبعث إليه بمثل هذا؟ فقال: أردت أن أنظر كيف تواضعه، قال: فجاءهم سفيان.

وكان يقال: من لم يتضع عند نفسه، لم يرتفع عند غيره.




وقال زياد النميري: الزاهد بغير تواضع، كالشجر الذي لا يثمر.

وقال ابن وهب: جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد، فمس فخذي فخذه، فنحيت نفسي عنه، فأخذ ثيابي فجرني إلى نفسه، وقال: لم تفعل بي كما يفعل بالجبابرة، ولا أعرف منكم رجلاً شراً مني.

وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما، ولا أبرص، ولا مبتلى إلا أقعدهم على مائدته.

وقال مجاهد: إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لما غرق قوم نوح، شمخت الجبال وتواضع الجودي، فرفعه الله على الجبال، وجعل قرار السفينة عليه.

وقال مالك بن دينار: لو أن منادياً ينادي بباب المسجد ليخرج أشركم رجلاً، والله ما كاد يسبقني أحد إلى الباب إلا رجل يفضل قوة وسعياً، فلما بلغ ابن المبارك قوله، قال: بهذا صار مَالِكٌ مَالِك.

وقال داود المكي: كان عمر بن عبد العزيز قبل أن يُستخلف تشترى له الحلة بألف دينار، فيقول: ما أجودها لولا خشونة فيها، فلما استخلف، كان يُشْتَرى له الثوب بخمسة دراهم، فيقول: ما أجوده لولا لينه، فقيل له: أين لباسك ومركبك وعطرك؟ فقال: إن لي نَفْساً تواقة ذواقة، وإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلا تاقت إلى الطبقة التي فوقها، حتى إذا ذاقت الخلافة وهي أرفع الطبقات، تاقت إلى ما عند الله عز وجل.

وقال ثعلبة بن أبي مالك: رأيت أبا هريرة أقبل من السوق، وهو يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق





للأمير يا ابن أبي مالك، فقلت: أصلحك الله، تكفى هذا، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك.

وروي: أن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- أتاه ليلة ضيف، وكان يكتب شيئا، فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه، فقال: ليس من كرم الرجل أن يستعمل ضيفه، قال: فأنبه الغلام، قال: هي أول نومة نامها، فقام وأخذ البِطّة، وملأ المصباح زيتاً، فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين، قال: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، وخير الناس من كان عند الله متواضعا.

وقال كعب الأحبار: من عاد فقيراً مسكينا أو زاره، يريد بذلك تواضعاً عند الله، وكل الله به مائة ألف ملك يستغفرون له يومه ذلك حتى يمسي.

وقال الفضيل: ما طلب الرئاسة أحد إلا طلب عيوب الناس وذكر مساوئهم، وكره أن يُذكر أحد عنده بخير.

وقال الفضيل: من أحب الرئاسة لم يفلح أبداً.

ويقال: أن ميمون بن مهران دعي إلى طعام، فجلس مع الصبيان والمساكين.

وقال موسى بن القاسم: كانت عندنا زلزلة وريح حمراء، فذهبت إلى محمد بن مقاتل، فقلت: يا أبا عبد الله، أنت إمامنا وكبيرنا فادع الله لنا، فبكى، ثم قال: ليتني لا أكون سبب هلاككم، قال موسى فرأيت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في منامي، فقال: إن الله دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل.

وقال: أرأيتم سليمان وما أعطي من الملك؛ فإنه لم يرفع رأسه إلى السماء تخشعاً حتى قبضه الله إليه.




وقال عمر بن الخطاب: إن الرجـل إذا تواضـع لله رفع الله حكمتـه، وقـال: انعش نعشـك اللـه، وهـو في نفسـه صـغير وفي أعين النـاس كبـير، وإذا تكبر العبد وعَدَا طَوْره وهَصَـه اللـه [الـوهص شدة الوطء كأن الله رمى به] إلى الأرض وقـال: اخسـأ أخسـأك اللـه، فهـو في نفسـه كبـير وفي أعين الناس صغير، حتى لهـو أهـون على النـاس من الخنزير. ثم قال عمر: أيها النـاس لا تبغضـوا اللـه إلى خلقـه، قـالوا: وكيـف نبغض اللـه إلى خلقه؟ قال: يقـوم أحـدكم إمامـا فيطـول عليهم حتى يبغضوا ما هم فيه.

باب في الكبر والعجب

قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب) [صحيح الجامع: حسن]

لأن العاصي يعترف بنقصه فترجى له التوبة، والمعجب مغرور بعمله فتوبته بعيدة ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: 104] ولأن دوام الطاعة يوقع فيه، ولهذا قيل: "أنين المذنبين أحب إلى اللّه من زجل المسبحين" لأن زجلهم يشوبه الافتخار وأنين أولئك يشوبه الانكسار والافتقار، والمؤمن حبيب اللّه يصونه ويصرفه عما يفسده إلي ما يصلحه والعجب يصرف وجه العبد عن اللّه، والذنب يصرفه إليه والعجب يقبل به على نفسه، والذنب يقبل به على ربه لأن العجب ينتج الاستكبار والذنب ينتج الاضطرار ويؤدي إلى الافتقار، وخير أوصاف العبد افتقاره واضطراره إلى ربه، فتقدير الذنوب وإن كانت ستراً ليست لكونها مقصودة لنفسها بل لغيرها وهو السلامة من العجب التي هو خير عظيم.

قال بعض المحققين: ولهذا قيل: "يا من إفساده إصلاح" يعني إنما قدره من المفاسد فلتضمنه مصالح عظيمة احتقر ذلك القدر اليسير في جنبه لكونه وسيلة إليها وما أدى إلى الخير فهو خير، فكل شر قدره اللّه لكونه لم يقصد بالذات بل بالعرض لما يستلزمه من الخير الأعظم يصدق عليه بهذا الاعتبار أنه خير، وفيه دلالة على أن العبد لا تبعده الخطيئة عن اللّه وإنما يبعده الإصرار والاستكبار والإعراض عن مولاه بل قد يكون الذنب سبباً للوصلة بينه وبين ربه.



وقال وهب بن منبه: لما خلق الله جنة عَدْنٍ، نظر إليها، فقال: أنت حرام على كل متكبر.

وقال أبو بكر الصديق: لا تحقرن أحداً من المسلمين؛ فإن صغير المسلمين كبير عند الله.

وقال ابن عيينة في قول الله عز وجل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: 146] قال: يقول أَحْرِمُهُم فهم القرآن.

ويُروى: أن عبد الله بن محمد بن واسع خرج يوما يتمشى، فقال محمد بن واسع من هذا؟ فقالوا: عبد الله، فقال: ادعوه، فجاء، فقال: يا بني، أتدري بكم اشتريتُ أُمَّك؟ اشتريتها بثلاث مئة درهم، وأبوك لا أكثر الله في الناس مثله تمشي هذه المشية !!

ويروى: أن المهلب بن أبي صفرة مر على مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو يتبختر في جبة خَزٍّ، فقال: يا أبا عبد الله، هذه المشية يبغضها الله ورسوله، فقال له المهلب: أما تعرفني؟ قال: بلى أعرفك أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وتحمل بين إليتيك العَذِرَة، فمضى المهلب وترك مشيته تلك.

ويروى عن بشر بن منصور، وكان من الذين إذا رُؤُوا ذكر الله وذكرت الدار الآخرة، أنه أطال الصلاة يوماً، ورجل خلفه ينظر إليه، ففطن له بشر رحمه الله، فلما انصرف من الصلاة قال: لا يُعجبك ما رأيت مني؛ فإن إبليس قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة، ثم صار إلى ما صار إليه.

باب في الرياء

روى أحمد بسند حسن عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ) قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الرِّيَاءُ،

يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً).

قال الحارث بن قيس: إذا جاءك الشيطان وأنت تصلي، فقال: إنك ترائي، فزدها طولاً.

ويقال: إنّ ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يُعافيك الله منهما.

وقيل في قول الله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47]، قيل: عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسنات، بدت لهم يوم القيامة سيئات،، وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول: ويل لأهل الرياء.

ويقال: إن المرائي يُنادى به يوم القيامة بأربعة أشياء: يا مرائي، يا غادر، يا فاجر، يا خاسر، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له، فلا أجر لك عندنا.

وقال عيسى: إذا كان يوم صوم أحدكم، فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه؛ لأن لا يرى الناس أنه صائم، وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله، وإذا صلى فليرخ ستر بابه؛ فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق .

وقال الفضيل: خير العمل أخفاه، وأمنعه من الشيطان، وأبعده من الرياء.

وقال الحسن: لقد صحبت أقواماً إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة، لو نطق بها نفعته ونفعت أصحابه، وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة، وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى على الطريق، فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة.

وقال الفضيل بن عياض: كانوا يراءون بما يعملون، فصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون.




وقال عكرمة: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يُعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله، وذلك أن النية لا رياء فيها.

وقال الحسن: المرائي يريد أن يغلب قَدَرَ الله فيه، فهو رجل سوء، يريد أن يقول له الناس: هو صالح، وكيف يقولون ذلك، وقد حلّ من ربه محل الرياء، فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه.

وقال قتادة: إذا راءى العبد، يقول الله عَزَّ وَجَلّ لملائكته: انظروا إلى عبدي كيف يستهزئ بي.

ويُروى: أن عمر بن الخطاب نظر إلى رجل يطأطئ رقبته وهو في الصلاة، فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب.

وقيل: إن أبا أمامة أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو، فقال له أبو أمامة: أنت أنت لو كان هذا في بيتك.

وقال مالك بن دينار: القُرَّاء ثلاثة قراء الدنيا، وقراء الملوك، وقراء الرحمن، وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن.

وكان الفضيل بن عياض يقول: من أحب أن ينظر إلى مراء فلينظر إلي.

وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمت بالليل؛ فإنه أشرف من سمتك بالنهار؛ لأن السمت بالنهار للمخلوقين، والسمت بالليل لرب العالمين.

وقال أبو سليمان الداراني: التوقي على العمل أشد من العمل.

وقال ابن المبارك: إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان، قيل: وكيف ذلك؟ قال: يُحب أن يذكر أنه مجاور بمكة.



وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله عبده من أحب أن يشتهر.
وقال علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: للمُرَائِي أربع علامات؛ يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه به، وينقص إذا ذُمّ.

باب في النية والعبادة والإخلاص

كان الفضيل بن عياض إذا قرأ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31]، يبكي ويُردّدها، ويقول: وتبلو أخبارنا؛ إنك إن بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا وعَذّبتنا.
وقال الحسن: إنما خُلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات.
وقال أبو هريرة: مكتوب في التوراة: ما أريد به وجهي فقليله كثير، وما أريد به غير وجهي فكثيره قليل.
وقال مالك بن دينار: مذ عرفت الناس لم أفرح بمدح ولم أحزن بذم قيل: وكيف ذلك يا أبا يحيى؟ قال: لأني لم أر مادحا إلا مُفرِطاً، ولم أر ذاماً إلا مُفَرِّطا.
وقيل لذي النون المصري: متى يعلم العبد أنه من صفوة الله؟ قال: إذا خلع الراحة، وأعطى المجهود في الطاعة، وأحب سقوط المنزلة، واستوى عنده المحمدة والمذمة.
وكان معروف الكرخي يضرب نفسه، ويقول: يا نفسي، أخلصي تخلصي.
وكان الحسن يقول: من ذم نفسه في الملا فقد مدحها.
وقال وهيب بن الورد: إذا أردت الدين فابن على ثلاث خصال، الزهد

والورع والإخلاص؛ فإنّك إن بنيت على غير هؤلاء تهدم البنيان.

وقيل: ربّ صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش، وربّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر.

وقال حاتم الأصم: صار الناس مشاغيل في أداء الفرائض، غفلاً عن قبولها.

وسئل سفيان عن تفسير الإخلاص؟ فقال: تمييز العمل من العيوب.

وقال يعقوب المكفوف: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

وقال بعض الحكماء: القصد بالقلوب أبلغ من حركات الجوارح.

ويروى: إن من فتح على نفسه باب حسنة، فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق، ومن فتح على نفسه باب سيئة، فتح الله عليه سبعين باباً من الخذلان؛ فباب الحسنة حسن النية، وباب السيئة سوء النية.

وقال أبو سليمان الداراني: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة، لا يريد بها إلا وجه الله عز وجل.

وقال بلال بن سعد: إن العبد ليقول قول مؤمن، فلا يدعه الله عَزَّ وَجَلَّ وقوله حتى ينظر في عمله، فإن كان قوله قول مؤمن، وعمله عمل مؤمن، لم يدعه حتى ينظر في ورعه، فإن كان قوله قول مؤمن، وعمله عمل مؤمن، وورعه ورع مؤمن، لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى به، فإن صلحت النية فبالحري أن يصلح ما دون ذلك، المؤمن يقول قولاً يتبع قوله عمله، والمنافق يقول ما يعرف ويعمل ما ينكر.

وقيل في قول الله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، قيل: أصوبه وأخلصه، فإن كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإن



كان صوابا ولم يكن خالصاً لم يقبل، والخالص ما كان الله، والصواب ما كان على السُّنَّة.

باب في استواء السريرة والعلانية

روى الترمذي بسند ضعيف عن يَحْيَى بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَبِي يَغْتَرُّونَ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا).

وقال عبد الواحد: كان الحسن إذا أمر الناس بشيء من أعمال البر، كان أعمل الناس له، وإذا نهى عن شيء، كان أترك الناس له، ولم أر أحداً قط أشبه بسريرته وعلانيته منه.

وقال الأحنف بن قيس: ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها، ولا يكون وجيها في الدنيا، ولا يسود في الآخرة.

وقال يحيى بن معاذ: إنّ القلوب كالقدور، ومغارفها ألسنتها، وإن كل لسان يغرف لك ما في قلبه من حلوه وحامضه وعذبه وأجاجه.

وقال عطية بن عبد الغافر: إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته، باهي الله به الملائكة، يقول: هذا عبدي حقا.

وقال يوسف بن أسباط: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء: قُل لهم يُخفون إلي أعمالهم أظهرها لهم.

وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول: إلهي، عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة، وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة، ثم يبكي.

وقال معاوية بن قـرة: «من يـدلني على بكـاء بالليل بسام بالنهار.
وقــال ميمــون بن مهــران: إن علانيــة بغــير سريرة، لكنيف مجصص.
وقال يحـيى بن معـاذ: من أراد أن ينـدس بين الصالحين بـالقول دون العمـل فهـو كمن ينـدس إلى وليمة لم يدع إليها.
وقيل لأبي سـليمان الـداراني: إنَّ فلانـا أدبـر بعد ما تاب، فقال: صار بينه وبين الله حجاب.
وقــال زُبيــد بن الحــارث: إذا اسـتوت سـريرة الرجل وعلانيته فذلك النَّصَفَة، وإذا كانت سريرته أفضــل من علانيتــه فــذلك الفضــل، وإن كــانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور.

باب في الطاعة والمعصية

قال سفيان بن عيينة: بلغني عن رسول اللــه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قـال: (قـال اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ للملائكـة: إذا هم عبـدي بحسـنة فاكتبوهـا واحـدة، فـإن عملهـا؛ فاكتبوهـا عشـراً، وإذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها، فـإن عملهـا؛ فاكتبوهـا واحدة)، فقام رجل عليه قلنسـوة سـوداء وقبـاء ملحم، فقال: يا أبا محمد الملكان يعلمان الغيب؟ فضج الناس، وجعل سفيان يسكتهم بيـده، فلمـا سكتوا، قال: الملكان لا يعلمــان الغيب، ولكن إذا هم العبد بحسنة فاح منه رائحة المسك، فيعلمان أنه قد هم بالحسنة، فـإذا هم بالسـيئة فـاح منـه رائحة النتن، فيعلمان أنه قد هم بالسيئة.
قال إسماعيل بن أويس -رحمه الله-: فسألت من هذا السائل سفيان بن عيينـة ؟ فقـالوا: أبـو نواس الشاعر
وقيــل: إن الحسـنات يــذهبن السـيئات، كمـا يُذهب الماء الوسخ.

وقال مالك بن دينار: وجد في بعض الكتب: يقول الله عز وجل: أنا ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولكن توبوا إلي أعطِفهم عليكم.

وقال الحسن: إن الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بطاعته وأعان عليها، ولم يجعل في تركها عذراً، ونهى عن المعصية وأغنى عنها، ولم يجعل في ركوبها حجة.

وقال عمر بن عبد العزيز : لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس، وهو رأس الخطيئة.

وقال الفضيل بن عياض: العَجَب كُلّ العجب لمن عرف الله، ثم عصاه بعد المعرفة.

وقال بلال بن سعد: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت.

ويُروى: أن عابداً من عباد بني إسرائيل قال: إلهي، كم أعصيك وأنت لا تؤاخذني، فأوحى الله إلى نبيه: كم من نقمة لي فيه وهو لا يدري، جمود عينيه وقساوة قلبه عقوبة مني له لو عقل.

وقال الفضيل بن عياض: وجد في بعض كتب الحكمة: إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني.

وقال بعض العلماء: من قوي فليقو على طاعة الله، ومن ضعف فليضعف عن معصية الله.

وقال الحسن في قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97]، قال: لنرزقنه طاعة يجد لذتها في قلبه.. وقيل: «القناعة».. وقيل: «الحلال».

وقال بعض الحكماء: المسيء ميت وإن كان في منازل الأحياء، والمحسن حي وإن نقل إلى منازل الأموات.

وقال بعض الحكماء: ليس شيء أفضل من طهارة القلب، وليس فوق طهارة القلب إلا الصدق، وليس فوق الصدق إلا النور، وليس فوق النور إلا الله -عَزَّ وَجَلَّ-، واعلم أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- جعل معصية رسوله بمنزلة نفسه، فقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: 5]

وقال أبو سليمان الداراني: ليس أعمال الخلق بالتي ترضيه ولا تغضبه ولكنه رضي عن قوم فاستعملهم بأعمال الرضا، وسخط على قوم فاستعملهم بأعمال الغضب.

وقال علي بن أبي طالب: من أراد الغنى بغير مال، والكثرة بغير العشيرة، فليتحول من ذل المعصية إلى عزّ الطاعة، أبى الله إلا أن يُذل من عصاه.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ما أحبوا البقاء في الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن ليطيعوه.

وعنه قال: ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة، إنما العجب ممن وجدها، ثم صبر عنها كيف صبر.

وعنه: قد أسكنهم الله الجنة قبل أن يطيعوه، وأدخلهم النار قبل أن يعصوه، وقد كان عمر بن الخطاب يحمل الطعام إلى الأصنام والله يحبه، ما ضره ذلك عنده شيئا.

وعنه: إن خطيئة تغم فكر صاحبها لمباركة، إنما البلاء لمن يُخطئ ولا يغتم، وما عمل داود عملاً كان أنفع له من




خطيئته، وما زال خائفاً هارباً منها حتى لحق بربه.

وقال عبد العزيز بن عمير: الحمد لله الذي جعل أهل الطاعة أحياء بعد مماتهم، وجعل أهل المعصية أمواتا في حياتهم.

وقالت عائشة -رَضِيَ اللّهُ عَنْها-: إنه من يعمل بمعاصي الله، يصير حامده من الناس ذاما.

وقال حسان بن عطية: بينما رجل يسير على دابته فعثرت الدابة، فقال: تعست، فقال صاحب اليمين: ما هي بحسنة فأكتبها، وقال صاحب الشمال: ما هي بسيئة فأكتبها، فأوحى الله -عَزَّ وَجَلَّ- إلى صاحب الشمال: ما ترك صاحب اليمين فاكتبه.

وكان يقال: افرح بالحسنة واستقللها؛ فإنك إن فرحت بها عدت إليها، وإن استقللتها زدت عليها.

وكان يقال: سيئة تسوؤك، خير من حسنة تعجبك.

وقال أبو سليمان الداراني: من أحسن في نهاره كوفئ في ليله، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره.

وكان عتبة الغلام يقول: كيف يفلح إنسان يسره ما يضره.

وقال سليمان التيمي: لو أتتني المغفرة من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لأهمني الحياء منه فيما أفضيت إليه.

وقال إبراهيم بن أدهم: لأن أدخل النار وقد أطعتُ الله -عَزَّ وَجَلَّ-، أحبّ إلي من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقال مجاهد في قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾ هو أن تعمل فيها بطاعة الله -عَزَّ وَجَلَّ-.




وقال سعيد بن جبير في قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يقول: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي.

وقال صالح بن عبد الجليل: ذهب المطيعون لله -عَزَّ وَجَلَّ- بلذة العيش في الدنيا والآخرة، يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ- لهم يوم القيامة: رضيتم بي بدلاً من خلقي وآثرتموني على شهواتكم، فاليوم أبشروا بكرامتي، فوعزتي وجلالي ما خلقت الجنان إلا من أجلكم.

ويُروى: أنه كان لهارون ابنان يُسرجان قناديل بيت المقدس، فأوحى الله تعالى إلى موسى وهارون -صلى الله عليهما- أن أؤمراهما ألا يُسْرِجا حتى تنزل نار من السماء فيسرجا منها، فعجل الفتيان، فأسرجاها من نار أهل الدنيا، فنزلت النار فأكلتهما، فجزع موسى وهارون، فأوحى الله إليهما: إني لم أفعل ذلك بهما لهوانهما علي، ولكن لئلا يكون عليهما في الآخرة عقوبة، وهذا فعلي بأبناء أحبائي إذا عصوني، فكيف فعلي بأبناء أعدائي.

وكان عبد العزيز بن أبي رواد يقول: عَصَيْتُ مَن نِعمه علي سابغة وستره علي مجلل، وعصيتُ من لا ينبغي أن يُعصى، فبأي قدم أقف بين يديه، وبأي عين أنظر إلى ذلك الجلال.

وقال عمرو بن ميمون بن مهران: إني وجدت أشد الناس إكراما لنفسه، وأشدهم إعزازاً لها في الدنيا، أشدهم إذلالاً لها في طاعة الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظني، فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليا تظن أنه يراك، فقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت.

ويُروى: أنه في بعض الكتب أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: عبدي افعل لي ساعة واحدة ما أريد، حتى أفعل لك في الأبد ما تريد.

وأنشدوا:

يا أيها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم

إلى متى تعصي وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

باب في أعمال البر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى طَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ، فَقَالَ: لَأَرْفَعَنَّ هَذَا لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْفِرُ لِي بِهِ، فَرَفَعَهُ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ بِهِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ) [أحمد بسند صحيح]

وقال الحسن: مهور الحور كنس المساجد وعمارتها.

وقال أنس بن مالك: من أسرج سراجاً في مسجد، لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوؤه.

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأبي أيوب الأنصاري: ألا أدلك على صدقة يُحبها الله ورسوله؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: (تصلح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا) [رواه البزار: حسن لغيره]

وقال أنس بن مالك: من أنظر مديوناً، فله كل يوم عند الله وزن أحد، ما لم يطلبه.

ويُروى عن الربيع بن خُثَيم: أنه ضحى بأضحية، فقال: إلهي، لو علمت أن رضاك في ذبح نفسي لذبحتها.




ويقال: إن بشر بن الحارث وجد قرطاساً في أتون حمام، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، فرفعه واشترى غالية بدرهم، ولطخ ذلك القرطاس بالغالية، وأدخله في شق حائط، ثم لقي أخاً له، فقال له: يا بشر، لقد رأيتُ في هذه الليلة رؤية ما رأيتُ أحسن منها، قال: وما الذي رأيت؟ قال: رأيت كأن قائلا يقول لي: قل لبشر بن الحارث ترفع أسماءنا من الأرض إجلالاً أن تُدنّس، لننوه باسمه في الدنيا والآخرة.

باب في المراقبة

والمراقبة (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) [البخاري]

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: 33] أي رقيب على كل نفس بما عملت من خير وشر، ويحصي عليها ما عملت.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: 14]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: 1]

قال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة.

ويروى أنه لما خلا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، قامت فضربت بنَمَط [ثوب من صوف]، فقال لها: ما تعملين؟ قال: أستر بيني وبين الصنم لئلا يراني خالية معك، فقال لها يوسف: فأي شيء يسترني من إلهي؟!.

وقال فرقد السَّبَخِي: إن المنافق ينظر، فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء، وإنما يراقب الناس من لا يراقب الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقال بعض السلف لابنه: يا بني، إذا دعتك نفسك إلى كبيرة أو داهية، فارم ببصرك إلى السماء فخف ممن فيها.

وقال أبو عبد الرحمن العتبي: خرجت في بعض الليالي، فإذا أنا بجارية كأنها علم، فأردتها، فقالت: ويلك أما لك زاجر من عقل، إذا لم يكن له ناه من دين، فقلت: إنه والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فأين مكوكبها.

وأنشدوا:





إن من يركب الفواحش سرا حين يخلو بذنبه غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه شاهداه وربه ذو المحال

وقال عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إلى مكة، فعرسنا ببعض الطريق، فانحدر علينا راع من الجبل، فقال له: يا راعي، بعنا شاة من الغنم، فقال: إني مملوك، فقلت: قل لسيدك أكلها الذئب. فقال: فأين الله؟! قال: فبكى عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ثم غدا إلى سيده فاشتراه منه وأعتقه، ثم قال: أعتقتك كلمتك في الدنيا، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

باب في الاغترار بالله عَزَّ وَجَلَّ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6].. أي ما الذي جعلك تغتَرُّ بربكَ الجواد كثير الخير الحقيق بالشكر والطاعة.

قال سعيد بن جبير: الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية، ويتمنى على الله المغفرة.

وقال ابن السماك فيما يُعاتب نفسه: تقولين قول الزاهدين، وتعملين عمل المنافقين، وفي دخول الجنة تطمعين، هيهات هيهات، إن للجنة قوماً آخرين، وإن لهم أعمالاً بغير ما تعملين.

وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في كلامه: إلهي، كيف أرجوك وقد عصيتك محتلما وكهلاً وشيخاً، ثم يشهق ويبكي، إلى أن يخر مغشيا عليه.

وقال ابن السماك في بعض مواعظه: لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، ولقد ستر حتى كأنه غفر.

وقال أبو حازم: إذا رأيت الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُتابع نعمه عليك وأنت تعصيه، فاحذره.
وقال الحسن: ما بسطت الدنيا لأحد إلا اغتراراً.
وقال ابن المبارك: لا تقولوا: ما أجرأ فلاناً على الله؛ فإن الله أعز من أن يُجْتَرأ عليه، ولكن قولوا: ما غَرّ فلاناً بالله تعالى. فقال أبو سليمان الداراني: صدق ابن المبارك، الله أكرم من أن يُجترأ عليه، ولكن هانوا عليه فتركهم ومعاصيهم، ولو كرموا عليه لمنعهم منها.
وكان منصور بن عمار يقول في وعظه: ما أرى كبيرة تكبر عن عفو الله عَزَّ وَجَلَّ، فلا تيأسوا، وربّما أخذ الله على الصغيرة فلا تأمنوا.

باب في الذنوب

قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فإنما مثل محقّرات الذنوب كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ) [أحمد بسند صحيح]
وقالت عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْها-: من سره أن يسبق الدائب المجتهد، فليكف نفسه عن الذنوب؛ فإنكم لن تلقوا الله بشيء لكم خير من قلة الذنوب.
وقال ابن مسعود: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فطار.

وقال أبو سعيد الخدري: إنكم تعملون أعمالاً هي أدق عندكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الموبقات.

وأنشدوا

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى

كن مثل ماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن من الذنوب صغيرة إنَّ الجبال من الحصى

وقال كهمس بن الحسن: أذنبت ذنباً فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة قيل: وما هو يا أبا عبد الله؟ قال: زارني أخ، فاشتريت له سمكا فأكل، ثم قمت إلى حائط جار لي فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده.

وكان محمد بن واسع يقول: لو كان للذنوب ريح، ما جاورني أحد.

وقال أبو محمد المروزي: شقى إبليس بخمسة أشياء: لم يُقر بالذنب، ولم يندم عليه، ولم يلم نفسه، ولم ير التوبة واجبة، وقنط من رحمة الله.. وسعد آدم بخمسة أشياء: أقر بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وأسرع إلى التوبة، ولم يقنط من رحمة الله.

وقال سليمان التيمي: لو أتتني المغفرة من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لأهمني الحياء منه فيما أفضيت إليه.

وقال الأوزاعي للمنصور: أعيذك بالله أن يُخيّل إليك أن قرابتك من رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تنفعك من مخالفتك لأمره ونهيه، وقد قال: يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمة محمد، استوهبا أنفسكما من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، إني لا أغني عنكما من الله شيئا.

وكان أحمد بن حرب يقول: يا صاحب الذنوب، قد آن لك أن تتوب. يا صاحب الذنوب، أنت بها

في الديوان مكتوب. يا صاحب الذنوب، أنت بها في القبر غداً مكروب. يا صاحب الذنوب، أنت غداً بالذنب مطلوب. يا صاحب الذنوب، أنت بها في النار مسحوب.

وقال الضحاك بن مزاحم: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه، وذلك بأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول في محكم كتابه: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]، ونسيان القرآن من أعظم المصائب.

وقال زيد الحميري: قلت لثوبان الراهب: أخبرني عن لباس الرهبان السواد، ما المعنى فيه؟ فقال: لأنه أشبه شيء بلباس أهل المصائب، قلت: وكلكم معشر الرهبان قد أصيب بمصيبة؟ فقال: يرحمك الله، وأي مصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها، قال زيد: فلا أذكر قوله أبداً إلا أبكاني.

وسُئل ابن عباس عن رجل كثير الذنوب كثير العمل أحب إليك، أم رجل قليل الذنوب قليل العمل؟ فقال: ما أعدل بالسلامة شيئا.

ومر مالك بن دينار بعتبة الغلام في يوم برد شديد، وعلى عاتقه قميص خلق وهو قائم يتفكر ويرشح عرقاً، فقال مالك: ما الذي أوقفك في هذا الموضع؟ فقال: يا معلمي، هذا موضع عصيت الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيه.

وقال حماد بن زيد: إذا أذنب العبد بالليل، أصبح ومذلته في وجهه.

وقال يحيى بن معاذ: إلهي، طالما دعوتك بلساني على غفلة من جناني، وإني أدعوك اليوم قلقاً، ومشوي الفؤاد حرقاً، ومنقطع الغوث غرقا، رث الأحوال، مدوف [ضعيف] الأعمال، قد ضاقت بي حياتي وقابلتني

وفاتي، فارحم ضَنَى [مريض] قدرك وعليق نظرك، قطعة لحم سويتها جسداً، ولم تشارك في خلقها أحداً، ينطق فيها لسان ويظهر منها بيان، بجنين رضيض [ما دق من الحصى]، وأنين مريض، يخاف النار أن تشتعل في جسده، وعليل الويل أن يلصق بكبده، فهو يناديك من نشيط التوبة كالفرخ الممغوط، والجدي المسموط ضعفا، ويزحف زحفا طلبا للنجاة من جهد الجزع، يا ويل المتعلقين بأشطان الذنوب، والمغترين بعلام الغيوب، يا سيدي ومولاي وغايتي ورجائي وأملي ومناي، إن كان صوتي عندك ممقوتاً لأملأن فمي تراباً، وإن كان محبوباً ليزدادن ظمئي منه شراباً، يا سيدي ما أجدني أمل مناجاتك وإني على ما كان مني أتمنى ملاقاتك.

وأنشدوا في الذنوب:

لساني كليل وقلبي شديد وعيني بأدمعها لا تجود

ونفسي تنازعني بغيها ففي كل حين ذُنوبي تزيد

وعمري يبيد وأيامه علي بعصيان ربي شهود

وجسمي ضعيف فما حيلتي إذا قالت النار هل من مزيد

وكان الحسن بن أبي الحسن البصري يقول: يا ابن آدم، تريد أن تدخل الجنة على كثرة ذنوبك، إن أباك آدم أخرج منها بذنب واحد، ثم أنشأ يقول:

يا ناظراً يرنو بعيني راقد ومشاهدا للأمر غير مشاهد

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان بها وفوز العابد

ونسيت أن الله أخرج آدما منها إلى الدنيا بذنب واح

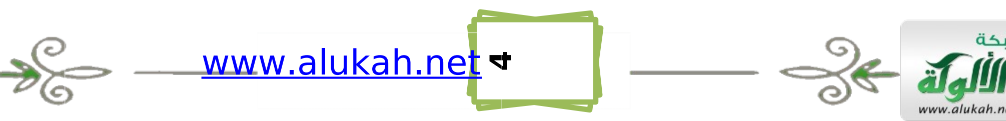
باب في الاعتراف

قال وهب بن منبه: لما أهبط الله -عَزَّ وَجَلَّ- آدم إلى الأرض، مكث لا ترقأ له دمعة، ولا تنقطع عنه عبرة، فاطلع الله جل وعز عليه في اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس رأسه، فأوحى الله إليه: يا آدم، ما هذا الجهد الذي أرى بك؟ قال آدم: يا رب، عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي، وأخرجت من ملكوت ربي، فصرت في دار الهوان بعد الكرامة، وفي دار الشقاء بعد السعادة، وفي دار النصب بعد الراحة، وفي دار البلاء بعد العافية، وفي دار الزوال بعد القرار، وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء، فكيف لا أبكي على خطيئتي، فأوحى الله -عَزَّ وَجَلَّ-: يا آدم، ألم أصطفيك لنفسي، وأحللتك داري، وخصصتك بكرامتي، وحذرتك من سخطي، ألم أخلقك بيدي، ونفخت فيك من روحي، وأسجدتُ لك ملائكتي، فعصيت أمري، ونسيت عهدي، وتعرضت لسخطي، فوعزتي لو ملأتُ الأرض رجالاً كلهم مثلك، يعبدوني ويسبحونني ثم عصوني، لأنزلتهم منازل العاصين، فبكى آدم عند ذلك ثلاثمائة سنة.

وقال وهب بن منبه: قرب رجل من بني إسرائيل قربانا فلم يتقبل منه، فرجع وهو يقول لنفسه: يا نفسُ مِنْ قِبَلِك أتيت، فنودي: مقتك لنفسك خير من عبادتك مئة سنة.

وقال إسحاق بن خلف: لقيت عمر الصوفي بمكة، فقلت له: أراجلاً جئت أم راكبا؟ فبكى، وقال: أما يرضى العبد العاصي أن يجيء إلى مولاه إلا راكبا.

وكان عبد الله البجلي يقول في بكائه عامة ليله: إلهي، أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي، وأنا الذي كلما هممت بترك خطيئتي، عرضت لي شهوة أخرى، واعبيداه، إن كانت النار



لـه مقيلا ومـأوى، واعبيـداه، إن كـانت المقـامع لرأسه تهيـأ، واعبيـداه، قضـيت حاجـة الطـالبين، ولعل حاجتك لا تقضى .

وقــال منصــور بن عمــار: ســمعتُ في بعض الليالي بالكوفة عابـداً ينـاجي ربـه، وهـو يقـول: وعزتك يـا رب مـا أردتُ بمعصـيتك مخالفتـك، ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل، لا لعقوبتك متعرض، ولا بنظـرك مسـتخف، ولكن سـولت لي نفسـي، وأعـانتني على ذلـك شـقوتي، وغـرني سترك المرخى علي، فعصيتك بجهلي، وخالفتـك بسوء فعلي، فمن من عذابك يستنقذني، وبحبـل من أعتصم إن قطعت حبلـك عـني؟ فـوا سَـوْآتاه من الوقـوف بين يـديك غـداً إذا قيـل للمخفين: جوزوا، وللمثقلين: حطوا، أفمـع المُخفّين أجُـوزُ أم مع المثقلين أحـط؟ ويلي، كلمـا كـبرت سـنّي كـثرت ذنـوبي، ويلي كلمـا طـال عمـري كـثرت معاصـي، فمن كم أتـوب وفي كم أعـود؟ أمـا آن لي أن أستحي من ربي؟

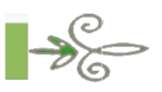
باب في التوبة

والتوبة فرض على كل مسـلم، وكـل من علم من نفسه ذنباً.

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-:

// ﴿وَتُوبُــوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعــاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُــونَ﴾ [النور: 31]

// ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا تُوبُـوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَـةً نَّصُــوحاً عَسَــى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَــيِّئَاتِكُمْ وَيُـدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ يَـوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ﴾ [التحـريم: 8]



// ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]

وروى مسلم عَنْ أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)

وروى أحمد بسند حسن عَنْ مَعْدِي كَرِبَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ: عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: (يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي فَإِنِّي سَأَغْفِرُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَلَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً، وَلَوْ عَمِلْتَ مِنَ الْخَطَايَا حَتَّى تَبْلُغَ عَنَانَ السَّمَاءِ مَا، لَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، لَغَفَرْتُ لَكَ، ثُمَّ لَا أُبَالِي).

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ("إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل الجنة). "ابن المبارك عن الحسن" مرسلا.

لأن الذنب مستجلب للتوبة والاستغفار الذي هو موقع محبة اللّه ﴿إن اللّه يحب التوابين﴾ واللّه لا يدخل من يحبه النار (يكون نصب عينيه) أي مستحضراً استحضاراً تاماً كأنه يشاهده أبداً تائباً إلى اللّه تعالى فاراً منه إليه حتى يدخل به الجنة لأنه كلما ذكره طار عقله حياء وحشمة من ربه حيث فعله وهو بمرأى منه ومسمع فيجد في توبته ويتضرع في إنابته بخاطر منكس وقلب حزين واللّه يحب كل قلب حزين كما في خبر، ومن أحبه أدخله جنته ورفع منزلته.

قال الداراني: ما عمل داود عملاً أنفع له من الخطيئة ما زال يهرب منها إلى اللّه حتى اتصل باللّه. وإنما يخلي اللّه بين المؤمن والذنب



ليوصله إلى هذه الدرجة ويحله هذه الرتبة فيجذبه إلى نفسه ويؤديه في كنفه ويصونه عمن سواه، ولا يعارض ما تقرر خبر الذنب شؤم لأنه شؤم على من لم يوفق للتوبة والإنابة.

وقال عبد الله بن عمر: من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه، محيت عنه في أم الكتاب.

وقال أبو الجوزاء: إن الرجل ليُحدث الذنب، فلا يزال نادماً حتى يدخل به الجنة، فيقول إبليس: يا ليتني لم أوقعه فيه.

وقال سعيد بن المسيب: أنزلت هذه الآية ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ في الرجل الذي يذنب، ثم يتوب، ثم يذنب، ثم يتوب.

وقال الفضيل بن عياض: قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: بشر المذنبين أنهم إن تابوا قبلت منهم، وحذر الصديقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبتهم.

وقال طلق بن حبيب: إنّ حقوق الله -عَزَّ وَجَلَّ- أعظم من أن يقوم بها العبد، وإن نعمة الله أكثر من أن تُحصى، ولكن أَصْبِحُوا تائبين وامسوا تائبين.

وقال الفضيل بن عياض: لا يُردُّ الجور بالسيف، وإنما يرد بالتوبة.

ويروى: أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أصاب ذنباً، فأوحى الله -عَزَّ وَجَلَّ- إليه: وعزتي لو عدت لأعذبنك، فقال: يارب، أنت أنت وأنا أنا، وعزتك لئن لم تعصمني لأعودن، فعصمه الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

ويُروى: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لما لعن إبليس سأله النَّظِرَة، فأنظره الله -عَزَّ وَجَلَّ- إلى يوم القيامة، فقال: وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح.

وقال الفضيل بن عياض: لما عاين قوم يونس العذاب، قام رجل فقال: اللهم إن ذنوبنا

عظمت وجلت، وأنت اللهم أعظم منهـا وأجـل، فافعـل بنـا مـا أنت أهلـه، ولا تفعل بنا ما نحن أهله، فكشف الله عنهم العذاب.

وقـال أبـو سـليمان الـداراني: إذا ذَكَـرْتُ الخطيئة لم أشته أن أموت، وقلت: أبقى لعلي أتوب، وإني لأرحم كل من يموت.

وكان يحيى بن معاذ يقول: إلهي خطيئتي تعذبني، وتوبتي تذوبني، فعيشي الدهر بين تعذيب وتذويب.

وكان الفضيل بن يزيد يقول: لا يلهينك الناس عن ذات نفسك؛ فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكيت وكيت؛ فإنه محفوظ عليك ما قلت، ولن ترى شيئاً أحسن ولا أشد استدراكا من توبة جديدة لذنب قديم.

وقال لقمان لابنه: يا بني، لا تؤخر التوبة؛ فإن الموت يأتي بغتة.

وقال حبيب بن أبي ثابت: تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة، فيمر بالذنب فيقول: أما إنّي قد كنتُ منك مشفقا، فيُغفر له.

ويروى: أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به: هل لي من توبة؟ فأعرض عنه ابن مسعود، ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان دموعاً، فقال له: إن للجنة ثمانية أبواب، كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة؛ فإن عليه ملكا موكلاً به لا يغلق، فاعمل ولا تيأس.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف كان أول إقبالك؟ فقال: خرجت أتصيد، فسمعت هاتفاً يقول: يا إبراهيم، ما بهذا أمرت ولا لهذا خُلقت، ثم تقرب الصوت إلى قربوس سرجي، فنزلت وعمدت إلى ثيابي فنزعتها، واشتريت جبة صوف، وتركت مالي وأهلي، وخرجت إلى مكة.

وقال عبد الرحمن بن القاسم: تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وإسلامه، وقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ﴾ [الأنفال: 38]، فقال: إني لأرجو أن يكون المسلم أحسن حالاً عند الله، ولقد بلغني أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام.

ويروى عن عبد الله بن سلام، أنه قال: لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل؛ إن العبد إذا عمل ذنباً، ثم ندم عليه طرفة عين، سقط عنه أسرع من طرفة عين.

وقال عمر بن الخطاب: اجلسوا إلى التوابين؛ فإنهم أرق أفئدة.

ويروى: أنه كان في بني إسرائيل شاب عابد، قد عبد الله عشرين سنة، ثم عصاه عشرين سنة، ثم نظر في المرآة، فرأى الشيب في لحيته، فساءه ذلك، فقال: إلهي، أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة؛ فإن رجعت إليك تقبلني؟ فسمع صوتاً من زاوية البيت ولم ير شخصا، وهو يقول: أحببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك، فإن رجعت إلينا قبلناك.

وأنشدوا في التوبة:

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهداً والموت ويحك لم يَمْدُد إليك يدا

فإنما المرء في الدنيا على خطر إن لم يكن ميتا في اليوم مات غدا

وقال أبو هاشم: أردتُ البصرة، فجئت إلى سفينة لأركب فيها، وفيها رجل معه جارية، فقال الرجل: ليس هاهنا موضع لك، فقالت الجارية: يا مولاي احمله فحملني، فلما رفع شراع السفينة، قال الرجل: علي بالغذاء، فوضع بين يديه، فقال: كلموا ذاك المسكين

يأكـل معنـا، فقـربت على أني مسـكين، فلمـا تغذينا، قال: يـا جاريـة، قـدمي شـرابك، ففعلت، فشـرب، ثم أمرهـا أن تسـقيني، فقلت: يرحمـك اللـه! إن للضـيف عليـك حـق، وإن هـذا شـيء يؤذيني، قال: فتركني، قـال: فلمـا دب الشـراب فيه، قال: يا جارية خذي العود، فأخذته وغنت

وكنا كغصني بانة ليس واحد يزول على الحالات عن رأي واحد

تبدل بي خلا فخاللت غيره وباعدته لما أراد تباعدي

فلو أن كفي لم تردني قطعتها ولم يصطحبها بعد ذلك ساعدي

ألا قبح الرحمن كل مماذق يكون أخا في الخفض لا في الشدائد.

قال: فالتفت إلي، وقال: أتحسـن مثـل هـذا؟ فقلت: نعم، وأحسـن منـه، فقـال لي: قـل، فقرأت عليه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، فقـال: ليس هذا أريد، قال: فتماديت حتى انتهيت إلى قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، فبكى، وقـال: يا جارية، اذهـبي فـأنتِ حُـرَّة لوجـه اللـه تعـالى، وأمر بإلقاء الشـراب في المـاء وكسـر العـود ثم قام إلي، فاعتنقني، وقال لي: يا أخي أترى الله يقبل توبتي؟ فقلت: نعم إن شاء الله؛ لأنـه -عَـزَّ وَجَلَّ-: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، قـال: ثم أقبل على العبادة إلى أن مات.

قال أبو هاشم: ولقد رأيته في منامي، فقلت لـه: يـا أخي، إلى مـا صـرت بعـدي؟ فقـال: إلى الجنـة، فقلت: بم صـرت إليهـا؟ قـال: بقراءتـك علي: ﴿وَإِذَا الصُّـحُفُ نُشِـرَتْ﴾، وسـماعي لهـا وتوبتي.

وقـال أبـو العبـاس الزبيـدي: كـانت عنـدنا بالمدينـة امـرأة من المجتهـدات في العبـادة والمـبرزات في الزهـادة، وكـان لهـا ابن يسـحب

رمسه في البطالة، ويجر أذياله في الجهالة، وكان شاعراً ملهيا مجاناً، يُنادم الأمراء وينافس في مجالس الكبراء، فقالت له أمه: يا بني، احذر مصارع الجهال، ووقوع عثرة الانتقال، ونزول ملك الموت بالخطر العظيم والهول الجسيم، وكانت تكرر عليه بالموعظة، فيقول لها: يا أمه، أسأل الله من أفضاله توبة تنقل من قوم إلى قوم.

قال أبو العباس: فقدم علينا أبو عامر الواعظ، فاجتمع إليه إخوانه في مسجد رسول الله، فقرأ عليهم آيات من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ثم أخذ في الوعظ، فخوف وحذر وبشر وأنذر، حتى كادت القلوب تطير فرقاً من النار، وتميل إلى الجنة شوقاً، وكان الفتى ابن المرأة ممن شهد ذلك المجلس، فانصرف وقد كسرت الموعظة قلبه، فقال لأمه: يا أمه، دونك وما تريدين من كسر آلة الشيطان، وأداة المُجان، وما كنت أعددته للجهالة واللهو والبطالة، وأخبرها بمشاهدة مجلس أبي عامر، فقالت: يا بني، الحمد لله، إني لأرجو أن يكون الله قد رحم فيك بكائي، وأجاب فيك دعائي، فكيف رأيت يا بني الواعظ، وكيف قبولك لوعظه، فأنشأ يقول:

شمرت للتوبة أذيالي وصرت ذا طوع لعذالي
لما دعا الواعظ قلبي إلى طاعة ربي حل أقفالي
يا أمه هل يقبلني سيدي على الذي قد كان من حالي
وا سوأتاه إن ردني خائبا لم يرض عني حين إقبالي

قال أبو العباس: ثم أقبل الفتى على صيام النهار وقيام الليل، حتى ظهر ذلك عليه، وأخذ من جسمه، فأتته أمه يوماً بقدح فيه سويق، وقالت: يا بني، أقسمت عليك إلا شربته، فلما

صار القدح بيده، ذكر هذه الآية: ﴿يَتَجَرَّعُهُ، وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ فجعل يبكي ويضطرب، ثم صاح صيحة خرجت فيها نفسه، وعاش أبو عامر بعده زماناً، ثم مات، فرأت المرأة ابنها في المنام، فقالت له: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لي وقبل توبتي، فقالت: يا بني، فإن أبا عامر الواعظ الذي وهب الله لك في مجلسه ما وهب قد مات، فما فعل الله به؟ فأنشدها:

حل ورب الناس في قبة من لؤلؤ من غير أساس

فيها جواري كالدمى نهد يسقينه بالطاس والكاس

يقلن بالترخيم خذها فقد سوّغتها يا واعظ الناس

باب في الاستغفار

روى أحمد بسند صحيح عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدِيثًا نَفَعَنِي اللهُ بِمَا شَاءَ مِنْهُ، وَإِذَا حَدَّثَنِي عَنْهُ غَيْرِي اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حَدَّثَنِي -وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، قَالَ مِسْعَرٌ: وَيُصَلِّي، وَقَالَ سُفْيَانُ : ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَيَسْتَغْفِرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا غُفِرَ لَهُ)

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا



يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالـذَّنْبِ ثُمَّ عَـادَ فَـأَذْنَبَ فَقَـالَ أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَـالَى أَذْنَبَ عَبْـدِي ذَنْبًـا فَعَلِمَ أَنَّ لَـهُ رَبًّا يَغْفِـرُ الـذَّنْبَ وَيَأْخُـذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ

وقال خَالِد بْن مَعْدَانَ: قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: إن أحب عبادي إلي المتحابون بحبي، والمعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، أولئك الذين إذا أردت
أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم، فصرفت العقوبة عنهم بهم.

وقال قتادة: القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم؛ أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار.

وقالت عائشة: طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً.

وقال علي بن أبي طالب: العجب لمن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هو؟ قال: الاستغفار.

وكان يقال: ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يُعَذِّبه.

وقال الفضيل بن عياض: قول العبد: أستغفر الله، تفسيرها: أقلني.

وقال الفضيل: استغفار بلا إقلاع، توبة الكذابين.

وقالت رابعة: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير.

وقال بعض العلماء: العبد بين نعمة وذنب، لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار.

وقال الربيع بن خثيم: ليقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه، فيكون ذنباً
وكذبة إن لم يفعل، ولكن ليقل: اللهم اغفر لي وتب علي.

وقال بعض الحكماء: من قدم الاستغفار على الندم، كان مستهزئا بالله وهو لا يعلم.




وسُمع أعرابي وهو يقول، وهو متعلق بأستار الكعبة: اللهم إن إصراري مع استغفاري للؤم، وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعد وفي،
وإذا توعد عفا، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين.

وقال أبو الجوزاء: صَحِبْتُ ابن عباس اثنا عشر سنة، فما بقي في كتاب الله تعالى آية إلا سألته عنها، فما سمعت في كتاب الله تعالى ولا عن أحدٍ من العلماء؛ أنَّ
الله -عَزَّ وَجَلَّ- قال: إن الذنب لا أغفره.

وقال أبو عبد الله الوراق: لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا،
لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصاً، إن شاء الله، وهو: اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه، ثم عدت إليه، وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي، ثم لم أوف لك به، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك، ثم خالطه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي، فاستعنت بها على معاصيك،
وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل
وفي ملا وخلاء، وسر وعلانية، يا حليم يا كريم.

وَيُرْوَى: أنَّ أفضل الاستغفار: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء إليك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي على نفسي لك، وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت، وما أسررت منها وما أعلنت، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

باب في الرجاء

قال الإمام مسلم في صحيحه: «بَاب فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ»:

// عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)

// عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي)

// عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)

// عن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ).

// عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

// عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ).

// عَنْ سَلْمَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً

فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ)

// عن زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ تَبْتَغِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟) قُلْنَا لَا وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا)

// عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)

// عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لِأَهْلِهِ إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ)

وقال عبيد بن عمير: مكتوب في الزبور: يا ابن آدم، إنك ما عبدتني ورجوتني، لأغفرن لك على ما كان فيك ولا أبالي.

وقال: يؤتى يوم القيامة بشيخ من أمتي، له من الذنوب كقدر رمل عالج، فيوقف بين يدي الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فيقول: انطلقوا به إلى النار، فيلتفت العبد، فيقول الله تعالى: ردّوه، فيقول

له: ما التفاتك؟ فيقول العبد: يا رب، تسألني عن شيء أنت أعلم به مني؛ خرجت من دار الدنيا فبُشِّرتُ بالنار، وما انقطع رجائي منك، وأمرت بي إلى النار وما انقطع رجائي منك، فيقول الله تعالى للملائكة: ردّوه، فوعزتي وجلالي، ما كان هذا ظن عبدي ولا رجاؤه في، ولكن هذا دعوى ادعاها علي الساعة، اشهدوا يا ملائكتي أني قد قبلت دعوى عبدي وغفرت له.

وقال يحيى بن معاذ: رجاء المؤمن أكثر من خوفه، ولا يكون قلقاً؛ وذلك لأن مستقى الخوف من بحر الغضب، ومستقى الرجاء من بحر الرحمة، وقد سبق من قضائه أن رحمته سبقت غضبه.

وقال الأصمعي: كان رجلٌ يُحدّث بأهوال يوم القيامة، وأعرابي جالس يسمع، فقال الأعرابي: يا هذا، من يلي هذا بين العباد؟ قال: الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فقال الأعرابي: الله أكبر، إن الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح.

وقال الفضيل: الخوف ما دام الرجل صحيحاً أفضل؛ فإذا نزل الموت به فالرجاء أفضل.

وقيل ليحيى بن معاذ: ما بال المسلم يرى أن يطلع الله على ذنبه، أحب إليه من أن يطلع عليه الخَلْق، أمن هوان منه بربه أم لا؟ فقال: بل من معرفته بكرمه -عَزَّ وَجَلَّ-، وجُوده، ورأفته.

وكان يحيى بن معاذ إذا قرأ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 44]، يقول: إلهي، هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله.

وقال الحسن بن محمد: يُحاسب الله المسلمين يوم القيامة بالمنة والفضل والكفار بالحجة والعدل.

وقال أبو حازم: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو؛ فإن موسى
خرج مقتبسا ناراً، فنودي بالنبوة.
وقيل في هذا المعنى:

أيها العبد كن لما لست ترجوه من نجاح أرجى لما أنت راج
إن موسى مضى ليقبس ناراً من ضياء رآه والليل داج
فأتى أهله وقد كلم الله وناجاه وهو خير مناج
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد دنت منه راحة الانفراج

وأنشدوا في الرجاء:

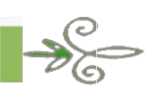
منك أرجو ولست أعرف ربا يرتجى منه بعض ما منك أرجو
وإذا اشتدت الشدائد في الأرض على الخلق فاستغاثوا وعجوا
وابتليت العباد بالخوف والجوع أصروا على الذنوب ولجوا
لم يكن لي سواك ربي ملاذ وتيقنت أنني بك أنجـو

وقال غيره:

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع

باب في وساوس الشيطان وعداوته

قال الإمام مسلم في صحيحه: «بَابِ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا»
// عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)




// عَنْ جَابِرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ) قَالَ الْأَعْمَشُ أُرَاهُ قَالَ فَيَلْتَزِمُهُ

// عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ)

// عن عُرْوَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ فَغِرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ فَقُلْتُ وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ

وقال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه بغيرهن: إذا أعجب بنفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه.

عن ثابت البناني رحمه الله قال: بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال يحيى يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك قال هذه الشهوات التي أصيد بها ابن آدم قال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن






الصلاة وثقلناك عن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا والله قال لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبدا قال إبليس ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا.

وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: بلغني أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: إن إبليس لما رأى آدم أجوف قال : وعزتك لا أخرج من جوفه ما دام فيه الروح . فقال الله تبارك وتعالى : وعزتي لا أحول بينه وبين التوبة ما دام الروح فيه.

قال ابن عباس: من بات سكرانا، بات للشيطان عروسا.

وقال وهب بن منبه: اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية، وأنت صديقه في السر.

وقال أبو حازم: ما الدنيا؟ وما إبليس؟ أما الدنيا؛ فما مضى فحلم، وما بقي فأماني وغرور، وأما إبليس؛ فو الله لقد أطيع فما نفع، ولقد عُصي فما ضر.

وقال عبد الله بن أبي نوح: يا عجباً كل العجب لمن يعصي المحسن بعد معرفته بإحسانه، ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه.

وكان محمد بن واسع يغلس إلى مسجد البصرة، فتمثل له إبليس في صورة إنسان يحمل السراج بين يديه في ليلة مطيرة، ليفتنه بذلك، فأشرفت عليه امرأة، فقالت: ما أقسى قلب هذا الشيخ، يكلف هذا حمل السراج في مثل هذه الليلة، فسمعها محمد بن واسع، فقال: دعيه يشقى أشقاه الله، قال: فطفئ السراج، فلم يره بعد.

وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح: اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا، مطلعاً على عوراتنا، يرانا هو وقبيله من




حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما أيسْتَه من رحمتك، وقنّطه منا كما قنطته من عفوك، وأبعد بيننا وبينه كما أبعدت بينه وبين جنتك، إنك على ما تشاء قدير.

قال: فتمثل له اللعين يوماً في طريق المسجد، فقال له: يا ابن واسع هل تعرفني؟ قال له: ومن أنت؟ قال: هو اللعين إبليس، قال: وما تريد؟ قال: أريد أن لا تُعلّم أحداً هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك أبداً، فقال له ابن واسع: والله لا منعتها مِمَّن أرادها، فاصنع الآن ما شئت.

وقيل: إن إبليس استقبل عيسى على عتبة بيت المقدس، فقال: يا روح الله، قل: لا إله إلا الله، فقال له عيسى: كلمة حق ولا أقولها بقولك.

وقال كعب الأحبار: ذاكرُ الله -عَزَّ وَجَلَّ- في جنب الشيطان، كالأكلة في جنب ابن آدم.

وقال ابن عباس: إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم؛ فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خَنَس.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: جاورت هذا البيت ستين سنة، وحججت ستين سنة، فما دخلت في شيء من أعمال البر، ثم خرجت منه فحاسبت نفسي، إلا وجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله، ليته لا لي ولا علي.

وقال كعب الأحبار: حصون المؤمن من الشيطان ثلاثة؛ ذكر الله، وقراءة القرآن، والمسجد.

وكان يحيى بن معاذ يقول: اللهم إن إبليس لك عدو ولنا عدو، وإنك لا تغيظه بشيء أنكى له من عفوك عنا، فاعف عنا يا أرحم الراحمين.




وقال حاتم الأصم: ما من صباح ولا مساء إلا والشيطان يقول لي: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

وقال سفيان: ليس للشيطان سلاح على العبد أشد من خوف الفقر؛ فإذا قبل ذلك منه، أخذ من الباطل، ومنع من الحق، وتكلم بالهوى، وظن بربه ظن السوء.

وقال وهب بن منبه: تبدى إبليس لعابد من العباد، فقال له العابد: ما أوثق ما في نفسك أن تضلّ به ابن آدم؟ قال: ثلاثة أخلاق؛ الشح، والحدة، والسكر، فمن كان فيه أحد هذه الثلاثة لم أيأس منه.

ويُروى: أن إبليس قال: إلهي، أين بيتي؟ قال: الحمام، قال: فما مصائدي؟ قال: النساء، قال: فما كتابي؟ قال: الوشم، قال: فما مزاميري؟ قال: الشعر، قال فأين مجالسي؟ قال: الأسواق.

وقال وهب بن منبه: إن إبليس لقي يحيى بن زكرياء عليهما السلام، فقال يحيى: أخبرني عن طبائع بني آدم عندكم؟ قال: ثلاثة أصناف؛ صنف منهم مثلك معصوم، لا أقدر منهم على شيء، وصنف ثاني هم في أيدينا كالكرة في أيدي الصبيان وقد كفونا أنفسهم، وصنف ثالث: هم أشد الأصناف علينا، تقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا، ثم يفزع إلى الاستغفار، فيفسد علينا عملنا وما أدركناه منه، فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه ما نريد.

وقال ابن وضاح في حديث ذكره: أنه إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب، مسح الشيطان بيده على وجهه، وقال: بأبي، وجه لا يفلح أبداً.

وأنشدوا في هذا المعنى:

أنت في الأربعين مثلك في العشرين قل لي متى يكون الفلاح؟

باب في العبادة

روى أحمد عن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ) [حسن بشواهده]

وفي رواية البزار بسند ضعيف عن جابر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ وَلَا تُبْغِضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى)

(إن هذا الدين متين) أي صلب شديد (فأوغلوا) أي سيروا (فيه برفق) من غير تكلف ولا تحملوا على أنفسكم ما لا تطيقونه فتعجزوا وتتركوا العمل، والإيغال -كما في النهاية-: السير الشديد، والوغول الدخول في الشيء اهـ

وقال الغزالي: أراد بهذا الحديث أن لا يكلف نفسه في أعماله الدينية ما يخالف العادة بل يكون بتلطف وتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبدل فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئاً فشيئاً حتى تنفصم تلك الصفات المذمومة الراسخة فيه ومن لم يراع التدريج وتوغل دفعة واحدة ترقى إلى حالة تشق عليه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوباً عنده ممقوتاً وما كان مكروهاً عنده مشرباً هنيئاً لا ينفر عنه وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فإن الصبي يحمل على التعليم ابتداء قهراً فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم.



(فإن المنبت) وهو الذي انقطع به في السفر وعطلت راحلته ولم يقض وطره (لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) أي فلا هو قطع الأرض التي يممها ولا هو أبقى ظهره ينفعه

فكذا من تكلف من العبادة ما لا يطيق فيكره التشديد في العبادة لذلك،، ويقال للمنقطع به في سفره منبت من البت وهو القطع.

قال ابن الجوزي : بدأ الشرائع كان علي التخفيف ولا يعرف في شرع نوح وصالح وإبراهيم عليهم السلام تثقيل ثم جاء موسى عليه السلام بالتشديد والأثقال وجاء عيسى عليه السلام بنحوه وجاءت شريعة نبينا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بنسخ تشديد أهل الكتاب ولا تنطق بتسهيل من كان قبلهم فهي على غاية الاعتدال.

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْها-: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ) [متفق عليه]

وفي الصحيحين عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ»، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «إِنِّي لَسْتُ فِي ذَلِكَ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَاكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا لَكُمْ بِهِ طَاقَةٌ».

وفي الحديث القدسي الذي رواه البخاري، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ربه تبارك وتعالى: (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)

وقالت عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْها-: كان أحب العمل إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي يدوم عليه صاحبه.

وقال عبد الله بن مسعود: أد ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس، واجتنب ما نهاك الله عنه تكن من أورع الناس، وارْضَ بما قسم الله لك تكن من أقنع الناس.

وقال الفضيل بن عياض: لا يتقرب العبد بشيء إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- أفضل مما افترض عليه، ولا يقبل الله منه نافلة حتى يؤدي الفريضة؛ إنما الفرائض رؤوس الأموال والنوافل الأرباح.

وقال أبو عبيدة: ما رأيت أحداً أشدّ تلطفاً للعبادة من الربيع بن خثيم.

وقال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولم يقل: أكثر عملاً.

وقال: من أخلص العبادة أربعين يوما، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

وقيل: العبادة الفراغ.

وقيل: العبادة مسابقة الهموم إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- قبل الأفعال.

وقيل: العبادة إقبال العبد على ربه، وشغله بذكره.

وقال أبو سليمان الداراني: إذا التذَتْ لك القراءة فلا تركع ولا تسجد، وإذا التذ لك الركوع فلا تقرأ ولا تسجد، وإذا التذ لك السجود فلا تقرأ ولا تركع، الأمر الذي يُفتح لك فيه فالزمه، أرأيت إنسانا يطلب شيئاً، فإذا وجده تركه وهو يطلبه.

وسئل بعض الحكماء: عن رجل عبد الله خوفاً من النار، فقال: شيء
وليس بشيء، قيل: فرجل عبد الله شوقاً إلى الجنة، فقال: شيء وليس بشيء، قيل له: وكيف العبادة؟ قال: أن تعبد الله حتى يرضى.

باب في الأولياء وكراماتهم .

روى أحمد عن عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: (الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا، ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى) ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ) [حسن بشواهده]

يعني أن رؤيتهم مذكرة باللّه تعالى وبذكره لما يعلوهم من البهاء والإشراق وحسن الهيئة وحسن السمت، (وشرار أمتي المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البرآء العنت) في النهاية: العنت المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والزنا والحديث يحتمل كلها والبرآء جمع بريئ وهو العنت منصوبان مفعولان للباغون وبغيت الشيء طلبته.

وقال يوسف بن يعقوب الحنفي: يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ- لأوليائه يوم القيامة: طال ما لحظتكم في الدنيا، وقد غارت أعينكم، وقلصت شفاهكم، واصفرت ألوانكم، فتعاطوا الكأس فيما بينكم، وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية.

وقال الحسن: لولا الصالحون لفسدت الأرض، ولولا العلماء لصار الناس مثل البهائم، ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضاً، ولولا الحمقى لخربت الدنيا، ولولا الريح لنتن ما بين السماء والأرض.

وقال يحيى بن معاذ: وَلِيُّ الله ريحان في الأرض؛ فإذا شمه المريدون وصلت رائحته إلى قلوبهم، فيشتاقون به إلى ربهم، فمجالستك إياهم تُلهيك عن الأهل والمال، وتشغلك عن جميع الأشغال.

ويُروى: أن عبد الله بن شقيق كان إذا مرت به سحابة فيقول: أقسمت
عليك أن لا تجاوزي حتى تمطري، فتمطر.

ويُروى: أن عامر بن عبد الله كان قد سأل الله أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء وله بخار، وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه، فكان لا يبالي أذكراً لقي أم أنثى، وسأل ربه أن يمنع من قلبه الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه.

ويروى عن عامر بن عبد قيس: أنه كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف
ثوبه، فلا يلقى أحداً من المساكين إلا أعطاه، وإذا دخل بيته رمى به إليهم،
فيعدونها، فيجدونها سواء كما أُعطيها.

ويروى: أن الحجاج بلغه أن عبد الرحمن بن أبي نعيم لا يطعم إلا في أربعة
عشر يوماً، فدعاه وحبسه في بيت خمسة عشر يوماً، وقد أغلق عليه بابه، ثم فتح الباب فوجده قائماً يصلي.

ويُروى عن حارثة بن النعمان، وكان من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أنه كان إذا جاء الهلال، وسأله أهله نفقتهم، قال لابنه يا بني، ارفع الفراش وخذ ما تحته فكان يرفعه فيجد تحته من الدراهم ما يكفيهم
لشهرهم، ولقد كان لخياط عليهم سبعة دراهم، فألح عليهم فيها، فقال له ابنه يا أبتاه، من أين نعطي الخياط، فقال: يا بني، من تحت الفراش، فوجد تحته سبعة دراهم، فأخذها وأعطاها الخياط.





باب في قيام الليل

وقد ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- قُوّام الليل، فأثنى عليهم في محكم كتابه في غير موضع، فقال:

﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات 17]

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: 16]

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾ [الفرقان: 64]

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: 9]

وفي البخاري عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ).

وقال المغيرة بن شعبة: قام رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى تفطرت قدماه دما، فقالوا: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أكون عبداً شكوراً)

وفي صحيح ابن حبان عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ

مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ، فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ آخَرُ، فقَالَ لِي: لَنْ تُرَاعَ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا). قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا.

قال نافع: كان عبد الله يصلي الليل، ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فأقول: لا، فيقوم إلى صلاته، ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: لا، فيقوم إلى صلاته، ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: نعم، فيقعد يستغفر الله حتى يطلع الفجر.

ويروى: أن عمر بن الخطاب كان يمر بالآية من ورده، فيسقط حتى يُعاد منها أياماً كثيرة، كما يُعاد المريض.

ويُروى عن عمر: أنه قال لمعاوية بن خديج: يا معاوية، لئن نمت الليل لأضيعن نفسي، وإن نمت النهار لأضيعن الرعية، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية.

وكان عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إذا هدأت العيون، قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح.

وكان طاووس يفرش فراشه، فيضطجع عليه، فيتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلاة، ثم يثب منه فيدرجه، ويصلي إلى الصبح، ثم يقول: طَرَدَ ذكر جهنم نوم العابدين.

ويقال: إن سفيان الثوري أكل ليلة حتى شبع، ثم قال: إن الحمار إذا زيد في علفه زاد في عمله، فقام يُصلّي إلى الصبح.





وكان شداد بن أويس رحمه الله، إذا دخل فراشه صار مثل الحبة في المقلاة
وكان يقول: اللهم إن النار قد منعتني النوم، ثم يقوم إلى الصلاة.

ويروى: أن بعض الصالحين قدم من سفر، فمهدت له امرأته فراشا، فنام
عليه، وكانت له ساعة من الليل فيها، فنام عنها، فلما أصبح حلف ألا ينام على فراش أبداً.

وكان عبد العزيز بن أبي روّاد إذا جنّ عليه الليل يأتي فراشه، فيجر يده عليه
ويقول: والله إنك للين، وفراش في الجنة ألين منك، فلا يزال يصلّي الليل كله.

وكان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج ليلاً، فيقف على القبور، فيقول: يا أهل القبور، لقد طويت الصحف، لقد رفعت الأعمال، ثم يبكي، ثم يصف قدميه يصلي
الليل كله، ثم يرجع فيشهد صلاة الصبح.

*وقال الفضيل: إنّي لأستقبل الليل من أوله، فيهولني طوله، فأفتتح القرآن
فأصبح وما قضيت نهمتي.

وقال أبو حازم: ما مرت بي ليلة، إلا وأنا غير منقضي نهمتي.

وقال الحسن: إنّ الرجل ليذنب الذنب، فيحرم به قيام الليل.

وقال الفضيل: إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل، فاعلم أنك محروم، وقد كثرت خطيئتك.

وقال أبو الأحوص: إن كان الرجل ليطرق البيت والفسطاط، فيسمع فيه
دويا كدوي النحل، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون.

وكان صلة بن أَشْيَم يُصلّي الليل كله، فإذا كان في السحر قال: «إلهي، ليس مثلي يسألك الجنة، ولكن أجرني من النار برحمتك».
وقال رجل لبعض الحكماء: إنّي لأضعف عن قيام الليل، فقال له: يا
أخي لا تعص الله بالنهار، ولا تقم الليل.
وكان بعض الصالحين يطيل القيام والسهر، فإذا كان آخر الليل يقول: اللهم قد خلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوتُ بك، فما أنت صانع في حاجتي يا محبوب؟
وكان حسن بن صالح، وأخوه علي بن صالح، وأمهما يختمون القرآن كل
ليلة، ثم ماتت أمهما، فكان الحسن وعلي يقومان بالقرآن في كل ليلة، ثم مات علي فكان الحسن يقوم به كل ليلة.
وباع حسن بن صالح جارية له لقوم، فلما كان في جوف الليل، قامت
الجارية، فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة، وقالوا لها: أصبحنا، وهل طلع
الفجر؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟! فرجعت إلى الحسن، فقالت: يا مولاي بعتني على قوم لا يصلون إلا المكتوبة، ولا يصلون بالليل، فردني، فردها.
وقال أبو سليمان الداراني: أهل الطاعة بليلهم ألذ من أهل اللهو بلهوهم،
وربما استقبلني الفرح في جوف الليل، وربما رأيتُ القلب يضحك ضحكا.
وقال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان الداراني وهو يبكي، فقلت له: وما يبكيك؟ فقال لي: يا أحمد، إنه إذا جنّ الليل، وهدأت العيون، وأنس كل خليل بخليله، وافترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم أشرف الجليل عليهم، فقال: ما هذا

البكاء الذي أراه منكم؟هل أخبركم أحد أن حبيباً يُعذب أحباءه؟ أم كيف أُبَيّتُ أقواماً فأجدهم عند البيات وقوفا يتلقوني؟ فبي حلفت أن أكشف لهم يوم القيامة عن وجهي حتى ينظروا إلي.

وقال سفيان الثوري: عليك بقلة الطعام، تملك سهر الليل.

وقال ثابت البناني: إذا نمت، ثم استيقظت، ثم ذهبت أعود إلى النوم، فلا نامت عيني أبداً.

وقال عبد الرحمن بن يزيد: كنا نعود عطاء الخراساني، وكان يُحيي الليل كله؛ فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثر من ذلك، نادى يا عبد الرحمن بن يزيد، ويا فلان، ويا فلان؛ قوموا فتوضؤوا وصلوا؛ فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار، أيسر من شرب الصديد ومقطعات الحديد، فالوحا الوحا، والنجاء النجاء.

وقال أبو الجويرية: لقد صحبت أبا حنيفة - رحمه الله- ستة أشهر، فما فيها ليلة وضع جنبه.

وقيل: إن أبا حنيفة مر يوماً بقوم، فقال بعضهم لبعض: هذا يُحيي الليل كله، فسمعه أبو حنيفة، وكان قبل ذلك يُحيي من الليل نصفه، فقال: أراني أُوصَفُ بما لا أفعل، فكان بعد ذلك يُحيي الليل كله.

ويروى: أنه ما كان لأبي حنيفة فراش بالليل.

وقال سفيان بن عيينة: ما رأيتُ أحداً أوْرَعَ من أبي حنيفة.

وقال الفضيل بن عياض: ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: كذب من ادعى محبتي، فإذا جَنَّه الليل نام عني، أليس كل حبيب يُحبُّ خلوة حبيبه؟ فها أنا ذا مطلع على أحبابي، إذا هجم الليل مثلت نفسي بين أعينهم، فخاطبوني




بالمشاهدة، وكلموني على حضوري، وغداً أقر أعينهم في جنتي.

وقال بعض العلماء: بلغني أن الرجل إذا قام من الليل إلى الصلاة، ضحك الله إليه، وقال للملائكة: ما حمل عبدي على أن قام من بين أهل داره يصلي؟ فيقولون: يا ربنا، خوفته أمراً فخافه، ورجيته أمراً فرجاه، فيقول تبارك وتعالى:
أشهدكم أني قد أعطيته ما رجى، وأمنته ما يخاف.

ويُروى: أن مالك بن دينار قام يُردّد هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: 21] ليلة حتى أصبح.

وقال المغيرة بن حبيب: رمقت مالك بن دينار يتوضأ بعد العشاء، ثم قام إلى مصلاه، فقبض على لحيته، فخنقته العبرة، وجعل يقول: اللهم حرم شيبة مالك على النار، إلهي علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين مالك، وأي الدارين دار مالك، فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر.

ويقال: إن مالك بن دينار نام ليلة، فسمع هاتفا في نومه يقول:

يا راقداً والحبيب يحفظه من كل سوء في وحشة الظلم
كيف ينام المحب عن مَلِكٍ تأتيه منه فوائد النعم.

وقال مالك بن دينار: كان لي ورد أقرأه كل ليلة، فسهوت ذات ليلة عنه، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون، وفي يدها رقعة، فقالت لي: أتحسن تقرأ؟





فقلت: نعم، فدفعت إلي الرقعة، فإذا فيها مكتوب

أألهتك اللذائذ والأماني عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن

وقال المغيرة بن هشام: دخلتُ عَبَّادَان، فنزلت في سفل الدار، ونزل عبد الواحد بن زيد في علو الدار، فكان إذا جنّه الليل أشرف علينا يقول: يا من يصيرون إلى الديدان تيقظوا من رقدة الوسنان.

ثم يقبل على صلاته، ثم يُشرف علينا، فيقول: يا من يصيرون إلى التراب ما هكذا الموقن بالثواب.

ثم يقبل على صلاته، ثم يُشرف علينا، فيقول: يا من يصيرون إلى المقابر ما هكذا فعل اللبيب الحاذر.

ثم يقبل على صلاته، ثم يُشرف علينا، فيقول: ألا فتى يسمع ما أقول فيحسن الخدمة للمأمول

ثم يقبل على صلاته ثم يُشرف علينا، فيقول: ألا فتى يهوى لقاء حبيبه أذابه الشوق على تعذيبه

حتى إذا أحس بطلوع الفجر، أشرف علينا فيقول:

طال اشتياقي وطالت في الدجى فكري والليل ماض ولم ينقضي وطري

الله يعلم أني لا أحب بقاء في هذه الدار فانقلني إلى حفري

قال المغيرة: فأقمنا بها شهراً، وكان هذا دأبه حتى خرجنا

ويُروى: أنه كان بالبصرة غلام يقال له: صهيب، فكان يقوم الليل كله فقالت له سيّدته يا صهيب، إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار، فقال لها: يا سيدتي، إن صهيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم.

وكان بالبصرة غلام يقال له: خيران، يقوم الليل كله، فقالت له سيّدته يا خيران، إن قيامك هذا قد أذاني، فقال: يا سيدتي، إذا ذكرت النار اشتد خوفي، وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي، فما أقدر أن أنام.

ويُروى: أن أزهر بن مغيث، وكان من القوامين، أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: الحوراء، فقلت: زوجيني نفسك؟ فقالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني، قلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد.

ويُروى عن العلاء بن زياد: أنه كان يختم كل ليلة ختمة، فقال لامرأته في بعض الليالي: إني أجد الليلة فترة، فإذا مضى من الليل قدراً سماه لها، فأيقظيني، قال: فلما أيقظته للوقت، وجد ثقلاً، فقال لها: دعيني ساعة، ثم نام، فأتاه آت في منامه فأخذ بمقدم رأسه، وقال: قم يا ابن زياد، فاذكر ربك يذكرك، قال: فقام فزعاً مرعوباً، فلم تزل تلك الشعرات من مقدم رأسه قياماً إلى أن مات، وإنهن لقيام.

باب في الخلوة والعزلة والخمول

روى الإمام أحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَجَاةُ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: (يَا عُقْبَةُ، احْرُسْ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ).




قَالَ: ثُمَّ لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَابْتَدَأَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: (يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ الْعَظِيمِ؟) قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: (فَأَقْرَأَنِي قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثُمَّ قَالَ: (يَا عُقْبَةُ، لَا تَنْسَاهُنَّ، وَلَا تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ) قَالَ: فَمَا نَسِيتُهُنَّ قَطُّ مُنْذُ قَالَ: لَا تَنْسَاهُنَّ، وَمَا بِتُّ لَيْلَةً قَطُّ حَتَّى أَقْرَأَهُنَّ.

قَالَ عُقْبَةُ: ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ. فَقَالَ: (يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) [حسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند]

// وفي رواية الترمذي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: (امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ): «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»

وفي رواية: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ)

وقال بعض الحكماء: لا يتمكن أحد من الخلوة، إلا بالتمسك بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والمتمسكون بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله، الذاكرون لله عاشوا بذكر الله، وماتوا بذكر الله، حتى لقوا الله بالله.

وقال مكحول الدمشقي: إن كان في مجالسة الناس خير، فالعزلة أسلم.

وكان سفيان الثوري يقول: هذا زمان السكوت ولزوم البيوت.

وقيل لعمر بن عبد العزيز: لو تفرغت لنا؟ فقال: ذهب الفراغ، فلا فراغ إلا عند الله تعالى.

وقيل لبعض الحكماء: ما أرادوا بالخلوة والعزلة؟ قال: ليستدعوا بذلك دوام الفكرة، وتثبت في قلوبهم، ليحيوا حياة طيبة، ويذوقوا حلاوة لذائذ المعرفة.

وقال محمد بن سيرين لرجل، وهو يُوصيه: إن استطعت أن تعرف ولا تعرف، وتسأل ولا تُسأل، وتمشي ولا يمشى إليك، فافعل.

وقال بعض العلماء: ما أحب الله عبداً، إلا أحب أن لا يُشعر به.

وقيل: إن الحسن أراد الحج، فقال له ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ: بلغني أنك تريد الحج وأحببت أن نصطحب، فقال له الحسن: ويحك، دعنا نتعاشر بستر الله تعالى، إني أخاف أن نصطحب، فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه.

وقال الفضيل بن عياض: إني لأجد للرجل عندي يداً، إذا لقيني ألا يُسلّم علي، وإذا مرضت ألا يعودني.

وقيل: إن الفضيل بن عياض كان جالساً في المسجد الحرام وحده، ينظر إليه أخ له، فقام إليه، فقال له: ما جاء بك؟ قال: المؤانسة، قال: هي والله بالمواحشة أشبه، هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك، وتكذب لي وأكذب لك، إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك.

وكان الفضيل يقول: فرّ في آخر الزمان من الناس كفرارك من الأسد، غير تارك للجماعة.

وقال الفضيل أيضاً: احذروا الناس؛ فإنهم داء ليس له دواء.

وقال الفضيل أيضاً: لا أجد راحة ولا لذة، إلا إذا كنت في بيتي.

وقال أبو الدرداء: كان الناس وَرَقاً لا شوك فيه، فالناس اليوم شوك لا ورق فيه.





وقيل لبعض الرهبان: ما أصبرك على الوحدة؟ فقال: أنا جليس الله -عَزَّ وَجَلَّ-، إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه، وإذا شئت أن أناجيه صليت، والوحدة خير من القرين السوء.

وقال سفيان بن عيينة: قال لي سفيان الثوري، في اليقظة والمنام جميعا، في حياته وبعد مماته: أقل من معرفة الناس؛ فإن التخلص منهم شديد، ولا أحسب أنك رأيت ما تكره إلا ممن تعرف.

وقال سفيان الثوري: خرجت وأنا أطلب أبا حبيب البدوي، وما كنت رأيته، فلقيته، فقال لي: أنت الثوري الذي يقال؟ فقلت: أسأل الله تعالى بركة ما يقال، قال: يا سفيان، ما رأينا خيراً قط إلا من ربنا؟ قلت: أجل، قال: فما لنا نكره لقاء من لم ير الخير إلا منه، ثم قال: يا سفيان، مَنعُ الله عطاءٌ، لم يمنعك من بخل ولا عدم، ولكن نظراً منه واختياراً، يا سفيان، إن فيك لأنسا، وإن معك لشغلا عليك السلام، ومضى وتركني.

وقيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بهم الزهد؟ قال: إلى الأنس به.

وقيل: إن إبراهيم بن أدهم أراد الخروج إلى مكة، فقال بعض أصحابه: أردت الخروج معك؟ فقال له إبراهيم على شرط ألا تنظر إلا لله، وأن ترضى بما يرد عليك من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، قال له: لك ذلك، قال: فقدمنا مكة، فإذا نحن بفتى يطوف حول البيت، قد قطع على الناس طوافهم بحسنه وجماله، ومعه حشم وعبيد، والناس محذقون به، وإذا إبراهيم مع الناس ينظر إليه، ودموعه تسيل، فقلت: إن لله غفلة دخلت على هذا الشيخ، فقلت: يا أستاذ ما هذا النظر الذي مازجه الحسن والبكاء؟ فقال: قد اطلع على سريرتي وعلى خبيئتي، ولولا ما



عقدت له على نفسي، لأدنيت هـذا الفـتى مـني، ولكـني أخشـى أن يقطعـني من أن أحـل العقـد الذي بيني وبينه، هذا ولدي وقرة عيـني، وهـؤلاء غلماني، تركته صـغيراً وهـربت إلى اللـه تعـالى، فأقبلت على الفتى، فسلمت عليه، وقلت: بـارك الله لأبيك فيك، فقـال: يـا عم، وأين أبي؟ وددت لو نظرت إليـه نظـرة وخـرجت نفسـي، ثم غلبت الفتى العبرة، فردها بيده، وقال: والله ما عرفت له خبرا، فأتيت إبراهيم وهو سـاجد في المقـام، وقد بل الحصى من دموعه فقلت له: رضي اللــه عنك، فارض عنه وادع له، فقـال: حمـاه اللـه عن معاصيه، وخرج ولا والله ما كلمه.

وقـال شـقيق بن إبـراهيم: لقيت إبـراهيم بن أدهم في بلاد الشـــــام، فقلت لــــــه: يا إبـراهيم، تـركت خراسـان؟ فقـال: مـا تهـنيت بـالعيش إلا هـا هنـا، أفـر بـديني من شـاهق إلى شـاهق، يعـني: من جبــل إلى جبــل، فمن رآني يقول: مُوَسْوس، أو حمّال، أو ملاح.

وقال أبو سليمان الـداراني: بينمـا الربيـع بن خـــــثيم جـــــالس على بـــــاب داره، إذ جـاءه حجـر، فشـج جبهتـه، فجعـل الـدم يسـيل، فقال: لقـد وُعِظتَ يـا ربيـع، فقـام ودخـل داره، فما جلس بعد ذلـك على بـاب داره حـتى خـرجت جنازته.

وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزمـا بيوتهمــــــا بــــــالعقيق، فلم يكونا يأتيان المدينـة لا لجماعـة ولا لجمعـة ولا لغيرهـا حتى ماتا بالعقيق.

وقــال سـفيان بن أسـباط: سـمعت سـفيان الثـــوري يقـــول: واللـــه الـــذي لا إلـــه إلا هو، لقد حلَّت العزلة.

وقال ابن السماك: كان الناس دواء يُستشفى بهم، فهم اليـوم داء لا دواء، فاجعل الله مؤنساً وكتابه محدثا.

وقيل لغزوان الرقاشي: هبك لا تضحك، فما يمنعك من مجالسة إخوانك، فقال: إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي.

وقال بشر بن عبد الله: أقل من معرفة الناس؛ فإنّك ما تدري ما يكون يوم القيامة، فإن كانت فضيحة كان من يعرفك قليل.

وقال حماد بن واقد الصفار: جئتُ إلى مالك بن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب وضع حنكه على ركبته، فذهبت أطرده، فقال: دعه، هذا لا يضر ولا يؤدي، وهو خير من الجليس السوء.

ولما قدم ابن المبارك المِصِّيصَة، سأل عن محمد بن يوسف فلم يُعرف فقال: من فضله لا يُعرف.

ويروى أن حاتماً الأصم دخل عليه والي الموسم، فقال له: لك حاجة؟ قال: نعم، لا تراني ولا أراك.

وقيل للحسن: يا أبا سعيد، ها هنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية، فقال الحسن: إذا رأيتموه فأخبروني، فنظروا إليه ذات يوم، فقالوا للحسن: هذا الرجل الذي أخبرناك به، وأشاروا إليه، فمضى إليه الحسن، فقال له: يا عبد الله، أراك قد حببت إليك العزلة، فما منعك من مجالسة الناس؟ فقال له: أمر شغلني عن الناس، قال: فما منعك أن تأتي هذا الرجل الذي يُقال له الحسن فتجلس إليه؟ فقال: أمر شغلني عن الحسن وعن الناس، فقال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله؟ قال: إني

أصبح وأمسي بين نعمة وذنب، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بشكر الله على النعمة، والاستغفار عن الذنب، فقال له الحسن: أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن، فالزم ما أنت عليه.

وقيل: بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان، فقال له أويس: ما جاء بك؟ فقال: جئت لأنس بك، فقال له أويس: ما كنتُ أرى أحداً يعرف ربِّه ويأنس بغيره.

وقال الفضيل: إذا رأيتُ الليل مقبلاً فرحت به، وقلتُ: أخلو بربّي، وإذا رأيت الصبح أدركني، استرجعت كراهية لقاء الناس، وأن يجيئني من يشغلني عن ربي.

وقيل لبعضهم: ما حملك أن تعتزل عن الناس؟ قال: خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر.

وقيل للفضيل بن عياض: إن عليا ابنك يقول: وددت أني بالمكان الذي أر الناس منه ولا يروني، فبكى الفضيل، وقال: يا ويح علي، أفلا أتمها، فقال: لا أراهم ولا يروني.

وقال حاتم الأصم: أنزل الناس عندك منزلة النار، لا تدنو منها إلا عند الحاجة إليها، مقتبساً على حذر من بعيد.

وقال أبو الدرداء: اتقوا الله واحذروا الناس؛ فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا دبروه، ولا ظهر جواد إلا عقروه، ولا قلب مؤمن إلا خربوه.

وقال الفضيل بن عياض: من سخافة عقل المرء كثرة معارفه.

وقال الربيع بن خثيم: تفقهوا، ثم اعتزلوا وتعبدوا.



وقال ابن عباس: أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك، لا ترى ولا ترى.

وقال عبد الواحد بن زيد: طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: يُناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة.

وكان عمر بن ذر لا يخرج من منزله إلا لثلاثة لصلاة في جماعة، أو لعيادة مريض، أو لحضور جنازة، وكان قد انثني من العبادة.

وقال ذو النون المصري: سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده.

وقال مالك بن دينار: من لم يأنس بمحادثة الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن محادثة المخلوقين، فقد قل عمله، وعمي قلبه، وضيع عمره.

وقال ابن المبارك: ما أحسن حالاً من انقطع إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقال أبو الفضل الشَّكْلِي: خرجت أطلب أبا العباس البغدادي، وكان قد وصف لي، فقيل لي: اطلبه بالإسكندرية، فخرجت إلى الإسكندرية، فسألت عنه، فقيل لي: اطلبه على الساحل، فخرجت، فإذا أنا به وهو جالس على صخرة، والموج يضرب الصخرة، ويده على خده ينظر إلى البحر، فلما دنوت منه التفت إلي، ثم أنشأ يقول:

أنست بالوحدة من بعد ما كنت من الوحدة مستوحشاً

فصرت بالوحدة مستأنساً وصارت الوحدة لي مجلساً

ثم قام وتركني.

وأنشدوا في الخلوة:




ارض بالله صاحباً ودع الناس جانبا
قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا

وقال مالك بن دينار: دخلت بعض المواضع؛ فإذا أنا بصوت لا أرى شخصه، وهو يقول: يا من آنسني بذكره، وأوحشني من خلقه، وكان لي عند مسرتي، ارحم اليوم عبرتي، يا عظيم الصنيعة إلى أوليائه، اجعلني من أوليائك المتقين، قال: فاتبعت الصوت حتى وقفت على فتى، فلما رآني، قال: منكم فررت فقلت له: يرحمك الله دلني على الطريق، فأومأ بيده نحو السماء، وقال: عليك بالدليل.

باب في جهاد النفس ونهيها عن هواها

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: 40] وإنما سُمِّي هَوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار. قاله الشعبي

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللهِ). [أحمد بسند صحيح]

وفي رواية: (وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ)

وفي رواية: (الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ)

وقال بعض الحكماء: رياضة النفس بالصلاة والصيام والصمت.

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئا أشد علي من نفسي؛ مرة لي، ومرة علي.

وكان أبو العباس الموصلي يقول: يا نفسي، لا مع أبناء الملوك في الدنيا تتنعمين، ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين، كأني بك بين الجنة والنار تحبسين، ألا يا نفسي هل تستحين.



وكان عمر بن الخطاب له يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر على ربكم قبل أن تعرضوا، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18]

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك.

وقال رجل لمورق العجلي: أشكو إليك نفسي أنها لا تريد الصلاة، ولا تستطيع الصيام، فقال: بئس الثناء أثنيت على نفسك؛ فإذا قد ضعفت عن الخير فاضعف عن الشر.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: جاهد النفس بأسياف الرياضة، والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام، وحمل الأذى من جميع الأنام، فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات، فليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء، والصبر على الأذى، فإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام، وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جرَّدت عليها أسياف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام، وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام، فتأمن بوائقها في سائر الأيام، وتصفيها من ظلمة شهواتها، فتنجو من غوائل آفاتها، فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة، تجول في ميدان الخيرات، وتسير في مسالك الطاعات، كالفرس الفاره في الميدان، وكالملك المتنزه في البستان.

وقال محمد بن الفضل: أنزل نفسك بمنزلة من لا حاجة له فيها، ولا بد له منها؛ فإنه من ملك نفسه عز، ومن ملكته نفسه ذل.

باب في شهوات النفس وغيها

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: 3] قيل: نزع منها محبة الشهوات.

وقال أبو سليمان الداراني في قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ [الإنسان: 12]، قال: صبروا عن الشهوات.

ويُروى: أنّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- أوحى إلى داود: يا داود، حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات؛ فإنّ القلوب المعلّقة بشهوات الدنيا، عقولها محجوبة عني.

وقال عيسى: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة، بموعود غائب لم يره.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه وشيطانه ونفسه فاحترز من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.

وقال بعض الحكماء: من استولت عليه النفس، صار أسيراً في حب شهواتها، محصوراً في سجن هواها، ومنع قلبه الفوائد.

وكان يقال: الشهوات حلوة الموارد، مرة المصادر.

وأنشدوا في هذا المعنى

ومن البلاء وللبلاء علامة أن لا يُرى لك عن هواك نزوع

العبد عبد النفس في شهواتها والحر يشبع مرة ويجوع





ويُروى: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أوحى إلى داود: إن أهون ما أنا صانع بعبد من عبيدي إذا أثـر شـهوته علي، أن أحرمه طاعتي.

وقـــال حفص بن حميـــد: أجمعت العلمـــاء والحكمـــاء، على أن النعيم لا يُـــدرك إلا بـــترك النعيم.

وقال ابن مسـعود: إنّ المـؤمن يأكـل بشـهوة أهله، والمنافق يأكل أهله بشهوته.

ويُـروى: أن جـاراً لمالـك بن دينـار أتـاه في مرضه، فقال له: يا أبا يحيى، هل تشتهي شـيئا؟ قـال: نفسـي تنـازعني إلى شـيء منـذ أربعين سـنة، قـال: ومـا هـو؟ قـال: رغيـف أبيض ولبن، فأتاه بهما، فجعل ينظر إليهمـا، ويقـول: دافعت نفسي عن شهوتي عمـري، حـتى إذا فـنيت ولم يبق إلا القليل أكلتها الآن، اذهبوا بهما إلى يــتيم بني فلان ومات بشهوته.

وقال يحيى بن معاذ: من كثر شبعه كثر لحمه، ومن كثر لحمه كثرت شهوته، ومن كثرت شهوته كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبـه قسـا قلبـه، ومن قسا قلبه غرق في الآفات.

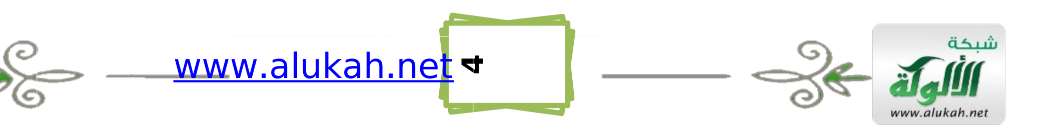
وقال أبو يحـيى الـوراق: مَنْ أرضـى الجـوارح بالشـــــهوات، فقـــــد غـــــرس في قلبه شجر الندامات.

وقـال بعض الحكمـاء: من أراد صـفوة قلبـه، فليـؤثر اللـه على شـهوته؛ فـإن الشـهوات تـؤثر الحسرات.

وقـال يحـيى بن معـاذ: ذو الحسـنات سـعيد مقـــرب، وذو الســيئات شـــقي معـــذب، وذو الشهوات متعوب محاسب.

وقال وهب بن منبه: ما زيـد على الخـبز فهـو شهوة.

وقال وهيب بن الورد: من أراد شهوات الـدنيا فليتهيأ للذل.



ويُروى: أن امرأة العزيز قالت ليوسف، بعد ما ملك خزائن الأرض: يا يوسف، إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيداً، وإنّ الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا، فقال لها يوسف: قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90]

وقال مالك بن دينار: ما أدري قول الناس: من لم يأكل اللحم أربعين يوما نقص عقله، وأنا لم آكل اللحم منذ عشرين سنة، وعقلي كل يوم في زيادة.

وقال يزيد الرقاشي: السلام على الماء البارد في الدنيا، لعلي لا أحرمه في الآخرة.

ويروى: أن عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عطش يوما، فدعا بشراب، فأتي بإناء فيه عسل، فجعل يدير الإناء في كفّه، ويقول: أشربها فتذهب حلاوتها، وتبقى تبعاتها، ثم دفعها إلى رجل من القوم فشربها.

ويُروى عنه: أنه دخل على ابنه عبد الله، فوجده يأكل لحما مأدوماً بسمن، فعلاه بالدرة، وقال: لا أم لك، كل يوما خُبزاً ولحما، وكل يوما خبزاً ولبنا، وكل يوما خبزاً وجبنا، وكل يوماً خبزاً وسمنا، وكل يوما خبزاً وزيتاً، وكل يوماً خبزاً وملحاً، وكل يوما خبزاً قفاراً.

ويُروى: أن مالك بن دينار قال لرجل من إخوانه: كنتُ أشتهي أن آكل لبنا رائباً، فلما سمع ذلك الرجل بعث به إليه، فقال لنفسه: غلبتك منذ أربعين سنة، وتريدين أن تغلبيني الآن، فرده.

وقال الحكيم: ركب الله في الملائكة العقل بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم الشهوة والعقل؛ فمن غلب عقله شهوته، فهو خير من

الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله، فهو أشر من البهائم.

ومر أبو حازم بالجزار، فقال له الجزار: يا أبا حازم، هذا سمين فاشتر منه، فقال: ما عندي ثمنه؟ فقال الجزار: أنا أنظرك، ففكر ساعة، ثم قال: أنا أنظر نفسي.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت قال: فمتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام.

وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد: إن فلاناً يصف من قلبه منزلة ما أعرفها من قلبي، قال: لأنك تأكل مع خبزك تمراً، وهو لا يزيد على الخبز شيئا.

وقال يحيى بن معاذ شهوات النفس نيرانها، ولذات الدنيا حطبها، والجوع ماؤها الذي يطفئها.

وقال علي بن أبي طالب: من اشتاق إلى الجنة، سلا عن الشهوات في الدنيا.

وكان مالك بن دينار يطوف في الأسواق؛ فإذا رأى الشيء يشتهيه، يقول لنفسه: اصبري فوالله ما منعتُكِ إلا من كرامتك علي.

ومر مالك بن دينار مع قوم من أصحابه على طريق، فوجدوا رائحة الطعام، فقالوا له: يا أبا يحيى، أتشتم هذا الطعام، فقال لهم: نعم؛ هذا غداً يكون في أخبث موضع في الدار.

وكان أبو حازم إذا نظر إلى الفاكهة، قال: والله إني لأشتهيك، ولكن موعدك في الجنة.

باب في الرضا بقضاء الله عَزَّ وَجَلَّ والتسليم لأمره

يُروى عن ابن عباس أنه قال: أول شيء كتبه الله -عَزَّ وَجَلَّ- في اللوح المحفوظ: أنا الله الذي





لا إلــه إلا أنــا محمــد رســولي، فمن استســلم لقضـائي، وصـبر لبلائي، وشـكر نعمـائي؛ كتبتـه صديقاً، وبعثته مع الصـديقين، ومن لم يستسـلم لقضــائي، ولم يصــبر على بلائي، ولم يشــكر نَعْمَائي، فليتَّخذ إلها سواي.

ويُروى: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أوحى إلي داود: يـا داود، تريـد وأريـد، وإنمـا يكـون مـا أريـد، وإن استسـلمت لمـا أريـد كفيتـك مـا تريـد، وإن لم تستسلم لما أريد، أتعبتك فيما تريـد، ثم لا يكـون إلا ما أريد.

وقـال ابن عبـاس: أول من يـدعى إلى الجنـة يوم القيامة، الذين يحمدون الله على كل حال.

ويـروى: أن يـونس قـال لجبريـل: دلـني على أعبد رجل في أهـل الأرض، فدلـه على رجـل قـد قطع الجذام يديه ورجليه، وذهب ببصره وسمعه، وهــو يقــول: إلهي، متعتــني مــا شــئت أنت، وسلبتني ما شئت أنت، وأبقيت لي فيك الأمل يا برّ يا وصول.

وقال الحسـن: ليس الرضـا أن تُبتلى فتصـبر، وإنما الرضا أن تبتلى فترضى.

وقال الفضيل بن عياض: إنما أدرك من أدرك، بالرضا عن الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقال أبو سليمان الداراني: لو أدخلـني النـار، لكنتُ بذلك راضيا.

وقال بعض الحكماء: العـالم باللـه يعمـل على بصيرة، والعطاء والمنع عنده واحد.

وقيل لعمر بن عبد العزيز: ما تشـتهي؟ قـال: ما يقضي الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقــال محمــد بن كــرام: دع التــدبير إلى مَن خَلَقك تسترح.

وقـــال ميمـــون بن مهـــران: من لم يـــرض بالقضاء، فليس لحمقه دواء ولا لدائه شفاء.

وقال الحكيم: سيكون ما قُضِي، كره العبـد أم رضي.

وقـال الفضـيل بن عيـاض: إن لم تصـلح على تقدير الله، لم تصلح على تقدير نفسك.

وقـال عبـد العزيـز بن أبي روّاد: ليس الشـأن في أكــــل خـــبز الشـــعير والخـــل، ولا بلبس الصوف والشـعر، ولكن الشـأن في الرضـا عن الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقال زيد بن أسلم: في رضا الله -عَـزَّ وَجَـلَّ- عوض من رضا غيره، وليس في رضا غيره عوض من رضاه.

وقـال سـفيان الثـوري: رضـا النـاس غايـة لا تدرك، ورضا الله أسرع غاية تدرك.

وقال عبد العزيز بن عمير الكنـدي: لمـا دخـل جبريل على يوسف في السـجن، عرفـه يوسـف، فقـــال: يـــا أخـــا المنـــذرين مـــالي أراك بين الخاطئين؟ فقال له جبريل: يا أطهر الطـاهرين، يُقرئـك السـلام ربّ العـالمين، ويقـول لـك: أمـا اسـتحييت إذا استشـفعت بـالآدميين، وعـزتي، لألبثنك في السجن بضع سنين، فقال يوسف: يا جبريل، هو عني راض؟ قال: نعم، قـال: لا أبـالي الساعة.

وقال عبد الله بن مسـعود: لأن ألحس جمـرة أحــــرقت مـــــا أحـــــرقت، وأبقت ما أبقت، أحب إلي من أن أقول لشـيء: ليتـه كـان، ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن ليته كان.

ونظـر رجـل إلى قرحـة في رجـل محمـد بن واســـع، فقـــــال: إني لأرحمـــــك من هذه القرحة، فقال: إني لأشكر اللـه إذ لم تخـرج في عيني.

**وقطع عروة بن الزبير رجله إلى ركبتـه من أكلـــة خــــرجت بهــــا، ثم قـــال: الحمد لله الذي أخذ مني واحدة وترك لي ثلاثـة، وأيمـك

لئن كنت أخـــــــــــذت لقــــــــــد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقـد عـافيت، ثم لم يـدع حزبـه تلـك الليلة.

وقـال أبـو تـراب: رُبّ مسـرور بهلاكـه، ورُبِّ محزون بنجاته.

باب في الصبر على البلاء والمصائب

قال الله -عَزَّ وَجَـلَّ-: ﴿إِنَّمَـا يُـوَفَّى الصَّـابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]

وكان حبيب بن أبي حبيب إذا قـرأ هـذا الآيـة: إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَـابِراً نِعْمَ الْعَبْـدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: 44] بكى، ثم قال: يا عجباه، أعطى وأثنى.

روى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ- قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-: (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ)

وقـال -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-: (حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَـارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّـهَوَاتِ) [مسـلم عن أنس]

وقال الإمام الترمذي في سننه: بَـابُ مَـا جَـاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ

// عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْـدِهِ الخَيْـرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَـةَ فِي الـدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْـدِهِ الشَّـرَّ أَمْسَـكَ عَنْـهُ بِذَنْبِـهِ حَتَّى يُـوَافِيَ بِـهِ يَـوْمَ القِيَامَةِ).

// وَبِهَـذَا الإِسْـنَادِ عَنِ النَّبِيِّ -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ-، قَـالَ: (إِنَّ عِظَمَ الجَـزَاءِ مَـعَ عِظَمِ البَلَاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِـيَ فَلَـهُ الرِّضَـا، وَمَنْ سَـخِطَ فَلَـهُ السَّـخَطُ).هَـذَا حَـدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

// عَنِ الأَعْمَشِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، يَقُـولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا رَأَيْتُ الوَجَعَ عَلَى أَحَدٍ أَشَـدَّ مِنْـهُ



عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

// عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ.

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، وعوّضه منها الصبر، إلا كان ما عوضه أفضل مما انتزع منه، ويقرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]

وقال بعض العلماء: إن الله تعالى يبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء، حتى يمشي على الأرض وماله من ذنب.

وقال الفضيل: إن الله تعالى ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الرجل أهله بالخير

ويقال: إنّ امرأة فتح الموصلي عثرت، فانقطع ظفرها، فضحكت، فقيل لها: أما تجدين من ألم الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

وقال داود لسليمان عليهما السلام: يُستدل على تقوى المؤمن بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات.

وقال الحسن: لولا ثلاثة ما طأطأ ابن آدم رأسه: الفقر، والمرض، والموت، وإنه مع ذلك لوثاب.

وقال شقيق البلخي: من يرى ثواب الشدّة، لا يشتهي المخرج منها.

وقال حاتم الأصم: إن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يحتج يوم القيامة بأربعة أنفس على أربعة أجناس؛ على الأغنياء بسليمان، وعلى الفقراء بعيسى، وعلى العبيد بيوسف، وعلى المرضى بأيوب، صلى الله على نبينا وعليهم.

وقال لقمان لابنه: يا بني، الذهب يُجرَّب بالنار، والعبد الصالح يُجرب بالبلاء.

وقال الأحنف بن قيس: أصبحت يوما أشكو وجع ضرسي فقلتُ لعمي: ما نمت الليلة من وجع ضرسي، ثم قلتها الثانية، ثم قلتها الثالثة، فقال لي: لقد أكثرت من شكوى وجع ضرسك في ليلة واحدة، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثي سنة ما علم بها أحد.

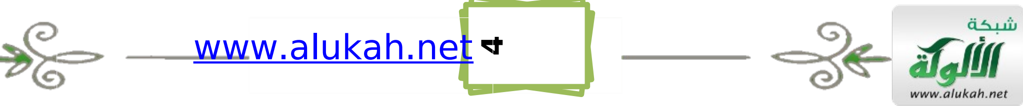
ويُروى أن عروة بن الزبير كان يقوم كل ليلة بربع القرآن، فلما كانت الليلة التي قطعت فيها رجله من الأكلة تركه، ثم قام من الليلة القابلة بنصف القرآن

ويُروى عن بعض الصالحين: أنه خرج يوماً، وفي كمه صُرَّةً، فافتقدها، فإذا هي قد أخذت من كمه، فقال: بارك الله له فيها، لعله كان أحوج إليها مني.

ويُروى عن بعضهم أنه قال: مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى يوم اليمامة، وبه رمق، فقلتُ له: أسقيك ماءً، فقال: جُرّني قليلاً إلى العدو، واجعل الماء في الترس؛ فإني صائم، فإن بلغت إلى الليل شربته، وإن مت فقد بلغت المأمول.

وكان يقال: الصبر سلامة، والطيش ندامة.

وقال أبو الدرداء: من لم يُعدّ الصبر لفجائع الأمور يعجز.





وقال الحسن البصري: الصبر صبران؛ صبر عند المصيبة، وصبر عن ما نهاك الله عنه، وهو أفضل.

ويروى: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أوحى إلى عُزير فيما أوحى إليه: وإذا نزلت بك نازلة، فلا تَشْكُني إلى خلقي، كما لا أشكوك إلى ملائكتي عند صعود مساوئك وفضائحك.

باب في شماتة الأعداء

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- في قصة موسى وهارون: ﴿ فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 150]

وقيل لأيوب: أي شيء كان في بلائك أشد عليك؟ قال: شماتة الأعداء.

ويُروى: أن علي بن أبي طالب الأتي برجل قد جنى جناية، فرأى أناساً يسيرون خلفه، فقال: لا مرحباً بوجوه لا ترى إلا عند سوء.

ووجد على قبر مكتوب:

سلام على الدنيا وطيب نعيمها كأن لم يكن يعقوب فيها مخلداً

وقل للعداة الشامتين بموتنا أفي ظنكم أن سوف تبقون خُلَّدًا

باب في العافية

روى البخاري في الأدب المفرد: أتى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رجل فقال يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: (سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة) ثم أتاه الغد فقال يا نبي الله أي الدعاء أفضل؟ قال: (سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة فإذا أعطيت العافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت) [قال الشيخ الألباني: صحيح]

وروى أيضا عن ابن عمر يقول: لم يكن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدع هؤلاء الكلمات إذا أصبح وإذا أمسى: (اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك من أن أغتال من تحتي) [قال الشيخ الألباني: صحيح]

وروى الترمذي عَنْ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ البَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ) [حسنه الألباني]

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: لأن أعافى فأشكر، أحب إلي من أن أبتلي فأصبر.

ويروى: أن عيسى -عليه السلام- قال لأصحابه: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم؛ فإن القلب القاسي بعيد من الله، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد؛ فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية.

وكان الفضيل إذا سمع أصوات أهل السجن، يقول: يا أهل العافية ارحموا أهل البلاء، ثم يبكي، فقال له رجل: أتبكي على أهل السجن، فقال: أما

ترحمهم؟ لعلك ترى أنـك خـير منهم، لئن كنت تـرى ذلك؛ فإنك فاجر أحمق، ولعل جُرْمَـك يـا هـذا أعظم من جُرمهم، فعوفيت وابتلـوا، ولعـل ذلـك خـير لهم وشـر لـك، ثم يبعث إليهم مـا كـان عنـده من طعـام وشراب، أو ثياب، أو دراهم.

جمع وترتيب

د/ خالد سعد النجار

alnaggar66@hotmail.com

المحتويات

المقدمة...2

باب في الدعاء..5

من آداب الدعاء..5

ويستحب للداعي أن لا يرفع صوته جدا:......................5

ويكره للداعي أن يشير بأصبعيه عند الدعاء، ولا بأس بأن يشير بإصبع واحدة إذا شاء:.................................6

فإذا دعوت فسأل الله خيرا كثيرا، فإنك تدعو كريما........7

والدعاء على قدر نية الداعي:...................................7

اجتناب الاعتداء في الدعاء:....................................8

من روائع الأدعية:..9

باب في الترغيب في الذكر...................................11

في مجالس الذكر...11

باب في فضل القرآن وأهله...................................13

باب في هيئة القراءة...15

باب في ما يكره لحامل القرآن...............................15

باب فضل العلم وأهله..16

باب في آفات العلم وأهله....................................20

باب في من يخالف قوله فعله................................23





باب في فضل الطهارة.. 24
باب في فضل السواك.. 25
باب في فضل الأذان.. 26
باب في فضل صلاة الفريضة................................. 26
جلوس عبد الله بن شقيق مع الصحابة والسماع منهم:. . 30
*إجماعٌ لا مُخالف له!.. 31
النظر في إسناد الروايات:................................... 32
*قول الزهري:... 33
والآثار المروية عن التابعين ومن بعدهم..................... 36
باب في هيئة الصلاة.. 38
باب في الصلاة النافلة... 40
باب في فضل السجود... 41
باب في فضل المساجد.. 41
باب في بقاع الأرض... 42
باب في الصيام.. 43
صوم يوم عرفة لو وافق سبت................................. 43
ولو كان يوم عرفة يوم السبت، فما حكم صيامه.؟....... 44
قال أهل العلم: إفراد يوم عرفة بالصيام، إذا وافق ذلك يوم سبت له حالتان:.. 46
تنبيه أخير:.. 48
باب في فضل الحج.. 49
باب في فضل الجهاد.. 52
باب في فضل يوم الجمعة................................... 52
باب في الاستسقاء.. 52
باب في فضل الصلاة على النبي.............................. 56

باب في فضله...56
باب في فضل الصحابة.......................................60
باب في فضل هذه الأمة.....................................61
باب في القلوب...64
باب في العقل والحمق......................................65
باب في الحياء...66
باب في التقى..68
باب في اليقين...69
باب في الشوق...70
باب في محبة الله عز وجل..................................71
باب في المتحابين في الله..................................73
باب في الحب في الله والبغض في الله.....................75
باب في النظر إلى الله عز وجل............................77
باب في الموعظة..78
باب في الخُطب..88
باب فيه وصايا...89
باب في المكاتبات...91
باب في قولهم كيف أصبحت................................93
باب في التسويف وطول الأمل 95
باب في الحكمة وطرائف الكلام.............................97
باب في الزهد..100
باب في الفقر وضيق المعيشة...............................105
باب في فضل الجوع.......................................109
باب في القناعة وغنى النفس................................112
باب في التعفف عما في أيدي الناس.......................114

باب في ذم الدنيا..116
باب في مجانبة الأغنياء والسلاطين..........................123
باب في الهدية والبر...125
باب في الحث على طلب الرزق...............................127
باب في فضل المال..128
باب في ذكر الأسواق والتجار...............................129
باب في طلب الحوائج..132
باب في السؤال وكراهية المسألة............................133
باب في فضل الصدقة..135
باب في حب المال وفتنته..................................138
باب في توريث المال.......................................139
باب في الورع وطلب الحلال...............................140
باب في حب المساكين......................................143
باب في التواضع..144
باب في الكبر والعجب......................................147
باب في الرياء...148
باب في النية والعبادة والإخلاص............................150
باب في استواء السريرة والعلانية...........................152
باب في الطاعة والمعصية...................................153
باب في أعمال البر..157
باب في المراقبة...158
باب في الاغترار بالله عَزَّ وَجَلَّ...............................159
باب في الذنوب..160
باب في الاعتراف...162
باب في التوبة...164

باب في الاستغفار..169
باب في الرجاء...171
باب في وساوس الشيطان وعداوته........................174
باب في العبادة...178
باب في الأولياء وكراماتهم 180
باب في قيام الليل...182
باب في الخلوة والعزلة والخمول.........................188
باب في جهاد النفس ونهيها عن هواها.....................194
باب في شهوات النفس وغيها.................................195
باب في الرضا بقضاء الله عَزَّ وَجَلَّ والتسليم لأمره......198
باب في الصبر على البلاء والمصائب.........................200
باب في شماتة الأعداء..202
باب في العافية...203